

عَمْرَأُيسُ الْأُفْكَارِ

فِي

مَدَارِجُ الْمُخْتَارِ

تَأَلِيفُ

مَدَارِجُ أَكْرَمِ حَيٍّ

الْإِمَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَيِّ بْنِ الْحَلْبِيِّ

١٠٦٠ هـ - ١١٢٠ هـ

مَرْفُوعَةٌ وَأَعْتَنَى بِهَا

إِمَامُ الدَّعْوَةِ

الْإِسْتِاذُ الدُّكْتُورُ عَلِيُّ بْنُ الْمُنْتَصِرِ الْكَلْبَانِيِّ

رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى

تَقْدِيمٌ وَدِرَاسَةٌ

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ حَمْدَةُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَلْبَانِيُّ



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت لبنان

عَرَائِسُ الْأَفْكَارِ
فِي

مِلْدَاحُ الْمُخْتَارِ

تَأْلِيفُ
مُؤَدِّحِ الْأَكْرَمِ حَيْ
الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحلبي
١٠٦٠ هـ - ١١٢٠ هـ

خَرَّجَهُ وَاعْتَنَى بِهِ
إِمَامُ الدَّعْوَةِ
الْأُسْتَاذُ الذِّكْرُ عَلِيُّ بْنُ الْمُتَصَرِّفِ الْكُتَّابِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

تَقْدِيمُ وَدَرَاةٍ
السَّيِّدُ مُحَمَّدُ صَمْرَةُ بْنُ عَلِيٍّ الْكُتَّابِيُّ



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: 'ARĀ'IS AL-'AFKĀR
FĪ MADĀ'IH AL-MUHTĀR

(A collection of poems
praising the Prophet Mohammed)

Author: Al-imām Aḥmad ben 'Abdul-Ḥay al-Ḥalabī

Editor: Dr. 'Alī ben al-Muntaṣir al-Kattānī

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 240

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: عرائس الأفكار في مدائح المختار

المؤلف: الإمام أحمد بن عبد الحي الحلبي

المحقق: الدكتور علي بن المنتصر الكتاني

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 240

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

مستورات محمد وآلته بيروت



بيروت
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضيق الكتاب كاملاً أو
جزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

مستورات محمد وآلته بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦١١٣٥ (٩١١ ١)

فرع عرمون، القبعة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

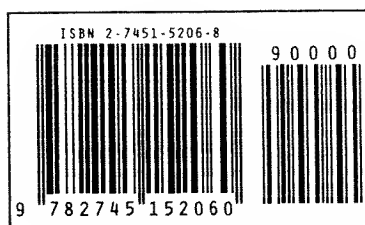
هاتف: ٩١١ ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ٩١٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٩١١ ٨٠٤٨١٣ - رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم الدكتور الشرف محمد حمزة بن علي الكتاني:

الحمد لله الذي أمد بحيا فؤاد نبيه لواعج الأدباء، فربّت أزاهيرُ بساتين أرواحهم شاخصة إلى محيا وجه شفيع الشفعاء، لتهز وجدانهم وتهيج مشاعرهم وتحرض يراع الشعراء، فاستمدوا بها ما حفزهم للقبس من محاسن صفاته العليا، وعوابق إمدادات مناقبه الريا، فصاغوا بذلك من عيون القريظ ما بز عيون المها، واستروحت به النفس عن غليان الشوق ما ألتهت به ألمها، واحتلت بذلك أرفع المنازل والرتب السماء.

والصلاة والسلام على يعسوب الكمالات ونور الموجودات، صاحب المواهب والنوال والعطيات، بلسم العاني وسلو المعاني، مجمع المزايا وقيام الأواني، من هو للجمال أس ومداد، ولروض أزاهر المعاني ماء وسداد.

هـام الوري في معان أنت جامعها فكلهم لك عشاق وما علموا

كملت محاسنه فلو أهدى السنا للبدر عند تمامه لم يخسف
وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

سيدنا ومولانا محمد الكائنات وأحدها، وهاديا ودليلها ومرشدها، من استوت لديه الطبائع فاستوى على ذروة الكمال، واستمدت منه الكوامل فسادت على قنن الجمال، وعلى آله معدن كل فضل وإجلال، ومقتدى الأوائل والأواخر وأئمة الدلال، وعلى أصحابه نقلة الشريعة ورسل الهداية في الماضي والاستقبال.

أما بعد؛ فهذا ديوان "عرائس الأفكار في مدائح المختار"، لحسان عصره، وحسان كل زمان، وفريد دهره، وقدوة كل أوان، إمام أدباء وبلغاء القرنين الحادي عشر والثاني عشر؛ أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي ثم الفاسي، الشافعي مذهباً، المتوفى رضي الله عنه بفاس عام 1120هـ، هذا الديوان الذي يضم نخبة مما نظمه الإمام الحلبي - رضي الله عنه - في المدح النبوي، مما ترق له القلوب، وتسيل به العيون، وتقشعر الأبدان، وتهيج الأرواح شوقاً إلى النبي العدنان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ولقد اشترأبت النفوس منذ عقود لصدور هذا الديوان الرائع، إذ بالرغم من مرور أكثر من ثلاثمائة سنة على وفاة مؤلفه - رحمه الله - مازال المنشدون يتغنون بشعره الرائق، ويتباهون

بحفظ مقطعات منه؛ وما قوله:

| | |
|-------------------------------------|---------------------------------|
| قف بالركاب؛ فهذا الرُبْع والدار | لاحت علينا من الحبيب أنوارُ |
| بشراكَ بشراك؛ قد لاحت قبايهمُ | فانزل؛ فقد نلت ما تهوى وتختارُ |
| هذا المُحَصَّبُ هذا الخيفُ خيفُ مني | هذي منازلهمُ، هذي هي الدار |
| هذي قباب قبا أثارُ وطئهمُ | وذا هو الجذع، فابك، ذا هو الغار |
| هذا النبيُّ الحجازيُّ الذي شهدتُ | له بتقدمه في الرسل أخبار |

وقوله:

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| يا حبيب القلوب صلي مليا | بك ألهج بكرة وعشيّا |
| كلما لاح منك نور بنجد | يترك العاشقين فيها جثيا |

ما تلك المقطعات وغيرها بعازبة عن آذان المحبين، ولا فتر ترديدها من ألسنة المادحين، ومن العجيب الطريف أن شعراء موريتانيا مازالوا يتغنون بها، ويحفظون قصائد كاملة من ديوانه، ومادحي المغرب والمشرق إخوان لهم في ذلك.

ولا بدع؛ فحديثنا عن الإمام الحلبي وشعره، هو حديث عن أديب المشرق والمغرب في القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر، إذ يمكن أن نعده مجدد علم الأدب والبلاغة والشعر على رأس القرن الثاني عشر الهجري، بما تخرم به من النشأة في الشام، والرحلة لطلب العلم وللبحث عن العلماء والصالحين بالعراق والحجاز، ومصر والسودان، وشمال إفريقيا والمغرب، وفي كل تلك الربوع بث شعره ومعارفه، وبذر بذور الأدب والمدح النبوي، مما يجده الباحث جلياً في تقاريط شعره التي تسابق أعلام الخافقين على تقرّظها، ومواضيع مؤلفاته ومحطات حياته التي أفادت المشرق - محل نشأته - كما أفادت المغرب.

وقد كان مولانا الوالد، سيد الطارف والتالد، الإمام الذي عجز الزمان أن يأتي بمثله، والهمام الذي تضاءل البحر عند همته؛ أبو الحسن علي بن المنتصر الكتاني روح الله روحه، وجعل في أعالي الفردوس بحبوحه، مشتغلاً قبيل وفاته بنسخ هذا الديوان وإعداده للطباعة، وكان رضي الله عنه ولا حرمنا رضاه يجالسنا كل مساء ويقرأ أبياتاً منه وهو يبكي، ودموعه على خده بالشوق واللواعج تهمي، ويقول لي: إني أعشق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله. وبقي على هاته الحالة إلى أن توفي شهيداً بقرطبة، وهو لما يتم عمله، ولا استوفى منه مأمله.

فشددت حيازيمي حينئذ، وعصبت جبوتي من بعدئذ، وعزمت على نشر هذا الديوان الحلبي، مبدياً فيه ومكملاً أرب الوالد وأربي، إرضاء للوالد والجدة، غير مبال بقبول من محب أورد، فألفيته للمحب بغية، وللشائق منية، وأهاج مني كل كامن، وأثار من نار الشوق للنبي

صلى الله عليه وسلم وعلى آله ولجدا الإمام الحلبي ولمولانا الوالد المكامن، فلا تسلم عما أسكبه من الدموع المهرقة، وبلبل في الفؤاد لواعجه الأراقعة، فجعلته هجيرى، وأرحت به ولات حين راحة ضميري، والله أسأله القبول، ومن نبيه أعظم السؤل.

وأصل هذا الديوان نسخة وهب صورتها لمولانا الوالد عمه الإمام العلم، مصباح الظلم، الذي عقم بمثله النساء، المجاهد البحاثة الصابر في البلاء؛ أبو المزايا؛ محمد إبراهيم بن الإمام أحمد بن شيخ الإسلام جعفر الكتاني الإدريسي الحسني، ولم أزد على الديوان شيئاً، سوى ملحق صغير كان بذيل نسختي من مقامات المؤلف "الحلل السندسية" الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى. عسى أن أقوم بجمع للديوان في الاستقبال، وإصداره بدراسة عنه خاصة به، وإن كان بلغني أن بعض أساتذة المغرب جمعه في رسالة دكتوراة، غير أنني لم أفق عليها، ولم يقم صاحبها بطباعتها وقد قصر.

تاريخ مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ومشروعيته:

ولا شك أن المدح النبوي ظهر منذ بزوغ الإسلام، وعرف مجموعة من الصحابة بتتبعهم لأوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وجهاده ومزاياه، وتغنيهم بذلك، وإقراره صلى الله عليه وسلم وعلى آله لهم عليه.

قال عمنا حافظ الدنيا الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني روح الله روحه، في "التراتب الإدارية" ⁽¹⁾:

"الشعراء من الصحابة الذين مدحوه صلى الله عليه وسلم وعلى آله بين الرجال والنساء، جمعهم الحافظ فتح الدين محمد بن محمد الأندلسي؛ المعروف بابن سيد الناس، المتوفى عام 734هـ، في قصيدة ميمية، ثم شرحها في مجلد سماه: "منح المدح"، أو: "فتح المدح"، ورتبهم على حروف المعجم، قارب بهم المائتين".

"ولعصرينا الأديب أبي الحسن علي بن شاکر الموستاري المعروف بجاي زاده، نزيل الأستانة، كتاب نفيس سماه: "حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة"، طبع الجزء الأول منه في 362 صفحة، رتب على القوافي، يترجم الصحابي ويذكر أشعاره في التوحيد والثناء على الله، ومدح المصطفى عليه السلام، وبيان معجزاته، ونحو ذلك. أثبت فيه لأكثر من مائتي صحابي ما بين بيت مفرد وقصيدة، ثم شرح مفردات الجميع".

وقال رحمه الله في موضع آخر ⁽²⁾: "أثبت الحافظ العزفي آخر مولده عدة مراثي للصحابة فيه عليه السلام بعد موته؛ منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وصفية بنت عبد المطلب، وأم

(1) "التراتب الإدارية" (1/ 211).

(2) "التراتب الإدارية" (1/ 214).

حكيم بنت عبد المطلب، وهند بنت عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاص، وحسان وكعب بن مالك، وأبو الهيثم بن التيهان، وعبد الله بن أنيس، وعمرو بن سالم الخزاعي، والزبرقان بن بدر، وعبد الله بن مالك الأرحبي، وابن ذي مدان من سادات همدان، وعبد الله بن سلمة الهمداني، وسواد بن قارب الدوسي، وعبد الحارث بن أنس بن الريان... وغيرهم".

قلت: وهذا أصل أصيل في جواز كتابة الشعر مدحاً فيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وذكراً لثنائه ومزايه وأيامه؛ إذ خير العصور عصره، وخير الأيام أيامه، وقد ساق الصحابة في مدحه صلى الله عليه وسلم وعلى آله كل كمال، وصاغوا من مزايه عقود الجواهر واللال، إذ هو منبع الكمالات وأساسها، وأُسُ المفاخر وعمادها، ولذلك قال شيخ المادح النبوية الإمام أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري المغربي ثم المصري:

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| دع ما ادعته النصارى في نبيهم | واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم |
| وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف | وانسب إلى قدره ما شئت من كرم |
| فإن فضل رسول الله ليس له | حدٌ فيعرب عنه ناطق بفهم |

بل روى الإمام أحمد في مسنده⁽¹⁾ بإسناد حسن أن الحبشة كانوا يرقصون في يوم عيد، ويتغنون باسم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ومزايه، ويقولون: "محمد عبد صالح"، فإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كانت الحبشة يزفنون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ويرقصون ويقولون: محمد عبد صالح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله: ما يقولون؟ قالوا: يقولون: محمد عبد صالح".

ومنذ ذلك الحين، والشعراء يتفننون في المدح النبوي، ويلهجون بالخصال المحمدية، جيلاً وراء جيل، وطبقة بعد طبقة، فتارة يصرحون، وتارة يكونون ويورون بسعدى وليلي، حتى تجمعت دواوين كثيرة، وأشعار تعد بالملايين من الأبيات، بل جمعت موسوعات في ذكر أسماء من نظموا في المدح النبوي، والعشق المحمدي.

قال عمنا المذكور⁽²⁾: "وأما ما مُدح به عليه السلام من شعراء أمته بعد الصحابة؛ فشيء يجل عن الحصر، ولو جمع له الناس في كل بلد أو مصر، إذ قل أن يجمع مسلم ديواناً إلا وصّره أو كل حرف منه بالأمداح النبوية".

"وفي "الرحلة العياشية" أن صاحبها وقف في مكة على السفر السابع من كتاب "منتهى السؤل في مدح الرسول" كتب سنة 673، قال أبو سالم: هذا التأليف لم يقصد به جامع جمع كلامه أو كلام مخصوص، بل ما انتهى إليه علمه من الأمداح النبوية وما شاكلها، والله أعلم

كم بقي لتمام الكتاب. اهـ. وفي عصرنا هذا جمع صديقنا نادرة العصر وحسانه: الشيخ أبو المحاسن النبهاني الشامي مجموعة في الأمداح النبوية رتبها على حروف المعجم، وقد طبعت في أربعة مجلدات، وهي على كل حال قل من كثر، ونقطة من بحر".

ولم ينكر أحد من المتقدمين عليهم ذلك، بل اعتبروها من أسمى القربات، وأعلى الدرجات، وتسابقوا وتفننوا في تبديع البديعيات، وترصيف الشوقيات. كيف لا؟؟ والنبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله أقر مادحيه عليه، وإن تشبوا وتغزلوا، كما في قصيدة كعب بن زهير التي مطلعها:

بانت سعاد، فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

مادحو النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله في المغرب:

ولم يكن المغرب مستثنى من ذلك؛ بل عرف بين ضفتيه: الأندلس والمغرب الأقصى شعراء كتبوا روائع الشعر في المدح النبوي، وتسابقوا لترصيع غوالي الألفاظ في ذكر الشرائع الأحمدية، والكمالات المحمدية، فمنهم من اختص في مزايا خلقه صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ومنهم من تفنن في كمالات خلقه، ومنهم من بحث في معارفه، ومنهم من نظم في مغازيه وأيامه، ومنهم من تعمق في علومه اللدنية، وأساراه القدسية صلى الله عليه وسلم وعلى آله.. بل لا يكاد عالم يقرظ الشعر، أو أديب يتقن النظم، أو كاتب يبدع في القريض، إلا وطرز ديوانه أو دواوينه، بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، والتغني والتباهي بترصيع منتهى فنه وشاعريته في ذلك، والاقتباس مما هنالك.

ومن ضمن أهم مادحي المغرب الأقصى - على الخصوص - الذين اشتهروا بالمدح النبوي وأولعوا به تجد في المجلد الثاني من "المصادر العربية لتاريخ المغرب"، لمجيزنا العلامة محمد بن عبد الهادي المنوني أسماء عشرات منهم، ولا كذلك في "دليل مؤرخ المغرب الأقصى"، للأستاذ عبد السلام ابن سودة المري. وهو فن مغربي بالأصالة، اشتهر به أعلام الأندلس والمغرب وشنقيط وغيرهم، وتفننوا فيه بما لا مزيد عليه.

وإن هذا الديوان الذي نجعله بين يدي القاري، ليمثل مزيجاً حقيقياً بين الفن الشرقي والفن الغربي في المدح النبوي، وهو لعلّ نشأ في المشرق العربي، ونبع في المغرب العربي، فإن كان في القرن الحادي عشر، فمثيله من أهل القرن السابع الإمام محمد بن سعيد البوصيري، المغربي الأصل، والمصري المشرق النبوغ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما كانت الأمة الإسلامية عليه من وحدة الهموم، ووحدة التراب، ووحدة العقيدة والآمال والمطامح.

والله تعالى يهدي إلى الحق ويرشد إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

ترجمة الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي⁽¹⁾

عصر الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي:

حديثنا عن عصر الإمام أحمد بن عبد الحي الحلبي رضي الله عنه ورحمه، يقتضي البحث عن ظروف حقبة القرن الحادي عشر الهجري من عدة نواحي، في المشرق؛ إذ هو منشأه ومنبعه، ومحل تكوينه وتثقيفه، وفي المشرق، إذ هو محل نبوغه وإبداعه، وتأليفه وإنشائه، وقرظه وإطلاعه، ولذلك سأحاول تقريب صورة ذلك العصر - باختصار - سواء في المشرق العربي وفي المغرب الأقصى، من النواحي: السياسية، والأدبية، والصوفية، والفقهية، إذ هي أهم المحطات التي صبغت شعر مترجمنا، وأثرت في ملكته وإبداعه.

أ- سياسة:

في المشرق: عرف المشرق - في العموم - في القرن الحادي عشر نوعاً من الاستقرار السياسي، نظراً للسيطرة التامة للدولة العثمانية التركية عليه، وشيوع النظام وقوة السلطة المركزية، غير أن هذه لم تكن قاعدة مطردة، فقد شهدت البلاد بعض التمرد والخروج على السلطة المركزية سرعان ما كانت الدولة تكبته بعنف وصرامة.

ومن أهم ملوك هذا القرن: السلطان مراد الرابع (ت 1049): فقد غزا بلاد العجم، ففتح روان سنة 1044، وفي سنة 1048 أعاد فتح بغداد في حرب ضروس قضى فيها أكثر من عشرين ألف شخص، وقتل الشاه عباس الذي حصنها، وتنافس الشعراء والأدباء في مدح ذلك.

وفي زمانه غرقت مكة المكرمة بالسيل سنة 1039 وهدمت الكعبة إثر ذلك، فقام السلطان المذكور بإعادة بنائها، وهو أمر خلده ذكراً ومكانة بين أهل عصره.

كما قام هذا السلطان بنشر الفضيلة، وإبطال المقاهي في جميع ممالكه، ومنع شرب الدخان، وأكد في ذلك تأكيداً لم يسبق إليه⁽²⁾.

ثم تولى أخوه السلطان إبراهيم سنة 1049، ففتح قلعة القزاق سنة 1052، وقلعة خانية بكريت بالبحر المتوسط.

ثم خلع وخلفه ابنه السلطان محمد خان الرابع بعد عزله سنة 1058، وكان صغير السن، فتهاون به رؤساء الدولة لذلك، واختلت أمور الناس في أوله، إلى أن نصره الله بوزيره محمد باشا كوبرلي، فانتظم أمره، واستمر بالفتح وترتيب البلاد، والقضاء على الفساد الداخلي، ثم افتتح بعض القلاع.

(2) "خلاصة الأثر" (4 / 339).

(1) انظر مصادر الترجمة، ومراجع المقدمة في نهاية الكتاب.

غير أن في فترة هذا الملك، وأثناء غيابه في الفتوحات، قامت ثورة كبرى ببلاد الشام سنة 1067، فخرج في تلك الفترة حسن باشا محافظ حلب، مدينة مترجمنا، وتبعه ابن الطيار كافل دمشق، والوزير كنعان، وانضاف إليهم من العسكر جمع عظيم، بيد أن الوزير الأعظم محمد كوبرلي لم يمهلهم، وصرف الوجهة إليهم، فقتلهم أجمعين على يد مرتضى باشا وأوقع القتل فيمن تبعهم من السكان وغيرهم على يد نواب البلاد، فقامت فتنة عظيمة، وقمع كبير، ربما كان السبب في هجرة الكثير من أهل تلك البلاد⁽¹⁾.

وقد كان حسن باشا - حسب "إعلام النبلاء" - ميالاً بطبيعته إلى الظلم والفساد، وسلب الأموال من الرعية وجمعها، ولا شك أن جواً كهذا سيدفع الكثير من أهل تلك البلاد إلى النزوح والهجرة عنها، وقد لا حظنا في تراجم رجالاتها في تلك لفترة أن لجلهم رحلة تطول أو تقصر، خارج حلب.

ثم خلف الوزير محمد باشا كوبرلي ابنه أحمد باشا كوبرلي "وكان عصره إلى أواسط مدته أحسن العصور، ووقته أنضر الأوقات، ولم يكن في الوزراء من يحفظ الدين وقوانين الشريعة مثله"⁽²⁾. وزحف هذا الباشا لفتح الثغور، فهزم ثوار المجر في وقعة عظيمة، وأتم غزو كريت باحتلال قلعة قندية سنة 1080 في حرب طالت سنتين، وكان انتصاره محل إعجاب من الجميع، نظراً لحصانة القلعة وبأس أهلها.

قال المحبي: "وأكثر الشعراء من التواريخ لهذا الفتح، وعملت القصائد العجيبة، حتى رأيت بعض الفضلاء أفرد الأسفار التي نظمت في ذلك وفي مدح الوزير، فبلغت شيئاً كثيراً"⁽³⁾.

هذه خلاصة أهم أحوال المشرق السياسية في الفترة قبيل هجرة مترجمنا إلى المغرب، وحول عموم الأوضاع هناك يقول الأستاذ عبد الفتاح الحلو: "وفي عهد هؤلاء السلاطين - العثمانيين - استطاعت الدول العربية أن تجد شيئاً من هدوء الحال الذي مكن العلماء والأدباء من الرحلة بين أقطارها، والتلقي عن شيوخها، والدرس والإفادة، مما أتاح للعلم والعلماء ازدهاراً عظيماً ونهضة شاملة"⁽⁴⁾،⁽⁵⁾...

أما في المغرب: فقد كان القرن الحادي عشر قرن حروب ومخاض، وافق نهاية حكم الدولة السعدية، وبداية الدولة العلوية، واستعمار السواحل المغربية من طرف الدول الأوروبية:

(1) "خلاصة الأثر" (4/ 311)، وانظر تفصيلاً في تلك الثورة في "إعلام النبلاء" (3/ 217).

(2) "خلاصة الأثر" (1/ 353).

(3) "خلاصة الأثر" (1/ 354).

(4) مقدمة كتاب "خلاصة الأثر" (3/ 4).

(5) استفدنا هنا كثيراً من دراسة الدكتور عمر موسى الباشا "تاريخ الأدب العربي - العصر العثماني".

إسبانيا والبرتغال وبريطانيا، علاوة على نهوض ممالك عدة في وسط البلاد نتيجة قيام الزوايا والطرق الصوفية بإعلان الجهاد لحماية البلاد من المحتل.

أضف إلى ذلك ما سبق من قوة الدولة العثمانية في المشرق، ومتاخمتها لحدود المغرب، وأطامعها فيه بعد أن احتلت الجزائر، وتهديدها الدائم باحتلال المغرب.

وقد حكم المغرب في بداية القرن السعديون الذين كان تضعضع ملكهم بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي بالبواب (ت 1012)، وتولي نجله زيدان، وكثرة ثورات إخوانه ورعاياه عليه. وما بلغت سنة 1079 حتى انتهت الدولة السعدية، وقامت محلها الدولة العلوية باحتلال مراكش، من طرف المولى الرشيد العلوي.

وتأسست الدولة العلوية سنة 1050، على يد السلطان محمد بن الشريف العلوي، ثم ما لبث أن تولى الحكم المولى الرشيد بن الشريف الذي عمل جهده على توحيد البلاد، ثم المولى إسماعيل بن الشريف، الذي حكم المغرب حوالي ستين سنة، بين عامي 1082 و1139، وكان حازما بقدر ما تحتاجه دولة مفتتة كالمغرب حينه، أقام السيف على الخارجين، وجمع شمل المغرب بعد تفرقه، حتى دان له المغرب وشنقيط، بل ووسط إفريقيا، واسترد الثغور، ونودي بفتح قرطبة وغرناطة. غير أن صرامة كتلك؛ كان لها أثرها على الوضع الاجتماعي والعلمي، بل والسياسي المغربي.

ولم تخل الفترة بين تشنت السعديين وتمكن العلويين من قيام ممالك، سواء أقامها ثوار قاموا لحفظ الحدود المغربية وحرب المستعمر، أو زوايا صوفية تربوية قامت لحرب الطوائف الضالة التي انتشرت بالمغرب، خصوصا طائفة العكاظين الشهيرة.

ومن أهم تلك الممالك: الدولة الدلائية، وقد امتد نفوذها وسط المغرب، واستتب ملكها بين سنتي 1067 و1079، ودخل محمد الحاج الدلائي فاسا وبايعه أهلها عام 1061. وكانت مركز إشعاع علمي، وثقافي وديني بالأخص، وتلمذ لها أعلام المغرب، وتخرجت عن الزاوية الدلائية زوايا كما في قسم الأوضاع الصوفية من هذه الترجمة.

ومن أهم الثورات التي أسست إمارات في تلك الفترة: ثورة أبي محلي سنة 1019، إثر تسليم المأمون السعدي مدينة العرائش للإسبان. فملك جنوب المغرب وسجلهاسة، ودخل مراكش.

وثورة أبي زكريا الحاحي سنة 1022، إثر هزيمته لأبي محلي على أبواب مراكش، بطلب من السعديين، وقضى الفترة بين 1022-1035 تاريخ وفاته، في محاولة الاستقلال بالجنوب

وأبو حسون السملالي السوسي، الذي أسس مدينة إيليج، بمنطقة سوس، واحتل درعة ثم سجلها سنة، واستمرت دولته فيه وابنه محمد إلى أن أخرجه المولى الرشيد بن الشريف العلوي منها، وخرّبها سنة 1081.

وثار المورسكيون في الرباط وسلا سنة 1037، وأعلنوا بها جمهورية خارجة عن السلطة المركزية، وتعاونوا في بعض الفترات مع إسبانيا ضد المغرب، فأفتى الكثير من العلماء بكفرهم واستحلال دمهم، إلى أن انقضت إمارتهم على يد المولى الرشيد حوالي سنة 1077⁽¹⁾.

كما اتسمت تلك الفترة بنفوذ واسع لمجموعة من المجاهدين الذين حاولوا جهدهم إخراج النصاري من الثغور؛ خاصة أبي عبد الله محمد بن عبد الله العياشي السلوي، والخضر غيلان الكرفطي، وأحمد حجي، الذين كان لجهادهم تأثير كبير على الساحة المغربية⁽²⁾.

والحاصل؛ ما انتهى القرن حتى توحدت البلاد، وتحررت الثغور، وازدهر العلم ونفقت سوقه، وكثرت الخيرات والنعيم.

ب- أدباً:

في المشرق: شهد القرن الحادي عشر - كما مر - طغياناً للدولة العثمانية وهيمنة لها على العالم العربي، وهي الدولة التركية المفتخرة بقوميتها، وبغض النظر عن كونها حمت العالم العربي من الغزو الاستعماري في القرن العاشر فما بعده، وشكلت بوتقة للاستقرار الحضاري والسياسي إلى حد كبير، فإن هيمنة تلك الدولة - الخلافة بثقافتها ولغتها، شكلت نوعاً من التنافس وإثبات الذات لدى الرجل العربي، ما انطبع بشكل واضح على الحياة الأدبية والعلمية لتلك المنطقة.

أضف إلى ذلك تطور الأحداث السياسية والاجتماعية، وتكاثر الثورات الداخلية من جهة، والزحف الإسلامي نحو أوروبا من جهة أخرى، مع وجود ولاية وسلاطين أشداء، فرضوا هيبتهم، وذكرهم على الفرد والمواطن، بحيث شهد العصر العثماني تطوراً في الشعر العربي، إذ جنح نحو المزيد من التصنع في الفنون والأغراض المختلفة، فلم يقتصر على المعاني والأغراض التقليدية، وإنما أدخلوا بعض الاتجاهات الجديدة في صنع الألغاز

(1) انظر "الإتحاف الوجيز" ص 30، والندوة العلمية حول الرباط وسلا (1/ 187)، بقلم محمد رزوق جمعية رباط الفتح).

(2) كتبت عن هذه المرحلة في المغرب عدة أبحاث ودراسات، ومن أهم مصادر تلك المرحلة كتاب: "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"، لتلميذ المترجم العلامة محمد الصغير الإفرائي. طبع بالمغرب بتحقيق الدكتور عبد اللطيف الشافلي، وكذا انظر الجزء السادس من كتاب "الاستقصا لتاريخ المغرب الأقصى"، لأحمد بن خالد الناصري. وقد استفدنا من مقدمة الأستاذ حسن جلاب لكتابه: "أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي: عالم الزاوية الدلائية وأديبها".

والأحاجي والمعميات، حتى أصبح لكل فن منها استعماله الخاص وأسلوبه المميز، يضاف إلى ذلك انتشار فن التأريخ في الشعر والنثر، إذ كانوا يتغنون في هذا الباب، فلكل حادث وعلم تأريخ في آخر شطر من القصيدة طبقاً لقواعد حساب الجمل⁽¹⁾.

ومن ناحية اجتماعية؛ فقد انتشرت عدة لغات أعجمية بالشرق العربي؛ كالفارسية والتركية خاصة، والكردية والشركسية، بحيث أصبح إتقان اللغات ضرورياً لكل متأدب أو سياسي، ولا شك أن بتعريف اللغة بأنها: بوثقة للحضارة، فإن انتشار تلك اللغات، وتدرس الطبقة المثقفة بها؛ يعني تلاقحاً حضارياً وفكرياً ستكون له بصمته الواضحة على أدبيات تلك المرحلة.

ومن مميزات الأدب العربي في المشرق في تلك الفترة: ظهور الاهتمام بالأدب العربي في شتى الأقاليم، كما لوحظ الاهتمام بالتحدث عن كل بلد على حدة، ليتبلور الشعر الحلبي، والشعر الدمشقي، والمصري، والعراقي... إلخ، كما استمر التخصص الوراثي في الأدب، متجلياً في ظهور أسر تخصصت في الأدب جيلاً بعد جيل، كما تخصصت أسر أخرى في الفقه أو في الحديث.. إلخ.

ومن أهم ما تميز به شعر المشرق في تلك الفترة: ظهور النزعة العربية بشكل واضح، بحيث كثر في شعر تلك المرحلة المحافظة على التقليد الشعري العربي القديم، فلم تفسده بعض التيارات الشعرية المولدة، وإنما "لاحظنا أن بعض هذا الشعر قد أغرق في التزام الصناعة البلاغية من علوم البيان والبدیع والمعاني..."⁽²⁾.

غير أن الملاحظ هنا؛ قلة اعتناء شعراء تلك الفترة - في المشرق - بالمدح النبوي، أو اعتنائهم بالنبويات، وهذه ظاهرة عرفت في المشرق في العصرين المملوكي والعثماني⁽³⁾، وهي خلاف ما سنجده من اعتناء المغاربة بالنبويات والمولديات.

وعند رجوعنا إلى حلب وتاريخها، نجد أنه لم يكد يعرف عالم من علمائها إلا وهو أديب مفلق، أو شاعر متمرس، له في فنون البلاغة والشعر السهم الصائب، وكأنها كانت معقلاً من معاقل الأدب في تلك الفترة، ومن ضمن أبرز شعرائها: محمد بن أبي بكر التقوي (ت 1061)، ومحمد بن عمر العُرضي (ت 1071)، ويوسف البديعي (ت 1073)، ويوسف بن عمران الشاعر (ت 1074)، ومحمد بن فتح الله البيلوني (ت 1085)، وموسى الراحماني (ت 1089)، ورجب بن حجازي (ت 1091)، ومصطفى بن عبد الملك البابي (ت 1091)،

(1) انظر تفصيلاً في ذلك "تاريخ الأدب العربي - العصر العثماني" ص 76 فما بعدها.

(2) "تاريخ الأدب العربي" ص 47. واستفدنا كثيراً من مقدمة الكتاب.

(3) "تاريخ الأدب العربي" ص 253.

وباكير بن أحمد بن النقيب (ت 1094) وغيرهم⁽¹⁾.

أما في المغرب: فقد كان الأمر مختلفاً من جل النواحي، فقد اتسم القرن الحادي عشر - كما مضى - بالفتن والقلقل، وهو أمر أنتج عدم الاستقرار الاجتماعي، ومن ورائه الاستقرار الفكري والثقافي والأدبي.

أضف إلى ذلك أن المغرب لم يعرف انصهاراً تركياً أو فارسياً، وبالرغم من استعمار أطراف منه من قبل الأوروبيين، فإن ذلك لم ينتج اندماجاً أو تلاقحاً ثقافياً. وبالرغم من كون جل المغاربة برابري، فإن لغة الثقافة والكتابة كانت عبر تاريخ المغرب هي اللغة العربية، وكتب الأدب الرائجة كانت: المعلقات العشر، ودواوين المتنبي وأمثاله، وكتب الأدب الأندلسية، وهو أمر جعل أمر اللغة متيناً عريقاً، أظهر أثراً بالغاً في الشعر المغربي.

وقد كان زمن أحمد المنصور السعدي (ت 1012) زمن علم وأدب، وشعر وبلاغة، كثر فيه الأدباء، وتفنن الشعراء، نظراً لكونه زمن ازدهار واستقرار، واعتناء الملك المذكور بتلك الفنون، فظهر أمثال أحمد المقرئ (صاحب "نفح الطيب")، وعبد العزيز ومحمد الفشتالين، والحسن الشامي وأضرابهم، ظهوروا بإبداعاتهم ومؤلفاتهم⁽²⁾.

وما أن توفي المنصور الذهبي حتى انقلبت الحال غير الحال، وكثرت الفتن والبلابل - كما مر ذكره - في عموم البلاد المغربية، مدنا وقرى، فجفت القرائح، وهمدت اللواعج، وقل الاعتناء بفنون الأدب والشعر، "فمراكش وفاس عاشتا طيلة هذه الفترة اضطرابات وحروباً بين أبناء المنصور، جعلت العلماء والشعراء يغادرون المدينتين إلى القرى الآمنة، وجاءت حادثة تسليم الشيخ المأمون العرائش إلى الإسبان، وحمله العلماء على الإفتاء بصحة تصرفه هذا لتعجل بفرار باقي العلماء من فاس"⁽³⁾.

أما الناحية الأدبية في تطوان في أوائل القرن وأواسطه؛ "فلم نعرف عنها شيئاً مهماً، وأما في أواخره؛ فيظهر أنها بقيت ضعيفة في الجملة"⁽⁴⁾.

وما أن استقرت البلاد سنة 1080 فما بعدها، وهي سنة قدوم مترجمنا المغرب، حتى ازدهر الأدب والفن، ودبت الحياة في المدن كما كانت من قبل، وبرع أدباء كبار كان لهم عطاء متميز في الشعر والنثر.

(1) انظر تراجم الجميع مسطورة في "إعلام النبلاء" الجزء السادس، وبعضهم خص بدراسات خاصة.

(2) انظر تفصيلاً في هذه المرحلة في: "المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور" لأحمد بن القاضي المكناسي، و"الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين". لمحمد حجي.

(3) "أبو عبد الله محمد المرباط الدلائي: عالم الزاوية الدلائية وأديبها". ص 110، تأليف د. حسن جلاب.

(4) "تاريخ تطوان" (1/ 427)، تأليف محمد داود.

أما خارج المدن؛ فقد كان الأمر مختلفاً تماماً، فقد عرفت منطقة سوس في ولاية أبي حسون السملالي ازدهاراً أدبياً وثقافياً كبيرين، خاصة بعد تأسيسه مدينة إيليج، التي جعلها كعبة للعلماء، ومحطاً للأدباء، واستمرت أزيد من ستين سنة، "وكما أشادت بالعلماء أشادت بالأدباء، فرأينا الشعراء الجزوليين يشيدون بمجد إيليج" ⁽¹⁾، وقد ترجم العلامة محمد المختار السوسي لجملة من أعلامها وأدبائها في القرن المذكور بين صفحات ومجلدات موسوعته "المعسول".

أما في المملكة الدلائية؛ فقد كان الأمر مخالفاً تماماً، فقد كانت بها سوق للعلم رائجة، ومعالم للأدب والشعر بارزة، وشعراء قورنوا بشعراء العصر الذهبي في الأندلس والمشرق، وبلغاء استثمروا ما وهبوه من المعارف الواسعة، وجمال الطبيعة الخلابة، والاستقرار السياسي، فذبجوا من القريظ ما يفتخر به الزمان، ومن المنثور والمنظوم ما بزوا به ابن العماد وسحبان، كتبوا الموشح والزجل والعتيق، وجاؤوا من سحر البلاغة وعذوبة الألفاظ ولطافة المعنى بالصهباء والعتيق. وما زال شعرهم وأدبهم يدرس إلى الآن، وهو حري بأن يكون مدرسة مستقلة في الأدب العربي لا غنى عن البحث فيها.

كما عرفت مرحلة القرنين العاشر والحادي عشر - خاصة - هجرات الأسر الأندلسية والموريسكية من الأندلس للمغرب، فجاءوا بكتبهم وقرائحهم وفنونهم، واندمجوا في المجتمع، كما تسبب غزو المنصور السعدي لتبكتو سنة 999، وجلبه من سباهم "عبيدا" منها، وكان فيهم علماء كبار، وأدباء بليغون كأحمد بابا التبكتي وأمثاله، في زيادة التلاحق الثقافي والفني، والازدهار العلمي والأدبي، الذي وإن كان خمد في بعض المناطق لظروف سياسية، فإنه ما فتىء أن تفتق لينتج إبداعات متميزة.

وما استقر المغرب في نهاية القرن، حتى اندمجت المدن والمناطق والثقافات بأعلامها، وازدهرت سوق للأدب نافقة، وسيول للقرائح دافقة، هيجتها حروب المولى إسماعيل وتحريره للشعور المغربية، واسترداده جميع ما كان ضاع من المدن والبلاد.

ومن أهم المواضيع الشعرية التي كتبوا فيها: الحماسة، والمدح، خاصة مدح الملوك، والشوق والحنين، والرثاء، والتوسلات، والمنظومات العلمية، ولعل أهم موضوع برع فيه شعراء المغرب؛ هو: المدح النبوي، فلا تكاد تجد شاعرا إلا وكتب فيه، وقد يستغرق جل شعره في المدح النبوي والمولديات والشوق لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، حتى أتوا في ذلك بالعجب العجيب، وهو أمر تميزوا فيه عن أدباء المشرق.

ومن أهم شعراء وأدباء تلك الفترة، والذين قيس بعضهم بشعراء الجاهلية، والعصر

العباسي: السلطان محمد الحاج الدلائي (ت 1082)، والحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102)، ومحمد المرباط الدلائي (ت 1089)، وأحمد بن عبد الله الدلائي (ت 1091)، وأحمد الدغوشي، وأبو عمّر الدلائي، والطيب ابن المساوي، وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري (ت 1096)، ومحمد بن قاسم بن زاكور (ت 1120)، وأحمد بن عبد القادر التستاوتي (ت 1127)، وأحمد بن محمد عمّور... وجلهم كما كانوا بحارا في الأدب، كانوا بحارا في العلم والمعرفة.

"وبعد؛ فإن العصر الذي جمع بين طياته هذا العدد من الشعراء، وهذا المستوى الجيد من الشعر؛ يعتبر عصر ازدهار شعري" ⁽¹⁾.

ج- تصوفاً:

ففي المشرق؛ كان بحكم اتساع رقعته، وكثرة شعوبه، وغنى دولته، ووسع صحرائه، موئلاً للبدخ والقصور، والترف الدنيوي، وفي نفس الوقت كان مهداً للحكماء والمشايخ العارفين، وشيوخ التربية الذين تحملوا أسانيد التصوف جيلاً وراء جيل، وزمناً بعد زمان، ولذلك كثرت الطرق الصوفية به، وكثر مشايخ التربية الذين كان لهم دور مهم في تهذيب المجتمع وتربية الناس.

"فقد انتشرت الزوايا والخوانق والربط في كل مكان، كما تعددت فرق المتصوفة، وتباينت طرقهم ومذاهبهم، وقد ساعد السلاطين العثمانيون على انتشار التصوف، فالمعروف عن السلطان مراد الأقدم أنه: كان له في علم التصوف المهارة الكلية" ⁽²⁾.

غير أن تصوف المشرق لم يكن - في كثير من الأحيان - متمسكاً بظاهر الشريعة، فقد "كان لحشيشة الفقراء دورها بين العلماء وفقراء المتصوفة وسائر الفئات من الناس، يضاف إلى ذلك انتشار التبغ وقهوة البن" ⁽³⁾. ولا شك أن ذلك كان بين طرق لا يديرها العلماء، وإلا؛ فإن طريق التصوف مبنية على الاتباع وترك الابتداع كما لا يخفى.

والجدير بالذكر؛ أن التصوف في المشرق - في العموم - خاصة في بلاد الشام، كان يختلف عن التصوف في المغرب في أمور، أهمها: أن الطرق الصوفية، أو: الأربطة، في المغرب كانت مراكز لتعليم العلوم الشرعية، وإيواء المحتاجين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل وكثيراً ما كانت تخرج منها الجيوش لمحاربة المستعمرين، وهي وراثية لسنة الأدارسة كما أوضحته في مقدمة تحقيقي لكتاب "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن".

بخلاف المشرق؛ فقد كانت الزوايا - في العموم - تكايا وخانقاه، يتبتل فيها المريدون،

(1) حسن جلاب "أبو عبد الله محمد المرباط الدلائي..." ص 119.

(2) "الدين والادب" ص 32.

ويتشبعون بالأخلاق الدينية، والزهد والابتعاد عن الدنيا وأهلها، مع التفرغ التام للعبادة، والبحث عن المواجهيد والأحوال، والواردات والإشارات، بحيث كان دورها التنظيمي والإصلاحي في المجتمع محدوداً جداً، ولذلك لم تكن تشكل - في العموم - خطراً سياسياً، ولا مؤثراً فاعلاً في المجتمع.

ومما انتشر في تلك الفترة: التصوف العرفاني، وهو تصوف الحكم والمعارف الربانية، الذي يصطلح عليه عند البعض بالتصوف الفلسفي، بمعنى التعمق في النظر، لا بمعنى الفلسفة العقلية الساذجة، واعتنى صوفية ذلك الوقت بكتب الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الحاتمي قدس سره، وكتب تلامذته وأتباع مدرسته، ومن أعظم رواد هذا النوع من التصوف: الشيخ عبد الغني النابلسي (ت 1143)، وهو أديب كبير، وعالم متميز، وشيخ من أعظم الشيوخ رضي الله عنه. ومن ضمن شيوخ التربية والسلوك: الشيخ أبو سعيد الخادمي: (ت 1173). كما كان متصوفة المشرق يتميزون باللبسة خاصة، وألوان خاصة تميزهم عن غيرهم، وتميز كل طريقة عن الأخرى..

أما الطرق الصوفية المنتشرة حينه في المشرق عموماً، وفي حلب على وجه الخصوص؛ فهي: الطريقة الشاذلية، بفروعها: الوفاية خاصة. والرفاعية، والنقشبندية، والنقشبندية النورية، وهي من أكثرها انتشاراً، هي والقادرية، والكلشنية، والخلوتية، والسعدية.

ومن أبرز شيوخ الطرق الصوفية بحلب خاصة، في تلك الفترة: أبو الوفا بن محمد السعدي (ت 1010)، وأحمد بن محمد السعدي (ت 1034)، وعبد القادر بن محمد قضيب البان النقشبندي (ت 1040)، وإخلاص الخلوتي (ت 1074)، ومصطفى دادة القيصري (ت 1074)، وإسماعيل الكلشني (ت 1076)، ومحمد غازي الخلوتي (ت 1081)، وقاسم ابن صلاح الدين الخاني (ت 1109)... وغيرهم.

أما في المغرب؛ فقد عرف هذا القرن ازدهاراً كبيراً للتصوف، خاصة الطريقة الشاذلية، بفروعها الزروقية والجزولية، وقد مثلتها ثلاث زوايا كالتالي:

1. الطريقة الدلائية في وسط المغرب؛ والتي تفرعت عنها الطريقتان العياشية والناصرية. وتكونت منها الإمارة الدلائية.

2. والطريقتان الريسونية والوازانية؛ وهما في الأصل امتداد لمدرسة مولانا عبد السلام بن مشيش الأصلية، وإن كانت مستقاة من المدرسة المذكورة. ولم تتفرع عنها مدارس طرقية مستمرة، غير أنها - لوحدها وثبوت كيانها - كان لها تأثير تربوي على مختلف الطرق الصوفية في المغرب؛ خاصة الطريقتين الناصرية والدردقاوية، غير أنها أنتجت من تلامذتها

المربين والعارفين بالله من لا يحصى كثرة، خاصة مدرسة سيدي محمد ابن الفقيه الزجني، صاحب الزاوية برشم العيون من فاس، وهو معاصر لصاحب الترجمة، وكانت بينه وبين أصهاره الشرفاء الكتانيين علائق خاصة جدا وصلت إلى مصاهرتهم ببنته.

3. والطريقة اليوسفية الفاسية نسبة لأبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي الفهري؛ وهي خلط في التأثر من تصوف المشرق والأندلس والمغرب، وقد استمرت مشيخة هذه الطريقة في البيت الفاسي حياة الشيخ أبي المحاسن - المؤسس - وشقيقه العارف عبد الرحمن (976 / 1569 - 1036 / 1626)، وعنها خرجت الطريقة المعنية التي كان شيخها الشيخ محمد بن عبد الله معن الأندلسي، ثم ابنه أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، المعاصر لصاحب الترجمة، ومنها انتشرت فيما بعد الطريقة الدرقاوية بفروعها⁽¹⁾.

كما عرف من الطرق الصوفية النافذة: الطريقة السملالية، والطريقة التادلية اللتان كان لهما دور كبير في التاريخ المغربي تلك الفترة، وتعرضتا للاضطهاد في بداية الحكم العلوي.

وعلى العموم؛ اعتنى مشايخ تلك الزوايا بالسلوك والتربية ونشر العلوم والمعارف، ولم يتعمقوا في الكتابة في المعارف الإلهية إلا في نطاق محدود، كما اعتنوا بالجهاد ومحاربة العدو المحتل، فأبلى كثير منهم بلاءً كبيراً كما تقدم، حيث كان كبار المجاهدين زعماء لطرق صوفية في نفس الوقت.

وعلى خلاف المشرق؛ فقد كانت الزوايا الصوفية في المغرب معاهد علمية، وكان شيوخها أئمة وزعماء في نفس الوقت، فكانت تدرس كتب الفقه والحديث والأدب، وغيرها من العلوم الإسلامية، في نفس الوقت الذي كان شيوخها يتصدرون لتربية المريدين، وتثقيفهم، وإفحامهم بالروح الدينية والجهادية.

كما كانت الزوايا خيريات تفتح أبوابها للمنقطعين والمعوذين، وتطعم الطعام، وتحمي المستجير والملهوف، وتكفل الأيتام، فكانت قريبة للمجتمع، قريبة من مشاكل أهله.

وبقدر ما كان للزوايا من النفوذ في المغرب نصف القرن الحادي عشر، بقدر ما تربص بهم المولى الرشيد بن الشريف، وتبع الزوايا الدلائية، والناصرية، والتادلية، والسملالية، وزاوية الخضر غيلان، بالهدم والتخريب تارة، وبالتضييق أخرى، إلى أن تولى المولى إسماعيل فأثر المهادنة والسياسة على المجابهة، واجتمع عليه المغرب في ملكه كما مضى.

ومن ضمن كبار شيوخ التربية في المغرب حينه: أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي (ت 1013)، وعبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت 1036)، ومحمد بن أبي بكر الدلائي

(1) انظر مقدمتنا لمرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، لشيخ الإسلام محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري.

(ت 1046)، ومحمد بن ناصر الدرعي (ت 1085)، وعلي بن عبد الرحمن الدرعي (ت 1091)، ومحمد بن عبد الله معن الأندلسي (ت 1062)، وقاسم الخصاصي (ت 1083)، وعبد الله الشريف الوزاني (ت 1089)، وعلي العكاري (ت 118)، وأحمد بن محمد بن عبد الله معن (1120) ... وغيرهم كثير.

د- فقهاً وعلماء:

فقي المشرق؛ تعتبر هذه الفترة عند الكثير ممن كتبوا في تاريخ التشريع الإسلامي من حيث العمق، فترة ركود وتخلف علمي، وانقطاع للاجتهد.. غير أن لي رأياً آخر كنت بسطته في مقدمتي لكتاب "الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب" للإمام أبي المزايا محمد إبراهيم ابن أحمد الكتاني رحمه الله تعالى، فالاجتهاد لم ولن ينقطع قط، إنما وسائل طرحه تغيرت بحسب حاجة ذلك الزمان. أما بالنسبة لانتشار العلم ودراسته؛ فقد سبق عن الأستاذ الحلو أن هذا العصر كان عصر ازدهار نتيجة للاستقرار السياسي.

وبنظرة فاحصة للقرنين العاشر والحادي عشر؛ نجد أن أكثر المذاهب ازدهاراً كان المذهب الحنفي، والمالكي، ثم الشافعي، ولولا ظهور الثورة السعودية الحنبلية في القرن الثاني عشر فما بعده، لانقرض المذهب الحنبلي، إذ كان وجوده منحصراً في مصر وفلسطين والشام ونجد، ولم تكن له مدارس ترعاه، ولا دولة تحمله.

ويعود ازدهار المذهبين الحنفي ثم المالكي لوجود دول قوية تعتمدهما في نظام الحكم، فالدولة العثمانية في المشرق، والهند وما جاورها كانت تعتمد المذهب الحنفي، والدولة المغربية وممالك إفريقيا كانت تعتمد المذهب المالكي، فكان البحث العلمي في إطار هذين المذهبين مزدهراً نشطاً. أما المذهب الشافعي فقد رعته ممالك في جنوب اليمن، وفي جنوب شرق آسيا، غير أن الاضطرابات السياسية والعسكرية والاجتماعية في تلك المناطق لم تسمح له بالظهور والتبلور بمقدار ما سمحت للمذهبين المذكورين.

غير أن القرنين العاشر والحادي عشر كانا بالنسبة للمذهب المالكي، قرني تحرير وتهذيب للمذهب، برزت فيه شروح مختصر خليل، الذي ضم جل فروع المذهب، وأهم مدرسة برزت في المذهب المالكي كانت مدرسة الأجازة في مصر، ممثلة في تلامذة الإمام علي الأجهوري (ت 1066)، ولم يكن للمذهب المالكي حضور في اليمن ولا الشام، وكان حضوره بارداً جداً في الحجاز والأحساء.

وبالنسبة للمذهب الشافعي؛ فقد نخل المذهب أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت 974)، وصار إليه، أنه المجمع، وافتواه القطع، خاصة في اليمن، والحجاز وتوابعهما، كما نخله بمصر

محمد بن أحمد الرمي، (ت 1004)، وعليه العمدة في تحرير المذهب الشافعي في مصر. وبقدر ما تميز فقهاء اليمن بالتقليد والاتباع، بقدر ما تميز فقهاء مصر بالنقد والتعليل.

أما المذهب الحنفي؛ فقد رعته الدولة، وصار هو قانونها التشريعي والمدني، وكان شيخ الإسلام في العادة حنفي المذهب، وقد انتشر هذا المذهب في تركيا والشركس، وكان المذهب السائد فيها، وفي الشام، ومصر، وتونس، والحجاز.

أما في حلب؛ فنجد أن المذهبين السائدين فيها كانا: المذهب الحنفي بالدرجة الأولى، ثم الشافعي بالدرجة الثانية، أما المالكي فلم يكن له وجود، والحنبلي؛ كان مقتصرًا على منطقة إدلب وبعض الضواحي.

ويظهر أن حلب لم تكن دار علم، بقدر ما كانت دار تصوف وأدب، غير أنه نشأ فيها في الفترة المذكورة علماء وفقهاء تولى بعضهم مشيخة الإسلام في الآستانة.

ومن علمائها الشافعية: محمود بن محمد البيلوني (ت 1007)، ومحمد بن أحمد الملا (ت 1010)، ومحمد بن علي الراحمداي (ت 1019)، وعمر بن عبد الوهاب العرضي (ت 1024)، وأبو الوفاء بن عمر العرضي (ت 1071)، ومحمد بن عمر العرضي مفتي المذهبين (ت 1071)، ومحمد بن محمد البخشي (ت 1098)... وغيرهم.

أما علماءها الحنفية؛ فمنهم: محمد بن أحمد بن قولاقسز (ت 1021)، وأحمد بن محمد الكواكبي (ت 1023)، وإبراهيم بن أحمد الكواكبي (ت 1039)، وأبو الجود البتروني (ت 1039)، ومحمد غلامك اليوسنوي (ت 1045)، وعبد الرحمن بن حسام الدين قاضي الخلافة (ت 1081)، ومحمد بن حسن الكواكبي (ت 1096)... وغيرهم.

أما في المغرب؛ فالمذهب فيها واحد، وهو المذهب المالكي، وهو مذهب دولة وحياء، ونظام حكم، وهو استمرار قديم، ومدرسة واحدة منذ دخول الإسلام للبلاد، ولم يكده يعرف بها مذهب آخر خلا الظاهرية، سوى في نطاق ضيق جداً، والمذهب الظاهري نفسه انقرض منذ الموحدين.

وقد اتسمت الفترة بين القرنين العاشر والحادي عشر بركود علمي وثقافي، باستثناء نهضة في عهد أحمد المنصور الذهبي، وإن كانت أسباب الازدهار من نواح متوفرة، كتزوح الأندلسيين والموريسكيين إلى المغرب، وورود أعلام تنبكتو عليه، خاصة الإمام أحمد بابا التنبكتي.

غير أن كثرة الحروب والقلاقل، والفتن التي طالت العلماء خاصة، كفتنة العرائش التي تأتي الإشارة إليها، أخذت من نشاط العلماء، خاصة في المدن الكبيرة، ومنها فاس.

ولم يمنع ذلك من بروز أعلام كبار، تركوا بصمات مهمة في تاريخ المغرب العلمي،

كالحسن بن مهدي الزيات، وآل الفاسي: أبي المحاسن يوسف بن محمد، وأبنائه، وأخيه عبد الرحمن. وأبي القاسم بن أبي النعيم الغساني، وعبد الواحد بن عاشر، ومحمد بن أحمد ميارة... إلخ. واتسمت هاته الفترة بشيوع كتب النوازل، والاعتناء الكبير بثلاثة كتب: مختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، و"المرشد المعين" لعبد الواحد بن عاشر الأندلسي ثم الفاسي. وما توسط القرن حتى بدأ ازدهار علمي كبير كان نتيجة بروز الشيخ أبي السعود عبد القادر بن علي الفاسي الفهري ومدرسته، وانكباب أئمة الزاوية الدلائية على فاس نتيجة سقوط دولتهم.

أما مراکش؛ فقد كان جو العلم فيها خاملاً، ومعاهد الدروس فارغة، حتى ملأ سوقها على خجل أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيثي ومن أخذ عنه، ولا كذلك تطوان التي قال فيها اليوسي حين زارها:

| | |
|------------------------------|--|
| وأود لو كانت مجالس بينهم | يضحين في سبل الهداية معلما |
| وشجا الحشا أن لم أجد من عالم | يهدي الوري فيها ولا متعلما |
| أن لا يسير صباة من ذي حجا | لصابة بالعلم أضحي مغرما ⁽¹⁾ |

غير أنه - خلافاً للعادة - كانت بالبادية وخارج المدن سوق للعلم رائجة، وتجارة للأدب والشعر نافقة، أعني بذلك: الزاوية الدلائية، التي قال عنها أحمد بن خالد الناصري: "كانت إليها الرحلة في المغرب، لا يعدوها الطالب، ولا يأمل سواها الراغب"⁽²⁾، وخرجت من هذه المدرسة عدة مدارس علمية في سوس، ودرعة، وآيت عياش، وكان لتلامذتها دور عظيم في نشر المعارف وحفظ الدين في شتى مناطق المغرب، إلى أن خربت كما سبق سنة 1079، وانتشر أعلامها في مختلف مدن البلاد، خاصة مدينة فاس.

وأهم حادثتين امتحن فيهما علماء المغرب بين القرنين الحادي والثاني عشر؛ هما:

- فتنة تسليم العرائش للبرتغاليين، ذلك أن السلطان زيدان السعدي قرر تسليم مدينة العرائش الساحلية، ذات الأهمية الكبرى إلى البرتغاليين سنة 1019، فأراد أن يبرر فعلته بفتوى للعلماء يعلنون له إباحة ذلك اتقاء لضرر استعمار المغرب من قبل البرتغال. وامتحن العلماء من أجل ذلك، حتى هاجر منهم من هاجر، فارا بدينه، ووافقه من تحاذل، وجابهه الخاصة؛ ومنهم: الإمام محمد الحاج البقالي الأغصاوي، الذي تربص به الملك إلى أن قتله عام 1017.

- وثاني الفتنتين: فتنة تمليك الحراطين. ذلك أن المولى إسماعيل بن الشريف العلوي قرر

عام 1108، أن كل من هو أسود، أو أصله من العبيد، أنه عبد يجب تملكه من قبل الدولة، وأسس بهم جيشاً كبيراً سماه جيش عبيد البخاري، فقامت فتنة في البلاد، ونهب ومصادرة لكل من اعتقد أنه من تلك الفئة، فأراد السلطان تبرير قراره بفتوى العلماء، وألزمهم بذلك، فأفتى جلهم بعدم الجواز، ثم تتبع الملك فتواهم وأصر على تغييرهم لها، فواجهه من واجهه، وانزوى في بيته عن الناس من انزوى - كصديق المترجم الإمام محمد بن عبد القادر الفاسي - ومن جابه السلطان بشدة؛ الإمامان عبد السلام بن حمدون جسوس، الذي انتهى به المطاف إلى الاستشهاد خنقاً في السجن سنة 1121، والقاضي محمد العربي بردلة الذي عزل فيما بعد. وتأتي في خضم الترجمة أسماء جملة من أعلام تلك الفترة، وهم من الكثرة بمكان، حيث كانت العادة أن كل من تعلم اتجه إلى الفقه، وكان للفقهاء احترام كبير بين الناس، وتوقير عظيم من السلطان.

الإمام الحلبي: اسمه ونسبه وولادته:

هو الشيخ الإمام، الفقيه المشارك، الأديب الشاعر المبدع، الكاتب الناثر، الناظم صاحب المقامات، المحب العاشق في الجناب النبوي، والمتعلق بأله الكرام، الرحالة أبو العباس أحمد بن عبد الحي الواسطي ثم التدمري ثم الحلبي موطناً، القرشي العوفي نسباً، نسبة إلى عبد الرحمن بن عوف، الصحابي الجليل رضي الله عنه. يرجع أصل أجداده إلى مدينة تدمر العتيقة التي تقع بين الشام والعراق، وينتهي نسبه - حسبما ذكر أنه سمعه - إلى الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة⁽¹⁾.

قال حافظ الدنيا الشيخ عبد الحي الكتاني في "ترقية المريدين"⁽²⁾: "ورأيت مؤرخ المغرب أبا القاسم الزياتي يصفه في كثير من مؤلفاته بالشريف. والله أعلم بالواقع في ذلك". قلت: والشيخ نفسه لم يدع ذلك لنفسه، فلا يعول على ذلك. والله أعلم.

قال في "الدر النفيس"⁽³⁾: "خلقت ونشأت أنا وآبائي وأجدادي في مدينة حلب من أرض الشام، وهي الأرض المقدسة، وكان أصل أجدادي قبل ذلك من مدينة تدمر". وكان مولده بمدينة حلب، الواقعة بسوريا، شمال شرقيها، في حوالي عام 1050⁽⁴⁾ حسبما

(1) المراكشي العباس بن إبراهيم، كتاب: "الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام" / ج 2، الطبعة الملكية-الرباط: 1394 هـ / م، ص: 331.

(2) "ترقية المريدين" ص 12.

(3) "الدر النفيس" (ص 5، م 53). طبعة حجرية.

(4) "عقد الزمان" ج 1، ص 10.

لجد والدنا الإمام أبي الفداء محمد الزمزمي الكتاني في مذكراته، غير أنه يعكر عليه ما ذكره المترجم نفسه في "كشف اللثام" من أنه اجتمع بالبصرة بشيخه الرفاعي عام 1070 حين كان "صغيراً جداً". فيكون بهذا الاعتبار ولد حدود عام 1060 فما بعدها، ويوافقه كونه تزوج عام 1090 كما يأتي بإذنه تعالى، غير أنه يعكر عليه كذلك ما وصف به نفسه في بعض قصائده بمشيبه واحديداب ظهره، كقوله:

بديلكَ لم أجِدَ واللهِ غوثاً فظهري من همومي في انحذاب

وقوله:

أنكسَ عنده رأسي حياءً إذا وافيتُ من باب السلام
وأمسحُ شيتي ومَصُونٌ خدي بُثِرَ ضم مصباح الظلام [171]

إلا أن يكون انحدا به من باب المبالغة الشعرية، والمقصود طأطأة الرأس تفكراً وهماً، ويكون المشيب اعتباراً بأنه شاب مبكر، إذ يقول في قصيدة أخرى:

براه الشوق والتبريحُ جسماً فنال الشيبَ في زمن الشباب

كما أنه على افتراض ذلك التاريخ، سيكون دخل المغرب وهو دون العشرين من العمر، فهل يستقيم ذلك مع كونه مرجعاً في فقه الشافعية، ومع علومه الكثيرة، ورحلته الواسعة، ووصف الشيخ عبد القادر الفاسي له بالأخ، وكونه رفيقاً لابنيه محمد وعبد الرحمن كما يأتي؟. إلا أن يكون نبوغاً خارقاً، ولا يبعد.

فنشأ المترجم بحلب، وأخذ بها عن أعلامها، وأئمتها، ولم نقف على ذكر اسم أي منهم، ولكن ذكر العلامة محمد راغب الطباخ رحمه الله في المجلد السادس من كتابه "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء"، جملة من علمائها ممن تبرز للتدريس بحلب في تلك المرحلة، وغالب الظن أن المترجم أخذ عنهم:

منهم: محمد بن فتح الله البيلوني (ت 1085)، "كثير الأدب، راوية للشعر والوقائع، خبير بصناعة النقد، غواص على دقائق الأدب" (1).

ومنهم: باكير بن أحمد ابن النقيب الحلبي. "كان عارفاً باللغة والأدب حق المعرفة، ولم يكن من أدباء عصره أكثر رواية منه للنظم والنثر... دأب في تحصيل المعارف حتى رقي ذروة في الفضل عليه" (2).

ومنهم: محمد بن حسن الكواكبي (ت 1096). "خاتمة المحققين على الإطلاق، وفدلكة

(1) "إعلام النبلاء" (6 / 329).

(2) "إعلام النبلاء" (6 / 353).

مفردات المفسرين بالاتفاق، سلطان العلماء الأعلام في عصره، وواحد أساطين الإسلام في عصره... " (1).

ومنهم: محمد بن محمد البخشي الشافعي (ت 1098). "المحدث الفقيه الصوفي، العذب الطريقة، كعب الأحبار" (2).

ومنهم: قاسم بن صلاح الدين الخاني (ت 1109). الصوفي المدرس الصالح، مفتي الشافعية والحنفية (3) وغيرهم.

ومن المدارس العلمية الموجودة إذ ذاك بحلب، وقد يكون المترجم درس بها: المدرسة الحلوية، والمدرسة الشرفية، والمدرسة السليمانية. وهي أرقاها، والمدرسة الطرنطائية (الأويسية فيما بعد).

ومما يدل - كذلك - على نشأته بحلب وأخذه عن أهلها، ما تناقله مؤرخوه ومقرظو كتبه من نشأته بها، وارتوائه من معين أعلامها، قال تلميذه صاحب "الأنيس المطرب": "نشأ بحلب، واحتلب من ثدي المجادة ما احتلب، ثم تركها ترك الظبي ظله، وخالف رأي الإقامة بها مخافة عمرو بن سعيد أهله، وأزمع البعد عنها والنأي، واستقصر رأي من ناه ولا يطاع لقصير رأي".

فقد أخذ بها عن أعلامها، حتى ارتوى منهم في مختلف المعارف، ثم صرفته همته للرحلة في طلب العلم، والأخذ عن أهل البلاد غيرها، ولأمله أهلها على ذلك، لما في ذلك من البعد عن الأهل والأحباب، وترك البلاد وأهلها بالعلم وافرون.

وهل كان اسم عائلته في حلب "الحلبي"، أم هو اسم أطلق عليه بعد الغربة؟، وهل كان له اسم واضطر إلى إخفائه عند رحلته للمشرق، واضطر إلى إخفاء أساءه شيوخه بحلب أيضا لأمر ما؟، هذا باعتبار أنه كانت له علاقة بثورة أهل حلب والشام المار ذكرها عام 1067، لم أقف على شيء من ذلك.

نشأته في المشرق وشيوخه ثمة:

كان أول أخذ الإمام الحلبي بالمشرق، فلازم جمعا من أهل العلم والفضل، ويدل حاله أنه رحل إلى بلاد العراق والحجاز ومصر والسودان، فأخذ عن أعلامها واستفاد منهم.

فقد أشار في "الدر النفيس" (4) إلى أنه زار دمشق، ووصف جامعها الكبير، وقد سبق الحديث عن الحياة الأدبية في بلاد الشام، ومدى اعتناء أعلامها بالشعر والنثر، والبلاغة

(1) "إعلام النبلاء" (6/ 359).

(2) "إعلام النبلاء" (6/ 376).

(3) "إعلام النبلاء" (6/ 376).

(4) "الدر النفيس" (4/ 100).

وعلموها، خاصة في القرن الحادي عشر الهجري، ولا شك أن المترجم انطبع بأهلها أول ما انطبع.

وزار بغداد، وقال عن جامع الرصافة بها وهو يصفه: "وقد رأيته خرباً، ولم يبق له أثر، لكن بقي موضعه ساحة واسعة يصنع فيها الشرطون الحبال" (1).

ثم منها إلى البصرة سنة 1070، ومن أخذ عنه من أهلها: الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الخضر الرفاعي، شيخ مشايخ البصرة في وقته. أخذ عنه، وانتفع به، واستفاد منه، وكان يقول فيه: "شيخني ووسيلتي إلى الله" (2). ومما سمعه منه نقلاً عن جده سيدي أحمد الرفاعي: "من لم يعاتب نفسه في كل نفس؛ لم يُحَسَّب من الرجال". وكأني به من أجل ذلك كان رفاعي الطريقة، لم يتبدل عنها، فيكون من أوائل من أدخل الطريقة الرفاعية للمغرب.

وذكر قصة دالة وقعت معه، قال في "كشف اللثام" (3): "كنت بتمام السبعين بعد الألف للهجرة سافرت من حلب من أرض الشام إلى العراق، وقصدت شيخاً جليلاً بالبصرة، وانتفعت به في ديني وآخرتي ودنياي، وجميع أحوالي، وهو من الأكابر أهل الأحوال الربانية، وهو الولي الشهير، والسيد العلم الكبير، شيخ مشايخ البصرة اليوم، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الخضر الرفاعي الحسيني، من ذرية القطب الأكبر سيدي أحمد الرفاعي".

"فلما امتثلت بين يديه وأنا صغير السن جداً إذ ذاك، قال لي: يا ولدي؛ أتعرف الطبل؟ قلت: نعم. قال: هو إذاً يُضرب له صوت شديد؟ قلت: نعم. قال: وهل في جوف الطبل شيء؟ قلت: لا. قال: خاوٍ هو؟ قلت: نعم. قال: هكذا أنا يا بني. يعني: خاوياً مثل الطبل، وذلك القول كان بحضرة أناس يزيدون على ثلاثمائة رجل من تلامذته، الزائرين وغيرهم. وقلت له: قد رضيت بذلك سيدي على كل حال. وعرفت قصده رضي الله عنه!".

كما لقي بالمشرق الشيخ العارف المربي؛ أبا محمد عبد الله بن عبد الجليل بن عمر البرناوي الحميري، القاطن بمنطقة برنو من بلاد السودان، فأخذ عنه وألف فيه كتاباً واسعاً سماه: "ريحان القلوب، فيما للشيخ البرناوي من أسرار الغيوب". تعرض فيه إلى ترجمته وذكر مناقبه، ثم ألف مؤلفاً في شرح مناجاته كما يأتي إن شاء الله تعالى.

وكأني به كان هو والإمام العارف المربي سيدي أحمد بن محمد اليميني المتوفى عام 1113، والداخل إلى فاس أيضاً سنة 1079، أخوين في الأخذ عنه، وكأني بهما كالبوصيري وابن عطاء الله في الأخذ عن الإمام العارف أبي العباس المرسي؛ فالأول: فتح له في المدح النبوي والسيرة. والثاني: في المعرفة والحكمة. وكذا الحال مع الشيخين الحلبي واليميني، فتح على

(2) "سلوة الأنفاس" (2/ 185).

(1) "الدر النفيس" (ص 7، م 33).

الأول في السبائل والنظم والنثر فيها، وعلى الثاني في المعرفة والتربية، فكان من أوائل من أدخلوا الطريقة القادرية إلى المغرب.

وكان للشيخين الجليلين أخ ثالث، وهو الإمام العارف المربي؛ سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله مَعَن الأندلسي، من رجال السلسلة الشاذلية، فقد ذكر مؤرخوه⁽¹⁾، بأنه لم يكن يفترق عن الشيخ أحمد اليميني رضي الله عنهم أجمعين.

والعجيب أن الشيخ مولانا عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه يذكر في "الإبريز" أخذه عن الشيخ سيدي عبد الله البرناوي، ويتحدث عنه طويلاً⁽²⁾، والشيخ البرناوي رضي الله عنه توفي كما في "نشر المثاني"⁽³⁾ سنة 1088، ومولانا عبد العزيز الدباغ ولد كما في نهاية العقد العاشر من القرن الحادي عشر. قال في "النشر"⁽⁴⁾: "إن كان المراد به شيخ سيدي أحمد اليميني؛ فقد توفي قبل ولادة صاحب الترجمة، فالتاريخ يبطل الاجتماع به حياً". باختصار.

دخوله المغرب:

دخل رحمه الله تعالى المغرب بتاريخ عام 1080⁽⁵⁾، وذلك آتياً من المدينة المنورة، ماراً في طريقه على مصر وليبيا، وتونس والجزائر، التي التقى بمختلف أعلامها. وقد استغرب بعض المؤرخين العصريين سبب دخول الشيخ الحلبي المغرب، وتركه المشرق وحضارته وأعلامه، واستقراره في منطقة كانت تعتبر آخر العالم.

وأظن أن سبب هجرة الشيخ الحلبي للمغرب تعود لأسباب؛ من أهمها: الاضطراب الكبير الذي شاب حلب والشام عموماً في تلك الفترة إثر ثورتهم على الخلافة العثمانية، ثم انهزامهم، وتتبع النظام كل من شارك في ذلك بالقتل والسجن والتكيد، فربما كان سبب هجرة المترجم خوفه أو خوف والده من تلك الظروف المأساوية..

أو ربما كان السبب في ذلك كثرة الفجور والإباحية المنتشرة بالمشرق حينها، خاصة حلب والشام، بل ومصر وغيرها - كما سبق توضيحه - علاوة على الفتن المتكاثرة بالعراق، وعدم الاستقرار باليمن، فأثر المترجم - وهو الرجل الصالح، العاشق في الجناح النبوي وآل بيته الكرام - البحث عن بلد يكثر فيها الدين وأهله، والعلماء ونفوذهم، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله؛ فلم يجد أنسب من المغرب في ذلك.

أو ربما كان بسبب رحلته الطويلة في طلب العلم، من حلب للبصرة للسودان (برنو).

(2) "الإبريز" ص 21.

(4) "نشر المثاني" (3/ 246).

(1) "سلوة الأنفاس" (2/ 179).

(3) "نشر المثاني" (3/ 246).

(5) "الدر النفيس" (ص 4، م 1).

طلب العلم والمعارف - وجل من ترجم لهم الطباخ من أعلام حلب في تلك الفترة رحلوا خارجها لطلب العلم، خاصة إلى بغداد والبصرة، ومصر ودمشق والحجاز - فلما استقر بالمغرب وجد ضالته، والمغرب حينئذ يفوق المشرق علما ودينا، ومحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، فأثر البقاء فيه. ويأتي أنه زار المشرق في آخر العقد العاشر من القرن، فهل زار حلب، أو حج؟، لم أقف على إثبات لذلك.

قال المترجم في " الدر النفيس " ⁽¹⁾: " قد كنت دخلت هذا المغرب، إذ طاربي إليه عنقاء مغرب، وذلك سنة ثمانين وألف، وكان قدومي عليه باتفاق القدر والقضا، جعلنا الله ممن يتلقاهما بالرضى، فمازلت محمول الأقدار، في غريبة الأمصار، حتى دخلت مدينة فاس، قاعدة المغرب الأقصا، فوجدت لها من المحاسن ما لا يحصى " .

وقال في موضع آخر وهو يتحدث عن الإمامين إدريس بن إدريس والدة رضي الله عنهما: " لا جرم أن لهما علي حقا، إذ قدمت من دار جدتهما الحبيب الأتقى " ⁽²⁾. ففهمنا أن قدومه كان من المدينة المنورة، وربما بعد أداء مناسك الحج.

بل ذكر في موضع من " الدر النفيس " يأتي في قسم " ابتلائه "، أنه نوى الرجوع للمشرق، ثم قرر الاستقرار بالمغرب بفاس إثر رؤيا منامية رأى فيها الإمام إدريس بن إدريس عليهما السلام يقول له: " اجلس ولا تسافر، أما تجاورنا؟ ". فيدل ذلك على أن استقراره رضي الله عنه بفاس كان لأمر روحاني بينه وبين بانيها رضي الله عنه.

قال الإمام ابن جعفر في " السلوة " ⁽³⁾: " نشأ ببلده حلب، وفيها حلب من ثدي العلوم ما حلب، ثم رحل لفاس، وصارت له خير كناس، فأعظم أهلها - بعد الاختبار - أمره، وأصغروا دونه زيد الأدب وعمّره، وعرف علماؤها من حقيقته الفصل والخاصة، وانتهى بينهم إلى مقام خاصة الخاصة، وتلمذ له الأكابر، وخوطب بولاية الكراسي والمنابر؛ فأغنته الغيبة عن الظهور، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور " .

وقريب منه لفظ المحدث الحافظ أبي زيد ابن الحافظ أبي العلاء العراقي كما في تقريره للرؤيا آتية الذكر ⁽⁴⁾: " نشأ ببلده حلب، وفيها حلب من ثدي العلوم ما حلب، ثم أزمع الرحلة عنها في طلب الزيادة، مرفوع الذكر في مراقي السيادة، حتى حل بداره بحضرة فاس، والناس فيها حينئذ خير ناس، فأعظم أهلها بعد الاختبار أمره، وأحقروا دونه زيد الأدب وعمّره، وعلم علماؤها من حقيقته الفصل والخاصة، وانتهى بينهم إلى مقام خاصة الخاصة، وتلمذ له الأكابر، وخوطب بولاية الكراسي والمنابر، فأغنته الغيبة عن الظهور، ومن لم يجعل

(1) " الدر النفيس " (ص 4، 1م).

(2) " الدر النفيس " (ص 5، 1م).

(3) " سلوة الأنفاس " (2 / 184).

(4) " الرياض الربانية " ص 129.

الله له نوراً فما له من نور".

فقف على قولهما: "فأعظم أهلها بعد الاختبار أمره"، مما يدل أن أهل فاس من علمائها وأمثالهم امتحنوا علمه ودينه، ومقدراته وكفاءته في جميع الوجوه، وهم حينئذ - كما مر - أهل علم وخبرة، ودقيق نظر وعبرة، وكيف لا وبينهم فحول العلماء، ممن بنى عليهم المذهب فيما بعد، وغيره من العلوم الغراء؟.

وقف على قوله: "ثم أزمع الرحلة عنها في طلب الزيادة"، مما يدل على أن سبب مجيئه المغرب كان من أجل الزيادة في طلب العلم والرحلة إليه، لا لشيء آخر من مراغب الدنيا وغيره، بل قال: "وخوطب بولاية الكراسي والمنابر، فأغنته الغيبة عن الظهور" .. مما يدل على شدة رغبته فيما قصده من وجه الله الكريم، والتعلق بأذيال آله الطيبين الطاهرين.

وبمثل ذلك قال الشريف العلمي في "الأنيس المطرب"⁽¹⁾: "ثم تركها (حلب) ترك الظبي ظله، وخالف رأي الإقامة بها مخافة عمرو بن سعيد أهله، وأزمع البعد عنها والنأي، واستقصر رأي من نهاه ولا يطاع لقصير رأي، واحتمل من كد النقل في طلب العلم ما احتمل، وعلم بوافر عقله أن الثمر في البير على ظهر الجمل".

واختبار الناس الذي أشار إليه جد جدنا، وأبو الربيع الحوات، كأنه هو ما قاله الشريف العلمي⁽²⁾: "حتى حل بדרه بفاس حلول الشمس بالحمل، فاشتفى بها من جوى التبريح، وجاءها من أنواع الأدب بالصَّحِّ والريح، فكابد من أهلها ما كابد من الحسد، ثم جال فيهم بعقله الأسد جولان الأسد، فألقوا إليه السلم، وكلفوا به كلف الحلي بقرب ذي سلم، وأعظموا أمره، وأصغروا دونه زيد الأدب وعمره، وأدوا بحرم قصائده حجة الإعجاب والعُمره".

شيوخه بالمغرب:

وبالرغم من عظم مقدار الإمام الحلبي رضي الله عنه، واهتبال أهل المغرب وفاس به أيما اهتبال، فإن القرائن تدل على أنه - رضي الله عنه - كان جوالاً في المغرب، وكانت له عناية بالأخذ عن أبرز مشيختها، وكان لا يرضى إلا بمرافقة عالية أعلامها؛

فممن أخذ عنه بفاس: شيخ الإسلام أبو السعود عبد القادر بن علي الفاسي الفهري، وربطته به وبذويه علاقات وطيدة، قاربت الأخوة، تعكسها قصائده التي تأتي على ذكر بعض مطالعها لاحقاً بإذنه تعالى. لازمه نحو إحدى عشرة سنة، في مجالس شتى من العلوم، وأخذ عنه عدة علوم، وأجازه في جميع ذلك، وأن يحدث ويروي عنه جميع ذلك. وهو خاتمة مشايخه

(1) "الأنيس المطرب" ص 9.

(2) "الأنيس المطرب" ص 10.

من أهل المشرق والمغرب⁽¹⁾.

كما أخذ بها أيضاً؛ عن العالم العلامة المشارك، المتبحر في العربية والمعقول، وعلوم التفسير؛ أبي العباس حمدون بن محمد الملقب بالمزوار، المتوفى عام 1084⁽²⁾، حضره مدة في شرح "جمع الجوامع" في الأصول، والسعد التفتازاني⁽³⁾.

ورحل سنة 1080 إلى مراكش، ولازم بها إمامها أبا عبد الله محمد بن سعيد المرغيثي⁽⁴⁾. مدة من سنة، ووصفه في شرحه على مناجاة شيخه البرناوي بقوله: "وأدرت الإمام العالم الصوفي سيدي محمد بن سعيد المرغيثي، السوسي الأصل والمنشأ، والمراكشي الدار والمدفن، بجامع المواسين من مراكش؛ أنه كان يعبد الله بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس بالفكرة، فوالله لكنت أجلس أمامه وقبالة وجهه ولم أر منه شعرة تتحرك أبداً ولا طرفة، وكنت أنظر إلى حدقته ساكنة حتى كأنه ميت، ولو فرض أن الأرض انقلبت بما فيها، والسماء سقطت على الأرض؛ لم تتحرك منه شعرة حتى تطلع الشمس، فيتحرك حينئذ، ويكلمني، ويبدأ بالكلام. فعرفت ذلك منه، ولازمته ورأيت منه هذه الحالة سنة، وهي مدة إقامتي بمراكش، وذلك عام ثمانين وألف، وأخذت عنه علوماً عدة، وأجازني في أربعة عشر علماً من العلوم الظاهرة الإسلامية"⁽⁵⁾...

ومما أخذه عنه كذلك: قرأ عليه صحيح البخاري، و"الشفاء" للقاضي عياض، وشرح الكبرى للشيخ السنوسي، بجامع المواسين من مراكش، وأجازه فيها بسنده إلى مؤلفها. وكان الشيخ المرغيثي عالي السند، أخذ عنه الأكابر كأبي عبد الله بن ناصر وأمثاله⁽⁶⁾.
جولاته في المغرب:

ثبتت المصادر المبعثرة أن مترجمنا - رحمه الله - كان كثير التجوال في المغرب، معتنياً ببقاء الأفاضل والأخيار، اجتماعياً إلى المدى الأقصى.

فبالإضافة إلى زيارته لمراكش عام 1080، وأخذه عن إمامها المرغيثي وملازمته إياه سنة كاملة حسبما مر ذكره، فقد ذكر المؤرخ محمد داود في "تاريخ تطوان"⁽⁷⁾ نقلاً عن ديوان أديبها وشاعرها محمد بن علي الرافعي، أن الإمام الحلبي زارها سنة 1109، والتقى بالأديب

(1) "الرياض الريانية" ص 139.

(2) انظر ترجمته في: "سلوة الأنفاس" (3/ 77)، و"نشر المثنائي" (2/ 205)، و"الصفوة" (297).

(3) "الرياض الريانية" ص 139.

(4) انظر ترجمته في "الصفوة" ص 304، والتقاط الدرر ص 206، و"نشر المثنائي" (2/ 241)، و"خلاصة الأثر" (3/ 472)، و"المعسول" (10/ 185، و203)... وغيرها.

(5) "الصفوة" ص 304. (6) "الرياض الريانية" ص 139.

(7) "تاريخ تطوان" (3/ 118).

المذكور، فمدحه الرافعي بأبيات أجابه عنها الحلبي بمثلها.

قال الأستاذ داود: "وقد وقفت على تقرّظ الحلبي المذكور لديوان الرافعي، وهو مكتوب بخطه الشرقي الواضح، وقد ذكر في آخره أنه كتبه في خامس ذي الحجة الحرام سنة 1109، فعرّفنا من ذلك أن زيارته لتطوان كانت في ذلك التاريخ"⁽¹⁾. ويذكر في موضع آخر⁽²⁾ أن التقرّظ تضمن نثرا ونظما. ومطلع قطعته الشعرية في مدح الرافعي:

هذي قصائد في المديح عوالي عند المهيمن والحبيب غوالي
ومما مدح به الفقيه الرافعي كذلك:

فما حاز أصل المجد والفخر والرفع بأفق العلى غير الرضي الماجد الرفعي
فماذا أقول الدهر في شرح فضله وقد حُفّ قدّما بالسيادة والرفع؟!

وقال أيضا:

لله در مجيد قدره ارتفععا الرافعيُّ سما في أرفع الرتبِ
فريد عصره في فخر وفي كرم أكرم به آية في الدهر بالعجب⁽³⁾

ونستفيد هنا أن ديوان الرافعي كان مختصاً بالأمداح النبوية، وأن مداحي النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله كانوا يقصدون الإمام الحلبي لتمحيص شعرهم وطلب تقرّظه لكتبهم.

وفي سنة 1115 زار الإمام الحلبي وادي درعة إلى الجنوب الشرقي من المغرب، وحل بزاوية تامكروت، حيث الإمام أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي، على رأس جملة وافرة من الأعلام، قال العلامة محمد المكي بن موسى الدرعي الناصري في "الدرر المرصعة"⁽⁴⁾ في ترجمة الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي المذكور: "وفي سنة خمس عشرة ومائة وألف؛ بنى المترجم زاويته المسماة "زاوية الفضل"، وغيرها من الزوايا والمساجد والمدارس، ثم ترادفت عليه الوفود من علماء المغرب وصلحائه؛ منهم: سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي، وأحمد بن عبد الله الشكوري، وأحمد بن محمد البرنسي الشفشاونيان، وقاضي شفشاون محمد بن عبد الله الحوات (والد النسابة أبي الربيع سليمان الحوات)....".

قلت: ويستغرب ذلك؛ فقد كانت الزاوية الناصرية تعد من الزوايا المعارضة للنظام، حتى قال في "الدرر المرصعة في صلحاء درعة"⁽⁵⁾: "في أواسط شوال عام 1107 قدم المترجم (أحمد بن ناصر الدرعي) على السلطان مولاي إسماعيل بداره من مكناسة الزيتون،

(2) "تاريخ تطوان" (1/ 404).

(4) "الإعلام" (2/ 359).

(1) "تاريخ تطوان" (3/ 119).

(3) "تاريخ تطوان" (1/ 405).

(5) "الإعلام" (2/ 358).

وقد ظن بعض الجهلة أن السلطان يقتله أو يمثل به... فكان ذلك بالعكس"، فزيارة الشيخ الحلبي لها إنما تدل على الجرأة في الحق، وعدم التملق والتزلف للحكام، وتعظيمه للشريعة وحملتها.

وقد ذكر عم جدتنا الأستاذ العابد الفاسي أن المترجم كانت له رحلة لتونس وأخرى لمصر؛ قال: "وكانت للمترجم رحلة إلى الديار التونسية اتصل فيها بجماعة، منهم: الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم؛ المعروف بفتاة".

"ثم كانت له رحلة إلى الديار المصرية، اتصل فيها كذلك بجماعة، في مقدمتهم سلالة البيت البكري الصديقي الشيخ زين العابدين البكري، وكتب له تقریظاً على مقامات "الحلل السندسية" (1).

وإلى ذلك أشار صاحب "الأنيس المطرب" (2) حين حديثه عن "الحلل السندسية" وتقايرظها قال: "و حين قدم بها على الديار التونسية؛ كتب عليها العالم العلامة، الشيخ الإمام، مفتي الإسلام، بتونس الخضراء ونواحيها، حاضرتها وبادياها، ومدرستها وغيث وادياها، ومصباح نادياها؛ الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بفتاة".

"و حين قدم بها على الديار المصرية؛ كتب له عليها العالم الأوحد، الفاضل الأسعد، سلالة البيت الصديقي، ذو الأصل الحسيب الحقيقي؛ سيدي زين العابدين ابن سيدنا العارف بالله، صاحب الحقائق واللطائف سيدي محمد البكري النسب، المصري الدار".

قلت: أشك في رحلته في تلك الفترة (وهي نهاية القرن الحادي عشر) إلى المشرق، لعدم وجود من تعرض لذلك أولاً، حسبما وقفت عليه، ولوقوفه على رسالة من المترجم للعلامة أبي عبد الله فتاة التونسي يتشكر منه على تقریظه، ويصف وصوله إليه كوصول قميص يوسف على وجه أبيه. إلا أن يكون أرسل التقریظ إليه بعد اللقيا. والله أعلم.

علاقاته:

بحكم كون الإمام الحلبي رضي الله عنه من وجهاء وقته، متميزاً بالعلم الشافعي الغريب عن البلاد، والإبداع الأدبي والذوقي المتميز، والدين المتين والحصافة، فقد كانت تربطه علاقات متميزة مع مختلف شرائح المجتمع الفاسي خاصة، والمغربي عامة، وسبق قوله في "كشف اللثام" عمن قرظ له ديوانه: "فهؤلاء أدركتهم واجتمعت بهم". قلت: وهم أئمة المغرب حينه، ومن عليهم الحل والعقد. وسأتحدث هنا بحول الله تعالى حول ثلاثة محاور:

- علاقته بالسلطان المولى إسماعيل بن الشريف العلوي.

(1) "ناطح صخرة" ص 105.

(2) "الأنيس المطرب" ص 40.

- علاقته بالزاوية الدلائية وتلامذتها.
- علاقته بالأسرة الفاسية التي تصدرت المكانة العلمية في فاس زمنه.
- مصاهرته للشرفاء الكتانيين.

أ- علاقته بالسلطان المولى إسماعيل بن الشريف:

قال في "نشر المثاني" ⁽¹⁾: "كان يسير إلى حضرة السلطان مولانا إسماعيل الحسني لمكناسة في موسم ربيع الأول، ويقرأ بباب دار السلطان قصائد الأمداح، وكان له صوت حسن، ويحسن تلك الصنائع، وكان السلطان وأولاده وموالي الدار والأتباع يعطونه ويكرمونه بالعطاء المخصوص، ويقبض ما يقبضه الشرفاء والعلماء، ويوقرونه ويعظمونه غاية التعظيم..."

وبالرغم من وشاية بعض المنافسين به لدى الملك، فإنه - رحمه الله - ما لبث أن قربته مرة أخرى، ووصل رحمه بعد قطعها، حسبما يأتي في فصل "محتته" قريبا إن شاء الله تعالى.

وقد ذكره المؤرخ ابن زيدان في "المنزع اللطيف" ⁽²⁾ من شعراء العصر الإسماعيلي، فهل له قصائد في مدح المولى المذكور أم لا؟، لم أقف على ما يثبت ذلك، ولم أقف له على دور في محنة الحراطين السالف ذكرها، وطبيعي ذلك، فهو رجل غريب عن البلاد، لا يجمل بمثله الدخول في متاهاتها السياسية، ولن يكون له في مثل ذلك كلام مسموع، ولا رأي متبوع.

بل مما استغربت له: علاقاته الوطيدة بالدلائيين والناصريين، وكلاهما كان يعتبر منافسا للعلويين في السلطة، وكان الملوك العلويون يخشونهم، ويتحرونهم، لقوة نفوذهم، حتى هدمت الزاوية الدلائية أيام الرشيد كما مضى، والزاوية الناصرية كادت تهدم أيام المولى الرشيد والمولى إسماعيل. فكيف تكون لهذا الغريب تلك الجرأة في ربط العلاقات الوطيدة مع أولئك، وهل كان لحكام المغرب من الحكمة الدرجة الكافية لأن يعوا الفرق بين ما هو علمي وديني محض، وما هو سياسي؟، فلم ينالوا من المترجم؟. أم كانت لهم من الثقة فيه، وهو حليف الزاوية الفاسية الموالية والممهدة للنظام، والهائم في محبة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وآل بيته الطاهرين - والعلويون منهم - ما يجعله في مأمن من شكوكهم؟.

بل السابر لمؤلفات الإمام الحلبي رضي الله عنه، والواقف بالخصوص على كتابه "الدر النفيس في مناقب مولانا إدريس"، يرى أنه أحد الأعمدة التي بنيت عليها أسطورة (بمعنى القصة الروحية الاجتماعية ذات الدلالة، لا بالمعنى المتعارف عليه من أنها القصة المكذوبة) المولى إدريس عليه السلام، وأحد الخزائن التي ملئت بقصصه والأدبيات الرائعة حوله، وذكر

(1) "نشر المثاني" (3 / 200). (2) "المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف" ص 297.

كراماته وشمائله الباطنة.

ومعلوم أن كتابة مؤلف كهذا في فترة كتلك له دلالات خاصة، يتوقف عندها. فهل ألفه إكراماً للشرفاء الكتانيين الأدارسة الذين تصاهر معهم، أم إكراماً لفاس التي عاش بين لابتيها، أم إكراماً لأهل البيت الذين أدخلوا الإسلام إلى المغرب، ومنهم حكام المغرب حينه، أم لأمر صوفي وروحي خالص، كما هو الشأن في تأليفه في الشيخ عبد الله البرناوي، أم أن الأمر وراء ذلك؟.

في غير هذه السياقات التي تضيء إلى مراسم من علاقة الشيخ الحلبي بالمولى إسماعيل ملك المغرب، وأمير المؤمنين في إفريقيا حينه، لم نجد اتجاهات أو مساقات أخرى غير ذلك.

ب- علاقته بالزاوية الدلائية وتلامذتها:

تصدرت الزاوية الدلائية في النصف الأول من القرن الحادي عشر بالمغرب المدارس العلمية، وفاق أعلامها الأعلام في تحصيل العلوم وخدمتها، حتى تخرج منها أئمة كبار، سواء من أعلامها، أو من الوافدين عليها، وزاوية قصدها أمثال عبد الملك التاجموتي، وأبو عبد الله ميارة، وتخرج منها أمثال أبي عبد الله بن ناصر الدرعي، وأبي علي اليوسي، لجديرة بالافتخار والتقدير..

وقد عدت من ترجم لهم جد جدنا في "سلوة الأنفاس" ممن وفد من أئمتها على فاس وأقبر فيها، فوجدتهم فاقوا العشرين، جلهم من أئمة العلم ومشايخ الإسلام.

وكفاها نفوذا وتربعا على كرسي الفخار أن أنشأت دولة في وسط المغرب، كان لها نفوذ وأتباع، فكان أئمتها أمراء، وأعلامها وزراء، بل كان علماء فاس والمغرب يقصدونها للتدريس والدراسة، والتعلم والتعليم، إلى أن انطوت صفحتها، وانقضت أيامها سنة 1079، على يد المولى الرشيد بن الشريف العلوي، غير أنه وإن كان هدمها ودمرها، فإنه لم يشرد بأعلامها، ولا تتبع رؤوسهم، بل أكرمهم بالوفود إلى فاس، وغيرها من مدن المغرب الكبرى، ورفق مكانتهم، ووقر شيبتهم وعلمهم، ففاض أعلامها على مختلف مدن المغرب، خاصة فاس⁽¹⁾.

وقد مدح أعلام الزاوية وأئمتها المترجم بقصائد عدة، وقرظوا كتبه تقاريط عديدة، ومما قالوه فيه: ما أنشده فيه العلامة الأديب محمد الشاذلي ابن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي

(1) ألفت في تاريخ هذه الزاوية العظيمة عدة كتب، بين الموسوعي والمختصر، منها رسالة الدكتوراة التي أقامها الدكتور محمد حجي رحمه الله بعنوان: "الزاوية الدلائية ودورها العلمي والسياسي"، وقد طبعت بالمطبعة الوطنية بتاريخ 1964.

حسبنا في " البدور الضاوية " (1):

كيف لا يرفل في بُرد العَجَب من يكن منشؤه أرض حلب
نجل عبد الحي من أحبي العلا بفنون رائقات وأدب
زاده الله سناء وسنا وحباه الخلد يوم المنقلب

ومن قرظ كتبه من أعلامها: الإمام محمد المرابط الدلائي، والشيخ عبد الملك التاجوعتي، والإمام الحسن بن مسعود اليوسي، والأخيران من أساتذتها المرموقين.

وكانت بين المترجم وبين الإمام أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي - خريج الزاوية الدلائية - محبة تامة، وألفة ومواصلة، بل قرظ اليوسي له بعض مؤلفاته، غير أن تلك العلاقة ما لبثت أن انقلبت إلى جفوة وخصام، وتأليف متبادلة، حتى سعى به اليوسي إلى الحكام، إذ أنكر عليه أموراً، منها: كتابة قصائد يتحدث فيها على لسان الحضرة الإلهية، ومنها: مسألة علم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وإحاطته بالعلم الإطلاقي..

فكتب منتصراً للإمام الحلبي في المسألة الثانية أستاذ من أساتذة الزاوية الدلائية، وشيخ سجلهامة وإمامها أبو مروان عبد الملك بن محمد التاجوعتي مؤلفاً بعنوان: " ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب "، ثم رد عليه اليوسي برسالة صغيرة، ثم انتقدها عليه وردّها حرفاً حرفاً التاجوعتي بتأليف سماه: " خلع الأطهار البوسية، بدفع الأمطار اليوسية "، وهو في نحو ثلاث كراريس، وصفه الشيخ عبد الحي الكتاني بأنه: " جليل... قلمه فيه سيال، وحجته صائبة " (2).

وسأتي تفصيل محنة المترجم مع اليوسي لاحقاً في عنوان " محتته " إن شاء الله تعالى.

ولا غرابة في أن يكون التنافس بين الإمامين؛ فهما شريكا طلب؛ فقد أخذ كلاهما عن ابن سعيد المرغشي، وأبي السعود عبد القادر الفاسي، وشريكا فن؛ فكلاهما إمام في البلاغة والأدب، لا يشق له فيه غبار، وإن كان اليوسي قيل فيه: " لو دون مذهبا لأتبع "، فإن الحلبي قيل فيه بأنه: " كان قدوة في المذهب الشافعي، وإليه المفرع في أحكامه والمهرب "، إضافة إلى أخذه المذهب المالكي عن أئمة في المغرب. والمعاصرة حجاب كما لا يخفى..

وكذا كانت للإمام الحلبي علاقة وطيدة بخريج الزاوية الدلائية الشيخ العارف المربي أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الدرعي، صاحب الزاوية الكبرى بتامجت بتادلا، وفروعها في كبار مدن المغرب، المتوفى عام 1091، فقد ذكر العباس بن إبراهيم في " الإعلام " (3) بأن المترجم

(2) " فهرس الفهارس " (1 / 256).

(1) " سلوة الأنفاس " (2 / 185).

(3) " الإعلام بمن حل مراکش وأغمت من الأعلام " (9 / 215).

رحمه الله كان من أصحابه، وذكر أن له قصيدة في مدحه مطلعها:
عَرَجٌ بتادلة الهضاب الوُرْدُ وأنخ مطايا العزم عند الفدفدِ

ج- علاقته بالأسرة الفاسية:

كانت الأسرة الفاسية⁽¹⁾ أبرز الأسر العلمية في فاس وقتها، بل ربما في جل المغرب، وكان القرن الحادي عشر يعد العصر الذهبي لتلك الأسرة، فلم يكن بها إلا إمام عالم، أو مدرس شهير، وكان رأسهم في تلك الفترة شيخ الإسلام عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي رحمه الله، ونجلاه محمد وعبد الرحمن، وابن أخيه المهدي بن أحمد.

فلم يكن بدعاً أن يرتبط بها عالم كالإمام الحلبي، جمع التصوف بالعلم، والرواية بالدراية، والزهد مع الجرأة والإقبال على بث العلم ونشره، وخاصة الهيمن في النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله والتعلق به وبآله.

وقد لفتت المصادر انتباهي إلى قوة العلاقة واللحمة - التي كانت في كثير من الأحيان أخوية أكثر منها تعارف وصداقة - بين الإمام الحلبي وأعلام تلك المدرسة - العائلة. بل أفرد عم جدتنا العلامة الطلعة العابد بن عبد الله الفاسي - رحمه الله تعالى - في كتابه "ناطح صخرة"⁽²⁾ فصلاً في الموضوع، استفدنا منه في هذه الترجمة. ومن محطات تلك العلاقة ما أذكره:

فقد كانت له تلمذة على الشيخ عبد القادر الفاسي رضي الله عنه، وصحبة مع نجله محمد (شيخ الجماعة فيما بعد)، وعبد الرحمن (الموسوم بسيوطي عصره)، وكانت له قصائد في مدح الشيخ عبد القادر، منها قصيدة في ثلاثة وثلاثين بيتاً، مطلعها⁽³⁾:

أبدرُ هلالٍ لاحَ نورُ جماله أم كوكب الأسحار عاد منيراً؟
وأخرى في 23 بيتاً، مطلعها:

حاكت بدايع ما أقول وأبتدي دُرّاً تضم عقوده بزبرجدٍ
وأخرى في 37 بيتاً مطلعها:

عَرَجٌ على نجد وسل حادي الشرى عن بدر تمّ طاب فيه منظراً
وذكر في "الدر النفيس" عنه قال: "اتفق أني جئت يوماً مجلسه، فجاء إنسان يجلس أمامي، وحال بيني وبين الشيخ، فغضبت وقمت، فغضب الشيخ وقام لغضبي، وزجر

(1) انظر في تاريخ هذه الأسرة: "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن"، بتحقيقنا وتقديمنا، و"الزاوية الفاسية" تأليف الدكتورة نفيسة الذهبي.

(2) "ناطح صخرة" ص 102 فما بعدها.

(3) "تحفة الأكابر" 298 مرقون.

أصحابه عن العود إلى مثل ذلك" (1).

قال عمنا العابد الفاسي رحمه الله: "وطالما نقل أبو العباس - يعني المترجم - عن الشيخ أبي السعود، وهو يحليه دائماً بأعلى الأوصاف وأجمل الصفات، ويعبر عنه في أكثر نقوله بالإمام شيخ الإسلام" (2).

ومن لطائف نقولاته عن الشيخ أبي السعود عبد القادر الفاسي قال: "وقال لي ذات يوم شيخنا العلامة شيخ الإسلام بفاس في بعض كلامه: إنا أهل المغرب نفتخر عليكم أهل المشرق بهذه المدينة، يعني: مدينة فاس... إلخ" (3). مما يدل على أمور؛ منها: الملاحظة التي كانت بينه وبين الشيخ، ومنها: اعتزازه بمشركيته اعتزازاً كان يشعر به مجالسوه، ومنها: عظم مقداره العلمي ومكانته حتى كان شيخ الإسلام يلاطفه ويفاخره.

ومن طريف علاقته بالشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر ما ذكره في إحدى قصائده:

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| ثنيتُ مدحا للإمام أبي العلا | من قد جنى من كل علم مُثمرا |
| بحر الفضائل لو دعي كامل | أعياى الفهوم بكل ما قد سطرأ |
| أعني: أبا زيد أديبا ماهرا | سما الثريا والأفاضل في الثرى |
| لكنه لما خرجتُ مسافرا | فأبى يودعني وعني أدبرا |

وقد قرظ الشيوخ الثلاثة مؤلفاته، خاصة ديوانه - كما سيأتي لاحقا إن شاء الله تعالى - وكتب الشيخ عبد الرحمن - رحمه الله تعالى - شعرا بالغاً في مدح المؤلف والثناء عليه، قال فيه (4):

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| كذا مقرطُ أبناء القريض غدا | بالغرب مبتهجا تزهو به البُقعُ |
| صدر الكلام وصدر الدست من حلب | إن سُل يوما على أهل النهى خضعوا |

ومما يتوقف عنده في علاقة المترجم بالأسرة والزاوية الفاسية: أن علاقته كانت بالجنح الفاسي المنتمي لزاوية القلقليين، وهو الجنح الفقهي (السلفي إن صح التعبير)، للزاوية، وهو الجنح الذي كان له تداعيل في السياسة العامة، وعلاقات وطيدة مع السلطان حينه، أما الفرع الآخر؛ وهو فرع زاوية المخفية، الذي كان يقوده آل معن العبدلاويون، كسيدي أحمد بن عبد الله معن (الأخ الروحي لسيدي أحمد اليميني)، والمهدي الفاسي الفهري صاحب "مطالع المسرات" و"ممتع الأسماع"، وغيرهم، وهو تصوف الروحانيات والجذب والرقص، والحال

(1) "الدر النفيس" آخر المزمعة 48 من الطبعة الحجرية.

(2) "ناطح صخرة" في الدفاع عن أعلام آل الفاسي، ص 103.

(3) "الدر النفيس" وسط المزمعة 49.

(4) "الأنيس المطرب" ص 42.

والتربية، وما إليها، فلم أجد ما يرسم علاقة المترجم به، ولا من قرظ كتبه من أعلامهم. فهل لذلك سبب، أم محض الصدفة؟.

د- مصاهرته للشرفاء الكتانيين:

قال الشيخ عبد الحي الكتاني في "المظاهر السامية"⁽¹⁾: "هذا؛ وقد علمت مما سبق ما كان لبني الجد الفاسيين، بيت المجد والعرفان، ورئاسة الدين والدنيا وعظم الشان، نحو البيت الكتاني من الاحتفال والابتهاال، وسني الخدمات، بحيث لم يخل علم منهم عن الشهادة لأهل هذا البيت الكريم، ومد يد المساعدة عند الاحتياج، وما ذلك إلا لما عرفوا به من محبة آل البيت عموماً، والبيت الكتاني خصوصاً، وذلك لشدة اختلاطهم معهم، وسبرهم أخلاقهم وصفاتهم، وطول مجاورتهم لهم في السكنى؛ فإن أغلب الكتانيين كانت سكناهم في حومة العيون ورأس الجنان والقلقلين، حتى أن جل الرسوم الموجودة لدور الحومة الأخيرة قل أن تخلو من ذكر واحد من الكتانيين اشتراءً وبيعاً...".

قلت: ولا شك أن ماثخنة المترجم للفاسيين القاطنين بحومة العيون، وتطلعه للمصاهرة بآل البيت، كان سبباً لتعارفه مع الشرفاء الكتانيين، وهم من قال فيهم معاصره نسابة فاس عبد السلام بن الطيب القادري في "الدر السني"⁽²⁾: "هم من شعب الأدارسة، الذين آثارهم واضحة غير دارسة، نسبهم أوصل نسب، وسببهم أوثق سبب، وبيتهم بيت مسكنة وكفاف، وتواضع وعفاف، لهم في الناس على ما هم عليه في أنفسهم من الخمول؛ تسليم من الكافة لنسبهم الشريف وقبول، لا يخفى أمرهم، ولا يُجهل قدرهم".

ومن مبرز آل الكتاني في تلك الفترة: العلامة المؤرخ النسابة أبو عبد الله محمد بن أحمد الكتاني، صاحب "نصرة العترة الطاهرة من أبناء علي وفاطمة الزاهرة"، و"التنبيه من الغلط والتلبس في بيان أولاد سيدي محمد بن إدريس"، (وهو ممن أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي وولديه)، والوجيه الشريف المعظم أبو محمد العربي بن محمد بن علي الكتاني، والشريف الوجيه الصالح إدريس بن أحمد بن علي الكتاني، وغيرهم.

ولا شك أنه كانت تربطه بهم روابط طيبة، وأن أبناءهم: العلامة المدرس محمد بن عبد الوهاب الكتاني، والنقيب محمد الفضيل بن العربي الكتاني، ورجل الأعمال الفقيه عمرو ابن إدريس الكتاني أخذوا عنه، أو التقوا به وتبركوا على الأقل، هذا وعدد ذكور الكتانيين تلك الفترة لا يتعدى الثمانية أشخاص⁽³⁾.

(2) "الدر السني" ص 38 حجرية.

(1) "المظاهر السامية" ص 56.

(3) "الشرفاء الكتانيون" ص 37.

كل تلك المعطيات تعد أسباباً ضرورية حتى تقع المصاهرة بين الشيخ الحلبي وبين الشرفاء الكتانيين، وإن كنت إلى الآن لم أجد من ذكر إشارة للمترجم إلى ذلك في كتبه، ولا وقفت على قصيدة له - وهو الشاعر المكثّر، الذي لا يمكن أن يغفل مناسبة كهاته - حول الشرفاء الكتانيين ومصاهرته معهم.

ويأتي في فصل " ذريته " إن شاء الله تعالى تفصيل أكثر حول هاته المصاهرة.

مكانته وشهادة أهل عصره فيه:

تأتي مجموعة من ثناء أكابر أعلام المغرب على المترجم رحمه الله في قسم التقارير من هذه المقدمة، وقد قال في كتابه " كشف اللثام عن عرائس نعم الله ونعم رسوله عليه السلام "، بعدما ذكر جملة كبرى ممن قرظ له كتبه: " فهو لاء أدركتهم واجتمعت بهم، علماء أبرار، وأهل فضل ومعرفة الله تعالى وعمل، فكتبوا ووقفوا على الديوان، وشهدوا لي بفضل الله تعالى علي نظماً ونثراً⁽¹⁾.. ولكن نذكر هنا ما تيسر جلبه منها:

قال فيه الإمام العلامة الراوية أبو العباس أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي في تقريره لكتابه " فتح الفتاح "⁽²⁾: " العلامة الدراكة الفهامة، بديع الزمان، ومحرز قصبات السبق في المعاني والبيان، غرة العصر، ومحقق الأوان، حامل لواء الفصاحة بين الأقران، صاحب المدائح النبوية التي ملأ صيتها الأغوار والنجود، واستصبت معانيها البديعة ومبانيها الرفيعة الركع السجود...الأوحد السابق المبرز، الذي لا يشق له ضليع غبارا، ولا يشك أنه لا يجارى ولا يبارى، وأنه وإن كان الآخر زمانه فقد قدمه على من تقدم قلمه ولسانه:

يا أبا العباس يا فخر الأدب جئت في ذا العصر منه بالعجب
حزت في العلياء أسنى رتبة قصُرت من دون أدناها الرتبُ
يا لمجدٍ وعلومٍ جمّة وبديعٍ قد تبدّت من حلب...

وقال فيه أديب المغرب الشريف محمد بن الطيب العلمي في " الأنيس المطرب " وقد صدر به الكتاب⁽³⁾: " إمام مذكور، وهمام مشكور، ومعروف فصاحة غير منكور، وبحر لا تكدره الدلاء، وحبر يفاخر أعلام الدلاء⁽⁴⁾، من رجل لا زال للتعليم يلتمس، ويمزق ثوب التسويف كصحيفة المتلمس، حتى ألقت إليه العلوم قيادها، وترك الأقران بملايس البقر أولادها، فأعجزت مفاخره كل ناقل، وغادرت فصاحته سحبان أعى من باقل⁽⁵⁾ " .

(2) " الرياض الربانية " ص 138 .

(1) " الأنيس المطرب " ص 19 .

(3) " الأنيس المطرب " ص 9 .

(4) يقصد الأئمة الكبار أهل الزاوية الدلائية، الشهيرة أهلها بالعلم والأدب.

(5) سحبان بن وائل: رجل يضرب به المثل في الفصاحة، وباقل: رجل يضرب به المثل في الفهامة. (طرة).

"نشأ بحلب، واحتلب من ثدي المجادة ما احتلب، ثم تركها ترك الطيبي ظله، وخالف رأي الإقامة بها مخافة عمرو بن سعيد أهله، وأزمع البعد عنها والنأي، واستقصر رأي من نهاه ولا يطاع لقصير رأي، واحتمل من كد النقل في طلب العلم ما احتمل، وعلم بوافر عقله أن الثمر في البير على ظهر الجمل".

"حتى حل بدره بفاس حلول الشمس بالحمل، فاشتفى بها من جوى التبريح، وجاءها من أنواع الأدب بالضح⁽¹⁾ والريح، فكابد من أهلها ما كابد من الحسد، ثم جال فيهم بعقله الأسد جولان الأسد، فألقوا إليه السلم، وكلفوا به كلف الحللي⁽²⁾ بقرب ذي سلم، وأعظموا أمره، وأصغروا دونه زيد الأدب وعمره، وأدوا بحرر قصائده حجة الإعجاب والعمرة".

"ولما رسب فكره في بحر المعاني وطفأ، وخمد له جمر أهل العناد وطفأ؛ أنفق بضاعة عمره على مدح المصطفى، وجنح إليه كما جنح إلى الحمام بن الخطفي، فعلا قدره، وامتلاً بالأنوار صدره، حتى عد الناس خواصه، وانتهى بينهم إلى مقام الخاصة، وقد أثبت من كلامه ما يعتمد عليه ابن العميد⁽³⁾، ويستعبد أبا عبادة وعبد الحميد⁽⁴⁾... ونقلته بطوله بالرغم من تكراري لفقرات منه، نظرا لبلاغة قائله، وعذوبة ألفاظه رحم الله الجميع.

وقال فيه القادري في "نشر المثاني"⁽⁵⁾ بعد أن وصفه بسراج الدين: "كان ممن ذاق الحب النبوي ومساغه، وحمل فيه لأهل زمانه راية البلاغة، قوال مكثار، لا يستطيعه الحسين ولا مهيار، ممن أعجز كل مديح، وحاز في هذا الباب الفخر الصريح، أنفق عمره في الأمداح المحمدية، واغتتم بما طلب السعادات الأبدية، وأكثر من القصائد الرفيعة، والأزجال البديعة، فتارة يتغزل على طريقة النسيب، وتارة يصرح أولاً بالمديح ويأتي في كل بالعجب العجيب".

وقال فيه إمام الأنساب في المغرب اللغوي الأديب أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله الحوات العلمي الموسوي كما بخطه على رؤيا المترجم الآتي ذكرها في فصل كراماته بإذنه تعالى⁽⁶⁾: "هذا الشيخ الرائي، يعرفه القريب والنائي، إمام مشهور، وهمام مشكور، وبحر لا تكدره الدلاء، وحبر يفاخر أعلام الدلاء، أنفق بضاعته في مدح المصطفى، وأخرج من بحر

(1) الضح: الشمس. (طرة).

(2) يعني الحلبي صاحب البديعة، ويشير إلى قوله فيها: واقر السلام على غرب بذي سلم. (طرة).

(3) أبو عبادة: هو البحري الشاعر المشهور (طرة).

(4) يعني: عبد الحميد الكاتب، المشهور بالبلاغة، كاتب الخليفة مروان بن محمد الأموي (طرة).

(5) "نشر المثاني" (3/ 198).

(6) "الرياض الريانية" ص 128.

المعجزات ما رَسَب من درر البلاغة أو طفا، فعلى في الناس قدره، وامتلاً بالأنوار صدره، واستولى عليه في السر والإعلان، حبان من الإحسان والاستحسان، أحسن له المحبوب بكشف الحجاب، فغاب في استحسان الجمال إلى حد الإعجاب...".

كما وصفه في "البدور الضاوية في تراجم رجالات الزاوية الدلائية"⁽¹⁾ بقوله: "الإمام الخاشع الرهبي"..

ووصفه صاحب "السلوة" في ترجمته منها بقوله⁽²⁾: "الشيخ الإمام، العلامة الدراكة الهمام، الولي الأطهر، والبركة الأشهر، الفقيه الأديب، النائر الناظم الأريب، الشائع البلاغة في المدح النبوي، المفصح بالشوق والمحبة في الجنب المصطفوي، سراج المدين، وضياء المحبين...".

وقال: "إمام مشهور، وهمام مشكور، وبحر لا تكدره الدلاء، وحبرٌ يفاخر أعلام الدلاء. ذاق الحب النبوي وساغه، وحمل فيه لأهل زمانه راية البلاغة، وأنفق بضاعته في مدح المصطفى، وأخرج من بحر المعجزات ما رسب من درر البلاغة أو طفا؛ فعلا في الناس قدره، وامتلاً بالأنوار صدره".

إلى أن قال: "وبالجملة؛ فهو أديب شهير، وعالم صوفي كبير، ولوع بالأشواق النبوية، والأمداح المصطفوية، ظهر صدق توجهه في محبة المصطفى، واغترف من بحار البلاغة ما أعزه وكفى، وأعجز كل مديح، وحاز في هذا الباب الفخر الصريح، ودام على ما كان عليه، إلى أن قبضه الله إليه"..

حاله وصفته:

بنظرة على مراحل ترجمة الإمام الحلبي - رضي الله عنه - ومؤلفاته، وشهادات أعلام عصره وغيرهم فيه، يمكن لنا استنتاج أن المترجم كان: مرجعاً في الفقه الشافعي، يعلم أصوله وفروعه، إليه المرجع في ذلك، إضافة إلى إلمامه بالفقه المالكي ومعرفة قواعده.

كما كانت له في التفسير يد بيضاء، وفهم واستيعاب لقواعده، ومعرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، على اطلاع ذي بال على كتب التفسير واختلاف أهله.

وفي الحديث والسيرة؛ كان له اطلاع كبير، ومعرفة بكتب الفن، وحيازة لمؤلفات نادرة، مع معرفة الصحيح والضعيف، وجرح العلماء وتعديلهم، وهو وإن لم يكن - حسب اطلاعنا - أفرد كتاباً في الحديث، فإن ذلك يظهره جلياً في مؤلفاته. أما السيرة النبوية؛ فقد كان

(1) "الرياض الريانية" ص 135.

(2) "سلوة الأنفاس" (2 / 184).

- رحمه الله تعالى - مرجعاً فيها، بحراً في الاطلاع عليها، مستنبطاً ومحللاً ومناظراً.

وكانت له في علم الأصول يد بيضاء، ومراصة طيبة، وكيف لا وقد درس فيه على أئمة المغرب في وقته كما مضى، وجمع أصول الشافعية إلى أصول المالكية؟.

أما فلسفة التشريع، ومزايا الشريعة؛ فإن "كشف اللثام" كشف لثام علمه فيها، واطلاعه واستبحاره في معرفتها، بحيث كان - رحمه الله - فيلسوفاً نظاراً، ذائقاً محضاراً، وهذا علم قل من مارسه في عصره حسب اطلاعنا، وهو أهل لأن يرجع إليه فيه.

أما اللغة والأدب وما إليها؛ فهو إمامها المتبوع، وشفيعها المشفوع، شهد له أعلام عصره بالتبحر والتفرد، والاستغراق والتجرد، زيادة على إبداعه الفطري، وذوقه الحضري، الذين جعلوا لكلامه وشعره وأسلوبه حلة سيرة، ولوناً متميزاً.

أما التصوف والأذواق، والسلوك والتربية، فقد كان إليه المنتهى فيها، وجل كتاباته وتراجمه، وموضوعاته لا تخلو من ذلك، ولا تكاد تخلو من التطرق إليها، ووعظ الناس بها، مما يدل على أنها كانت هاجسه وشغل وقته، وذلك يدل على إخلاص وإيمان قوين.

والمعارف الإلهية، كان بحراً فيها، ذواقاً للمعاني، مستنبطاً للأسرار الروحية والوجدانية، صاحب مذهب مستقل في ذلك، موله في الذات الإلهية، مستغرق في الجنب المحمدي، متسهما لمزايا الإسلام وحكمه وفنونه، إذا تحدث فيها مزج البر بالبحر، والحلال بالسحر، بل صنف كتاباً كبيراً في ذلك وسمه بـ: "الكنوز المختومة، في الشفاعة المقسومة، لهذه الأمة المرحومة"، وفي "كشف اللثام" وغيرهما.

وكانت له في التاريخ وكتبه اليد البيضاء، علماً واطلاعاً، إضافة إلى علوم أخرى كثيرة؛ كعلم العملات والحفريات، وعلم السياسة، وعلم الفراسة، ووظائف الحواس، وما في حكم ذلك من العلوم التي تستدق جلياً في كتابه "الدر النفيس"، فهو صورة حية لنبوغ هذا الإمام، وسعة معارفه وثقافته.

ولا أستبعد أنه كان مطلعاً أو عارفاً للغات أخرى خلا العربية، خاصة الفارسية والتركية، وربما الكردية كذلك، فمدينة حلب ماثخة لكرد الشام، وتلك لغات كان لأهل عصره وبلدته بها إلمام كما لا يخفى من تراجعهم.

كما يستجلى أن المترجم - رضي الله عنه - كان رجلاً صالحاً، حكيماً، وقافاً عند الأوامر والنواهي، خاشعاً، ممن وعظ فنفعته الذكرى، سبّل حياته للبحث عن رجال الدين والخير، والأخذ عنهم، وكيف لا وهو لم يترك بلده ويستوطن فاساً إلا من أجل ذلك؟.

قال في " الأنيس المطرب " ⁽¹⁾: " لقيته - رحمه الله - بجامع القرويين من فاس الإدريسية حفظ الله سكانها، وشيد على قواعد العلوم أركانها، فحدثني - رضي الله عنه - أحاديث أسكبت الدموع، وهزمت جيوش القساوة والجموع - " . مما يدل على ما ذكرناه جلياً، وأنه كان مهتماً ليلاً ونهاراً بتلك الأمور .

أما محبته في النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله؛ فأمر فاق التصور، أجمع عليه كل من عاشره أو ترجمه، إذا ذكر الحلبي فإنما يُذكر الحب النبوي، والهيام الأحمدي، أنفق عمره في ذلك، ووحد صناعته في البحث عما هنالك، بحيث كان - حسب شعره - يبكي شوقاً، ويترك ملذاته من أجل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله والتفكر فيه . ويعجبني في شعره وصفه للواعجه قائلاً:

| | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| فتراني إذا ذكرتُ حبيبي | باكياً شاكياً تُحولاً ووهناً |
| أثقلُ فوق جمر التصابي | ذاهلاً بالغرام بالاً وذهناً |
| صائحاً من عظيم الجوى: يا لصحبي | أعذروا ذا الشجي الغريب المعناً |
| ما وجدتُ على الغرام نصيراً | غير أنني الأخيدُ حساً ومعنى |
| قد تولى الحبيبُ روعي وعقلي | وعليّ تَذُلُّلا قد تجنّى |
| ليس فيما عشتُ والله شيءٌ | أنا ملِكُ الحبيب والمَلِكُ يُقنا |
| أنا عبدُ الحبيب إن شاء عتقي | لا أشاء ولا لله أتمنى |

ويظهر من سيرته أنه كان سياسياً محنكاً، يعرف معاملة الناس، ومعاشرتهم، فقد استوطن المغرب، ولقي من حسد الكثير من أهله ما لقي، وبالرغم من ذلك فقد دارى وما جارى، وسلم من كثير منهم على شدة إيذائهم كما يأتي. كما التقى بملك المغرب المولى إسماعيل، وأكرمه وأحسن وفادته، وهو الملك الذي يقال بأن الموت والحياة كانا تحت طرف لسانه، وبالرغم من ذلك فقد كانت له علاقات قوية مع زوايا كانت تعتبر معارضة للنظام، كالدلائية والناصرية، ولم تتسبب تلك العلاقة في أية إيذاة له. كما لم يخض في فتن المغرب وقلاقله، لعلمه بأنه غريب لا يقبل خلافة، خاصة فتنة الحراطين الماضي ذكرها.

كما تدل قصته مع الشيخ عبد القادر الفاسي حين جلس أحدهم بينهما، وقيامه غاضباً بحضرة الشيخ، حتى قام الشيخ منتصراً له؛ على أنه - رضي الله عنه - كان أبي النفس، قوي الشكيمة، لا يتنازل عن حقه، يأبى الضيم، قوي الشخصية، فلم يكن غراً أو مفرطاً في كرامته. فتواضعه كان عن حلم، وأنفته كانت عن شهامة، وهذه الأنفة والفرعة من صفات أهل حلب إلى الآن.

وكان زاهداً، بعيداً عن الدنيا والشهرة، قال مولانا الجدي " السلوة " كما مضى: " وخطوب بولاية الكراسي والمنابر؛ فأعنته الغيبة عن الظهور "، مما يدل أن نشره للمدح النبوي، وطرقه أبواب السلطان من أجل ذلك إنما كان لله، وتقرباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، لا لمصالح دنيوية، وهذا منتهى ما يكون في الزهد والورع والإخلاص.

كما يدل شعره على أنه - رحمه الله - كان أشقر شديد البياض، كبير الجثة، جميل المنظر، مليح الشبهة، وتلك صفات معروفة عند أهل حلب إلى الآن.

واستفدنا من نقل الأستاذ داود في " تاريخ تطوان " كما مضى، أن المترجم كان خطه مشرقياً - ربما فارسياً - مليحاً، جميلاً، وتلك صفات - كما عند أرباب الفراسة - لمن رجع عقله واستوت طبيعته، وانتظم فكره.

الآخذون عنه:

بالرغم من الصيت الذائع للمترجم، وطول رحلته، وكثرة تنقلاته، فإنه قل من صرح بالآخذ عنه، أو التلمذة عليه، وبعد البحث والتنقيب وقفت على الأسماء المذكورة:

- بنته الصالحة القائنة السيدة فاطمة الحلبيّة.
- زوج بنته النقيب الشريف أبو عبد الله محمد الفضيل بن العربي الكتاني.
- محمد الصغير الإفرائي. الإمام المشارك المؤرخ. اعتبره عمدته في العلوم⁽¹⁾.
- الأديب المصقع الشريف محمد بن الطيب العلمي، وصدر بترجمته كتابه " الأنيس المطرب بمن لقيته من أدباء المغرب ".

- حافظ سلا أحمد بن (ابن عاشر) الحافي. حضر مجالسه وقال: " جالسناه ودعا لنا "⁽²⁾.

أما في الرواية؛ فلم أتأكد من آخذ عنه، وإن كان مثل الصغير الإفرائي الذي جعله عمدته، نكاد نجزم بروايته عنه، واستجازته منه، وهو - أي: الإفرائي - الموسوم بالمحدث الحافظ...

مؤلفاته:

ترك مترجمنا - رضي الله عنه - مؤلفات عظيمة المقدار، جليلة الآثار، هي في نحر الغيد قلادة، وفي مصاف الأدب والبلاغة عماده، وصفها جد جدنا في " السلوة "⁽³⁾ بقوله: " وله مؤلفات، في أغراض مختلفات، أكثرها لم يكشف عن مخدراته سواء، ثم لم يكن أن يبلغ فيه مداه ".

(2) " فهرس الفهارس " (2 / 841).

(1) " الإعلام " (6 / 50).

(3) " سلوة الأنفاس " (2 / 184).

وما تيسر لنا العثور من أسماؤها عليه، مرتبة أبجدياً:

1 - "تعشير الكواكب الدرية في مدح خير البرية". أوله:

أأنت في يقظة أم أنت في حُلُم
أذبتَ جسمك بالأشواق والألم؟
وآخره:

ما شذا الطير بالأغصان والأكم
وما سرى الركب نحو البيت والحرم

توجد منه نسخة تامة كتبت بخط مغربي وسط ملون، تقع في 25 ورقة، مقياس 17.5×12.5 سم، مسطرة 20 س، بها تعقيبية وخروم كثيرة، وتقييد في الأخير.

2 - "الحلل السندسية في المقامات الأحمدية القدسية": يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة في الرباط تحت رقم: د 2557، ويقع في 214 صفحة، ومسطرته 16، ومقياسه 9.13×18 . وهي تشمل على 25 مقامة.

وتوجد منه نسخة أخرى بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 4265 ضمن مجموع، كتبت بقلم مغربي وسط ملون، كان ابتداء تأليفها يوم الجمعة من أول جمادى الأولى عام 1094، وكان الفراغ منها في أواخر شعبان من نفس العام، تقع في 190 صفحة، مقياس 16.5×13.5 سم، مسطرة 20 س، بها تعقيبية وخروم كثيرة في الجوانب، وعليها تقاريط عدة لعلماء مشاركة ومغاربة.

كما توجد منها نسخة أخرى بنفس الخزانة، تحت رقم 4862، غير تامة، تنتهي عند المقامة الثالثة، كتبت بخط مغربي وسط ملون، بها 14 صفحة، مقياس 29.5×21 سم، مسطرة 23 س، بها تعقيبية وبعض الخروم.

ويوجد هذا الكتاب مصوراً على الميكرو فيلم بنفس الخزانة رقم 608 في 507 صفحة، وبالخزانة الصبيحية رقم 81، وطبع طبعة حجرية بفاس عام 1322. وهذه المقامات كتب عليها أكثر أئمة العصر مشرقاً ومغرباً مقرّطين ومعجبين.

وقد قال فيه مولانا الجد في "السلوة"⁽¹⁾: "كتب عليها أكثر أئمة العصر في المشرق والمغرب، وأوسعوا في الثناء عليه بما شاهدوه من أمره المعجب".

3 - و"خلع الأطمار البوسية بنهج الأسطار اليوسية". تفرد بذكره صاحب "زهر الآس"⁽²⁾. قلت: وذكر عم جد والدتنا الحافظ الشيخ عبد الحي الكتاني⁽³⁾ رحمه الله كتاب: "خلع الأطمار البوسية بدفع الأمطار اليوسية"، ناسباً إياه للعلامة الحافظ عبد الملك

(2) "زهر الآس" (1/ 367).

(1) "سلوة الأنفاس" (2/ 184).

(3) "فهرس الفهارس" (1/ 256).

التاجوعتي، كما سبق ذكره، فهل هو نفس هذا الكتاب، وأخطأ صاحب "زهر الآس" في نسبته، أم العكس، أم هو كتاب آخر؟. وإن كان الشيخ عبد الحي قال عقب ذلك: "وقعت لي نسخة منه عليها خط المؤلف بالتصحيح (يعني التاجوعتي)، وخط العلامة الإفرائي بالتأييد".

4 - "الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس": يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة في الرباط تحت رقم: د 649 ويقع في 216 ورقة، ومقياسه 9.19×3.14 ومسطرته 22.

وتوجد من نفس هذا الكتاب نسخة أخرى مخطوطة في نفس الخزانة رقم: ك 433. ولقد طبع هذا الكتاب مرتين بالمطبعة الحجرية بفاس: فالمرّة الأولى عام 1300 هـ، في 400 صفحة، والمرّة الثانية يوم 26 رمضان عام 1314 هـ.

ونجد عدة علماء مغاربة قد وضعوا تقارير على هذا الكتاب كعبد الملك التجموعتي، ومحمد بن الحسن المجاصي وأبي مدين محمد المكناسي، ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي الشاذلي، وعبد الواحد بن محمد البوعناني.

5 - ديوان يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة تحت رقم: ك 1323 ويشتمل على 147 ورقة ومسطرته: 13، ومقياسه: 3.22×7.17 .

ومطلعه: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، يقول العبد الفقير، المعترف بالعجز والتقصير، المتعلق بأذيال البشير النذير؛ أحمد بن عبد الحي الحلبي سامحه الله: عليك وآلك الصلوات ترا وصحبك، من لهم قدر رفيع وآخره:

يفوق صفائح الإبريز لونا ويحكى بظنه دون البطون
وإن يفرق يفح مسك فتيق فتلقى الدر في الخد المصون
ويتعلق موضوع نظم هذا الديوان بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع الشاء عليه وذكر فضائله.

ويوجد بهذا الديوان البتر في أعلى الصفحة الثانية منه، وفي الصفحة الثالثة، كما أنه مبتور الأخير، ويعاني من الأرضة والرطوبة.

ولقد وضع تقارير لهذا الديوان عدة علماء مغاربة ونجد منهم: محمد بن أحمد القسنطيني الكماد، وعبد الملك بن محمد التجموعتي السجلماي ومحمد بن إبراهيم، وزين العابدين بن محمد البكري، وعبد القادر بن علي الفاسي، ونجله محمد وعبد الرحمن، ومحمد بن المبارك

المغراوي، ومحمد بن علي السليمان السجلماي، وقاضي القضاة بالمغرب محمد المجاصي، والعلامة المشارك أحمد بن حمدان، ومحمد المرباط الدلائي، والشيخ محمد الشاذلي الدلائي، والحسن اليوسي وعلي بركة التطاوني، ومحمد البوعناني.

6 - ديوان آخر جمع فيه مجموعة من القصائد في المدح النبوي، أولها:

كلما رام سلوا في الهوى زيد وجُدَّ في حشاه قدحا
وأخره:

أجارَ المستجيرَ بكل حال وفيه لم يخب قط الرجاء
يوجد بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 6934، وهي نسخة مبتورة الطرفين، كتبت بقلم مغربي جميل ملون، ومشكول، تقع في 139 ورقة، مقياس 15 × 21 سم، مسطرة 13 س، بها تعقبة.

وتحت رقم 9058 ضمن مجموع منها، نسخة أخرى أولها:

يسر لنا الإخلاص في أعمالنا وانظر إلينا، أنت أكرم واهب
قام الدليل على انفرادك في العلا يا من تفرد بالوجود الواجب
ونهايتها:

صلاتي والسلام عليك ترا وآلك والصحاب هم الأسود
كتبت بقلم مغربي وسط مشكول وملون، تقع في تسع ورقات من 1 إلى 10، مقياس 20 × 29 سم، مسطرة 37 سطرًا، بها تعقبة وطرر كثيرة.

ونسخة أخرى تحت رقم 9456، من نفس الخزانة، عتيقة، كتبت بخط مغربي مشكول لا بأس به، تقع في 234 صفحة، مقياس 16.5 × 27 سم، مسطرة 11 س، بها تعقبة وخروم كثيرة، وأثر الرطوبة، ومجموعة من الطرر.

7 - "الروض البسام، في رؤيا غيره عليه السلام". ذكره له صاحباً "الأنيس المطرب"، و"سلوة الأنفاس" ⁽¹⁾. ولم يقف له ابن منصور على أثر ⁽²⁾.

8 - "روضة الأزهار في مدح الفضلاء والأخيار". ديوان في المدح النبوي، كما يضم تخميس البردة للبوصيري وتعشيرها، وتخميس قصيدة سيدي علي وفا، وبعض التتف من شعره. توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 118، مبتورة الأخير، كتبت بخط مغربي جيد ملون ومجدول ومشكول، تقع في 294 صفحة، مقياس 16.5 × 21.5 سم، مسطرة

(1) "سلوة الأنفاس" (2 / 185).

(2) "أعلام المغرب العربي" (6 / 133)، ولم أقف في نسختي من "الأنيس المطرب" على ذكر هذا الكتاب.

مختلفة، بها تعقيبية وبعض الخروم، وطرر كثيرة، وهي عارية من تاريخ واسم الناسخ. توجد منها نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 4309، كتبت بخط مغربي حسن ملون، مشكول، ومجدول، تضم ثمانين ورقات، مقياس 15×21 سم، بها تعقيبية وأثر الرطوبة، وتقايد في الأول والأخير.

9 - "ريحانة القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب". يقع في سفر. ولم نقف له نحن ولا ابن منصور على أثر. بيد أن العلامة محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني يذكر أنه توجد نسخة فريدة منه بإحدى الخزائن المغربية الخاصة⁽¹⁾.

10 - "السيف الصقيل، في الانتصار لمذبح الرب الجليل". وهو ردّ رده على معاصره الإمام الحسن بن مسعود اليوسي، عندما أنكر عليه أموراً تأتي في باب محتته. رحم الله الجميع⁽²⁾.

11 - "السيف المسلول في قطع أوداج الفلوس المخدول". وهو رجل أنكر عليه نداء النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله باسمه مجرداً عن السيادة في قصيدة مطلعها:

وحقك يا محمد ما رأينا نظيرك في جميع العالمينا

ويأتي الحديث عنه لاحقاً إن شاء الله تعالى في فصل: محتته.

12 - شرح مناجاة شيخه البرناوي. ذكرها الإفرائي في "الصفوة"⁽³⁾، ونقل عنها.

13 - "عرائس الأفكار في مدائح المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله". يوجد مخطوطا بالخزانة العامة تحت رقم: ك161، ويقع في 318 صفحة، ومسطرته غير مستوية (19-23)، ومقياسه 5.20×6.26 ، كما توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 5777، جميلة، مزخرفة الديباجة، كتبت بخط مغربي جيد ملون ومجدول، تقع في 241 صفحة، مقياس 17×22 سم، مسطرة 18 س، بها تعقيبية وطرر كثيرة، وهي سالمة من الخروم. ونسخة أخرى تامة بنفس الخزانة، تحت رقم 11397، كتبت بخط مغربي وسط ملون، ومشكول على يد عبد الله بن سعيد بن عبد الله الولتي، في شعبان عام 1130، تقع في 341 صفحة، مقياس 16×24 سم، مسطرة 18، بها تعقيبية وبعض الخروم. ويتعلق بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

14 - "عمدة الغريب في مدح الهادي الحبيب". قصيدة، نقل عنها صاحب "الأنيس المطرب"⁽⁴⁾.

(1) "مصادر تاريخ إفريقيا من خلال المخطوطات العربية"، منشورات الأكاديمية المغربية، العدد الرابع، 1987. ص 242، وربما يقصد بإحدى الخزائن المغربية الخاصة: خزانته هو نفسه؟.

(2) "معلمة المغرب" (11/ 3539)، بقلم مارية وادي.

(3) "الصفوة" ص 204.

(4) "الأنيس المطرب" ص 10.

15 - "فتح الفتاح على مراتع الأرواح": يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة تحت رقم: 425، كما يوجد مُصَوَّراً على الميكروفيلم تحت رقم: 870، ويشتمل على 343 صفحة، ومسطرته غير مستوية (26-29)، ومقياسه: (1.28×9.21) .

ووردت بهذا المخطوط تقاريظ كل من: محمد بن أحمد القسنطيني الحسني، ومحمد بن عبد القادر الفاسي الفهري، وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري، وأحمد بن العربي بن الحاج، ومحمد بن محمد البوعناني، وأحمد بن سعيد، ومحمد الشاذلي الدلائي، ومحمد بن الحسن المجاصي، وأبي مدين السوسي المكناسي، وأحمد بن يعقوب، وسعيد بن أبي القاسم العميري. ويعاني هذا المخطوط من الأرضة والرطوبة. وهو شرح على عينيته الآتي ذكرها، ومطلعها:

أيا من له في العالمين ودلُّعُ ودائعُ سر بالجمال بدائعُ

16 - و"كشف اللثام بمراتع الأرواح". تفرد بذكره صاحب "زهر الآس"⁽¹⁾.

17 - "كشف اللثام عن عرائس نعم الله ونعم رسوله عليه السلام": يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة تحت رقم: 561 ويقع في 504 صفحة، ومقياسه: 1.31×3.23 ، ومسطرته: 18 وهو كتاب مبتور الأول والأخير.

قال فيه جد جدنا "السلوة"⁽²⁾: "وهذا الكتاب ذكر فيه مرائيه الإلهية والنبوية، الدالة على أعظم البشائر الدنيوية والأخروية، وبمطالعة يعرف قدره، ويظهر مكانه وفخره، وكذا بمطالعة غيره من تأليفه".

18 - "كنز الذخائر" يوجد مخطوطاً بنفس الخزانة رقم 873/17، ويقع في 78 ورقة، ويتعلق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ومسطرته غير مستوية، ومقياسه 18×15 .

وله قصة طريفة ذكرها أحد أحفاد المترجم، الإمام النسابة الاجتماعي؛ أبو عبد الله محمد ابن عبد الكبير بن هاشم الكتاني، في "المواهب الفتحية في ذكر الأخوة الأربعة أبناء السيدة فاطمة الحلبية"⁽³⁾ قال رحمه الله: "ومنها: دليل على نسق "دلائل الخيرات" للجزولي؛ ذكر لي والدي - رحمه الله - لما أن كان مستخدماً في الحضرة الشريفة أيام الجلالة الحسنية، وكان هذا الدليل بالخزانة الحسنية بالدار العالية بالله، وكان وقتئذ القيم بالخزانة المذكورة والأمين عليها: الطالب الأجل، المسن البركة، المنعم؛ السيد عبد الوهاب بن المحتسب القائد الأَرْضِي المنعم السيد علال الشامي الخزرجي، والمتفقد للكتب العلمية بها بمحضرة: الشريف الفقيه العلامة

(2) "سلوة الأنفاس" (2/ 184).

(1) "زهر الآس" (1/ 367).

(3) "المواهب الفتحية" ص 17، مخطوط.

المطلع، المنجم الفلكي، الموقت المعدل؛ المولى إدريس بن الطائع البلغيثي العلوي الحسني، فكان يفتح الخزانة في صباح كل يوم خميس دواماً واستمراراً، وأجرة المتفقد شهرية له منفذة عند أمناء الصائر بدار عدل، مع علف البهيمة المنفذة لركوبه.."

"إذ وقع عثورها على الدليل المذكور، غير أن بعض أوراقه دخلتها النار الباردة، وأعلمنا بذلك الجنب الشريف، وصدر الأمر لهما على يد وزيره الصدر الأعظم، الفقيه العلامة الأديب؛ سيدي محمد بن أحمد الصنهاجي بإعادة نسخه على يده، وذلك سنة خمس وثلاثمائة وألف، وصدر الوزير المذكور نسخة كاتبه الم رابط الفقيه، العدل الأرضي الأريب؛ سيدي محمد المفضل ابن الم رابط الفقيه العدل، الرضي الأديب؛ سيدي محمد المفضل بن الم رابط الفقيه العدل، الموثق المنعم سيدي عمر الفاسي الفهري، وأتقنه بخطه. وعند تمامه؛ دفع للمعلم الماهر، الطالب سليمان جتّون المترجم، حيث كان في وقته رئيس المترجمين في صنعة تراجم الكتب المكتوبة بالذهب، فهو العمدة وإليه المرجع فيها."

"فأتقن تراجم الدليل وما له من الفصول، واسم الله الأعظم، واسم نبيه عبده ورسوله، وجدّو له بالذهب، وعند إتمامه؛ جعل له غمداً بعد إصلاح الدليل الملفى، وإعادة تفسيره، وجعل له غمداً، ودفعاً للصدر، ورفع للجلالة الشريفة، وأمر بردهما للخزانة المذكورة، ورجعا إليها. وقد ذكر لي والذي أنه رأى الأصل والمنتسخ في قالب ثلاثي ضخّم، وقد طالع جلّه... فهل الحديث عن هذا الكتاب، أو عن كتاب "معارج الوصول" الآتي ذكره؟، الله أعلم."

19 - "الكنوز المختومة، في الشفاعة المقسومة، لهذه الأمة المرحومة". ذكر صاحب "نشر المثاني" ⁽¹⁾ أنه في ثلاثة أجزاء، وقال جد جدنا في "السلوة" ⁽²⁾ بأنه في أربعة أسفار. يقع جزآن منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 500 ك، والثاني تحت 2724. وكان أحد الأجزاء الأربعة موجوداً بإحدى خزائن مكناس، ورابع الأجزاء بإحدى خزائن القصر الملكي بفاس ⁽³⁾.

وموضوعه: البحث في فضائل أركان الإسلام، ومزايا الإيمان والطاعة وامتنال أوامر الله واجتناب نواهيه، وفيه فصول عديدة.

20 - "مراتع الأرواح، في كمالات الفتاح". قصيدة عينية. في المدح الإلهي، توجد ضمن هذا الديوان.

21 - "معارج الوصول بالصلاة على أكرم نبي ورسول": هذا الكتاب كان مخطوطاً

(2) "سلوة الأنفاس" (2 / 185).

(1) "نشر المثاني" (3 / 200).

(3) "أعلام المغرب" (6 / 133).

وقام الدكتور الشريف خالد الصقلي بتحقيقه بالاعتماد على نسختين، وبوضع تقديم له. ولم ينشر بعد. توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 51.332، ونسختان بالخزانة الصبيحية بسلا، تحت رقم: 74/1، و: 204/2.

22 - مقصورة همزية عارض بها همزية الإمام البوصيري في المدح النبوي. تقع في 284 بيتاً، مطلعها:

بدءً مجدك في المعالي انتهاءً للنبيين، والورى شهداء

23 - "مناهل الصفا في جمال ذات المصطفى". توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الناصرية بتامكروت، تحت رقم 2172.

24 - "مناهل الشفا في رؤيا المصطفى". لم نقف له على وجود.

25 - "المناهل العاطرة، في مظاهر جمال سيد أهل الدنيا والآخرة". ذكره في "الدر النفيس"⁽¹⁾، وذكر أنه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

26 - "نظم" عبارة عن قصائد في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله، توجد مخطوطة بالخزانة العامة في الرباط تحت رقم: د 774 ضمن مجموع من ورقة 23 إلى ورقة 48 في 595 بيتاً، ومسطرته غير مستوية: (13-16)، مقياسه: 4.14 × 20. ومطلعها:

سلام لحبيب مليح وجه به في الناس يُستسقى الغمام
وآخرها:

عليك صلاة الله ثم سلامه وطرا والذين هم الصحب
27 - "نظم" ضمن نفس المجموع ص (72-77) ويقع في 154 بيتاً. ومطلعه:

هم ليس لي عن بابهم حول إذ في مكارمهم حق لي الأهل
وآخره:

وعلى الآل والصحابة ما هب سب النسيم وجدر منه الذيولا

28 - "نظم" ضمن مجموع رقم 3 يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة تحت رقم د: 2857، ص: (266-269)، وهو عبارة عن قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ومسطرته: 14 ومقياسه: 13 × 17.5 ويقع في 33 بيتاً.

(1) "الدر النفيس" (ص5، م32).

ومطلعها:

لبابك يا كريمٌ لقد وقفنا ومنك الجودُ يُسأل والعطاء
وآخرها:

سؤال القبر من فضلي وجودي باباب كنزه والكيـمـياء
29 - "نظم" ضمن نفس المجموع رقم 4، ص (279 - 281)، وهو عبارة عن قصيدة
في 30 بيتاً تتعلق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

ومطلعها:

ألا صلوا قياماً أو قعوداً على خير الورى يا عاشقين
وآخرها:

عليك وآلك التسليم يحكى أزاهر الربا والياسميننا
30 - "نظم": ضمن نفس المجموع رقم: 6 ص (320-332) وهو عبارة عن قصائد
وتقع في 217 بيتاً وهي تتعلق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وفي مدحه
عليه الصلاة والسلام.

ومطلعها:

صلى الله عليك يا من حوضه للواردين يصفيه الكوثر
وآخرها:

والسلام عليك والآل طرا والصحاب الأعظم السابقين
31 - "نظم": يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة تحت رقم: د 2896، ضمن مجموع
رقم 15، ص (188 - 190) وهو عبارة عن قصيدة في مدح النبي عليه الصلاة والسلام
وتقع في 24 بيتاً ومسطرته 18، ومقياسه: 28.4 × 20.

ومطلعها:

صلى عليك الله يا مجتبي يا خير سام للعلا قد رقى
وآخرها:

صلى الله عليك يا مصطفى والآل والأصحاب أهل التقى
وذكر بواجهة هذا المخطوط نظم عبارة عن بيتين وهما كما يلي:

هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهباً، لكان البائع المغبونا
أوماً من الخسران أني آخذ ذهباً، وتعطي لؤلؤاً مكنونا؟
ويعاني هذا المخطوط من الأرضة والرطوبة.

32 - "نظم": يوجد مخطوطا بالخزانة العامة تحت رقم: د 2982، ضمن مجموع رقم 7، ص (97-101)، وهو عبارة عن قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وتقع في 153 بيتاً، ومسطرته غير مستوية: (13-21) ومقياسه: 3.15×8.20 ومطلعها:

صل يا رب على خير الورى سيد الكونين سلطان الجمال
وآخره:

العرش أن يضحى ضريحاً لأحمد كي يحق له الهنا
33 - "نفحات الطيب في الثناء على الحبيب صلى الله عليه وسلم وعلى آله": يوجد مصورا على الميكروفيلم في الخزانة العامة تحت رقم: 282. ويقع في 2 ج، فالجزء الأول يقع في 249 صفحة، والجزء الثاني يقع في 220 صفحة.

وتوجد نسخة مخطوطة في نفس الخزانة تحت رقم: ق 140 في 251 صفحة، ومقياسه: 3.27×2.20 ومسطرته غير مستوية (20-21).

وهذا الكتاب كما يظهر من العنوان يتعلق بالثناء على سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وقد قام المؤلف بذلك الثناء بواسطة الشعر.
محتته:

لا شك أن إماماً نابغة كالشيخ الحلبي رضي الله عنه، مظنة الوقوع في محن وابتلاءات من أهل عصره، خاصة من شاركوه في حرفته؛ وهي: الأدب والشعر والقريض، فلم يسلم من طاعن وحاسد، إلى حد أن رفعوا أمره إلى السلطان، وأذوه في نفسه وماله.

وقد مضى قول تلميذه صاحب "الأنيس المطرب": "حل بدره بفاس حلول الشمس بالحمل، فاشتفى بها من جوى التبريح، وجاءها من أنواع الأدب بالضج والريح، فكابد من أهلها ما كابد من الحسد، ثم جال فيهم بعقله الأسد جولان الأسد، فألقوا إليه السلم، وكلفوا به كلف الحلي بقرب ذي سلم، وأعظموا أمره، وأصغروا دونه زيد الأدب وعمره، وأدوا بحرماً قصائده حجة الإعجاب والعُمره".

فمن أكبر الابتلاءات التي ابتلي بها؛ تعرض أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، من كبار أئمة المغرب وأدبائه في وقته، له، وتشنيعه عليه، ورميه له بالزندقة والخروج عن العقيدة السليمة، وذلك لتكلمه في بعض القصائد على لسان الحضرة الإلهية، كقوله في قصيدة:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| أنا الأزلي ليس لي ابتداء | أنا الباقي وليس لي انتهاء |
| وحقي ليس لي في الملك ثاني | أنا الأعلى ودام لي العلاء |
| أنا القدوس قدسني البرايا | أنا الرحمن أرحم من أشاء |

أنا القهار أقهر كل باغ
أنا الغفار كل ذنوب قوم
يطول له على الخلق اعتلاء
لقوم بابي المفتوح جاؤوا
... إلخ.

ودعاه وألزمه بالتراجع عن ذلك والتوبة منه، قال صاحب " السلوة " ⁽¹⁾: " نقم عليه الشيخ اليوسي ذلك ونهاه، سداً للذريعة، وحماية لجانب الشريعة، مخافة أن يقتدي به في ذلك، من ليس له حظ هنالك، فلم ينته صاحب الترجمة عن فعله؛ لعلمه أنه فيه على بصيرة من ربه، وأنه يتكلم بلسان الوجد والحال، لا بلسان التمشدق والابتذال " .

قلت: وأصل القصة مذكور في " نشر المثاني "، وأنا - وإن كنت أشك في صحة نسبتها للكتاب المذكور، نظراً لشواهد أذكرها بعد هذا - سأسوق نص القصة من " نشر الثاني " ⁽²⁾: قال رحمه الله: " ثم إنه نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق تعالى بعدما كتب له على تواليقه، فاطلع عليها الشيخ اليوسي فزجره، وأمره بتمزيقها، فامتنع من ذلك، فهجره الشيخ اليوسي وجرحه بذلك، وقطع عنه ما كان يواصله به، وحذر من الاجتماع به، وأبى أن يتوب، واستمر على ذلك، ولم يقدر عليه الشيخ اليوسي بشيء... " .

إلى أن قال بعد سوقه علاقة المترجم بالسلطان المولى إسماعيل، والتي نقلت كلامه فيها أعلاه: " ... بسبب ذلك كف عنه الشيخ اليوسي حيث علم أنه لم يقدر عليه بشيء... ثم إن السلطان اطلع على بعض ذلك، فلما سمعه؛ تنكر لذلك وتأمله، فظهر له أنه خرج بذلك عن مذهب أهل السنة، وتحل إلى أهل البدع والزيغ، وأبعده عن حضرته، وكف الله عن المؤمنين شر بدعته... " .

قال محققا الكتاب الأستاذان محمد حجي وأحمد توفيق ⁽³⁾: " أثبتنا كذلك في ترجمة الحلبي أوفى ما في النسخ التي بأيدينا دون إشارة إلى الفروق " .

قلت: على أن ترجمة فيها قصة كتلك لحرية بالتحقيق والتحقيق، ومراجعة النسخ وترجيح المرجح منها، لا نشر كلام فيه الطعن في عرض إمام كهذا، خاصة مع ما في ترجمة القادري هذه من التناقض الفاحش باعتبار إثباتنا للقصة وملحقاتها.

فهو يصفه أولها بسراج الإسلام، ومعلوم ما في هذا اللقب من المقدار، ثم يختمها بأن حاله تبدل نتيجة لبدعته؟.

ثم يذكر بأن الملك وحاشيته كانوا يغدقون عليه الأموال، وفي نفس الوقت يذكر بأن اليوسي، العالم الغريب، خريج الزاوية الدلائية التي كانت حينه في أسوأ مراحلها بعد أن

(2) " نشر المثاني " (3/ 200).

(1) " سلوة الأنفاس " (2/ 185).

(3) " نشر المثاني " (3/ 201) حاشية.

دمرها المولى الرشيد وشتت أهلها، أقول: يذكر بأن اليوسي كان يقضي له جميع مآربه، ويصرف عليه؟. فما حاجته لأموال ذلك الغريب ومعونته والملك وحاشيته لا يقصرون معه؟.

ثم الرجل الذي ثبت على مبدئه، ويتنازل عن معونة شخص آخر من أجله، وهو إمام في مذهبه الشافعي، متبحر في المذهب المالكي، أجمع أهل المشرق والمغرب على الثناء على علمه ودينه، حل من الشام للمغرب، مارا بالعراق والحجاز ومصر والسودان، وشمال إفريقيا، طالبا للعلم وباحثا عن المشايخ وأهل العلم والسلوك، ومضى ما ذكرناه في " حاله " من قوة شخصيته وثباته على مبدئه؛ لحري بالاعتناء به، وتعظيمه، والوقوف عند آرائه.

ثم ما زال أئمة الطريق والسلوك يكتبون الأشعار، وينثرون المقامات والقصص الاعتبارية متحدثين على لسان الحضرة الإلهية بما صورته التمثيل لا الحقيقة، وأشعار ابن الفارض، وكتب ابن العربي الحاتمي، بل وأقوال متقدمي الصوفية وأئمة السلف الصالح مليئة بذلك، أفلم يبق لليوسي سوى الحلبي من أجل تبديعه وحربه؟، ولم يبق للمولى إسماعيل سوى قضيته في ملكه؟، هذا عين الإجحاف والتناقض اللذين يربأ علماؤنا عنهما.

فالظن الذي أظنه هو: أن ما زيد في القصة من لمز المترجم منتحل، وضعه بعض الحسدة في "نشر المثنائي" كذبا على صاحبه، ووقوعاً في الإمام الحلبي لحاجة في نفسه. خاصة وأن جدنا الخامس الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني رحمه الله نقل ترجمة "نشر المثنائي" في كتابه "الرياض الريانية"⁽¹⁾، ولم يذكر تلك الزيادة التي ذم بها القادري الحلبي، ولا أشار إليها ولا إلى حذفها، وهو الفقيه الضابط، فدل على عدم وجودها في نسخته.

وأقصد في الانتحال نص القصة في "نشر المثنائي" وما تبعها من المذمة، خاصة وأن مؤلف الكتاب كان أحد العدول الذين شهدوا على وصية ابنة المترجم الولية الصالحة السيدة فاطمة الحلبية بتاريخ مهمل جمادى الثانية من عام 1170⁽²⁾، مما يدل على قرب العلاقة وتمازج الألفة بينه وبين آل المترجم، فيستبعد تماما أن يصفه بتلك النعوت... أما أصل القصة؛ فسلمه من جاء بعده، وهناك قرائن تشهد للنزاع المذكور.

بل وقفت في ترجمة الشيخ الحلبي من "زهر الآس"⁽³⁾ أن له - كما أسلفنا - كتابا بعنوان: "خلع الأطمار البوسية، بنهج الأساطار اليوسية"، وهو كما يظهر من عنوانه رد على اليوسي، ومضى فيما سلف الحديث عن نسبته إليه، وله "السيف الصقيل في الانتصار لمذح الرب الجليل"، ذكرت "معلمة المغرب" - حسبما سبقت الإشارة إليه - إلى أنه رد على اليوسي.

(2) "زهر الآس" (1 / 368).

(1) "الرياض الريانية" ص 134.

(3) "زهر الآس" (1 / 368).

وهب أنها صحيحة؛ فالحق بلا شك مع الشيخ الحلبي، ومن خالفه كانوا حسدة حسدوه على علمه وذوقه وعذوبة شعره ورقته، خاصة وأن أشعار أدباء المغرب كانت أقرب إلى شعر الفقهاء، منها إلى العذوبة والنعومة، وطغى عليها جانب البحث عن ضروب الشعر وأوضاعه أكثر من الشاعرية والذوق الذاتي.

بل نجد أن الإمام اليوسي رحمه الله كانت بينه وبين أعلام فاس - خاصة الزاوية الفاسية - مشاحات وإحن، وردود ومساجلات، منها: ما مضى من انتصار علامة تافلات عبد الملك التاجوعتي للشيخ الحلبي عليه، وذلك بكتابه: "ملاك الطلب، في جواب أستاذ حلب" (1). في مسألة علم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

ومنها: ما ذكره القادري في "النشر" (2)، من كتابة الحافظ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي بيتين في هجائه - أعني: اليوسي، جوابا على قول اليوسي:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| ما أنصفت فاساً ولا أعلامها | علمي ولا عرفوا جلالة منصبي |
| لو أنصفوا لصبوا إلي كما صبا | راعي سنين إلى الغمام الصيب |

فأجابه الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي بقوله:

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| بل يعرفونك دونهم، فاستيقنوا | جهل الذي يقفوك غير مكذب |
| تخزي الدجاجل عاجلا أو آجلا | في فاس، وهي طريدة من يثرب |

وأجابه الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي بقوله:

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| بل أنصفت فاساً ومن إنصافها | أبدا سقوط المدعي والمعجب |
| تنفي الدجاجل آجلا، بل عاجلا | فكأنها [فيها] طريدة يثرب (3) |

فشكاه إلى والده الشيخ عبد القادر (المتوفى بتاريخ 1091)، فأجابه الشيخ عبد القادر بقوله: "الباديء أظلم، وأنت أزلت جلابب الوقار، وأبحت عذارك لمعارضتك الأحداث وإصغائك لمن لم يساوك في علم ولا سن".

فلم ينتصر له ظاهرا، وإن كان انتصر لمنزلته العلمية باطنا، ولا شك أن منافسة كتلك سبب كاف لتتبع اليوسي سقطة من أديب نفسه، وإمام تصدر في المغرب علما وصلاحا وإقبالا من الملوك بله العلماء والعامه عليه.

على أن ظاهر حال الشيخ الحلبي من ناحية شعره، يثبت أن حاله لم يزد إلا ترقياً، ونوره

(1) "فهرس الفهارس" (1 / 256).

(2) "نشر المثاني" (3 / 28).

(3) في المصدر المنقول عنه: فكأنها هي في الدنيا. إلخ، ولا يستقيم وزنا، وهو والله أعلم تصحيف. والطريد: الشبيه، لما ورد في الحديث أن المدينة المنورة تطرد خبثها.

لم يكن سوى باقياً، ولا القصة والترجمة التي نقلها عنه صاحب "الأنيس المطرب"، وقد لقيه في آخره لا في أوله، فإنها تدل على علم وفضل، ودين وولاية وصلاح، وحال إيماني كبير، وإقبال من الناس عليه لا يحد.

ولا كذلك تقارير أئمة المغرب على رؤياه التي رأى فيها الحق جل وعلا، فكلها تدل على تعظيم وتبجيل، بمن فيهم اليوسي المتوفى عام 1102، فقد قرط ديوانه - كما يأتي - عام 1097، أي: قبل وفاته بخمس سنوات، وعام 1101 كان حاجاً، فمتى تفرغ لحرب الحلبي؟. ولم نر شيئاً مما نسب للقادري سوى في "نشر المثاني" ومن نقل عنها، بل وقفنا على ما يخالفه تمام المخالفة كما تقدم. غفر الله للجميع بمنه كرمه.

وفي "الدرر المرسعة في صلحاء درعة"، أثناء ترجمة الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه، ما سبق نقله من قوله: "وفي سنة خمس عشرة ومائة وألف، بنى المترجم زاويته المسماة زاوية الفضل، وغيرها من الزوايا والمساجد والمدارس، ثم ترادفت عليه الوفود من علماء المغرب وصلحائه؛ منهم: سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي...⁽¹⁾. فذكر الشيخ الحلبي على رأس وفود علماء وصلحاء المغرب الذين زاروا زاوية الشيخ ابن ناصر الدرعي، وذلك سنة 1115، أي: قبل وفاته بخمس سنوات؟. فكيف يستقيم ذلك من ادعاء أن الناس نفرت عنه - أي: الحلبي - وظهرت لهم بدعته؟؟. وكيف يستقيم مع ما مضى من ثناء الناس، معاصريه فمن بعدهم عليه، وما ذكروه من حاله، وخشيته لله تعالى، ووجود البركات عند قبره بعد وفاته؟، كما سبق نقله.

بل قال الشريف العلمي في "الأنيس المطرب"⁽²⁾: "وبالجملة؛ قد جنح إلى المدح النبوي وداوم عليه، حتى قبضه الله على تلك الحالة إليه". وفيه رد واضح على القادري المنسوب إليه قوله: "...إلى أن نظم ما ذكر، فتغير حاله بسوء اعتقاده، بدسوره (جسارته) على مولاه، إلى أن توفي، تاب الله عليه..."⁽³⁾.

والحاصل؛ تلك الزيادة كذب محض، وافتراء ممقوت على الإمام الحلبي رضي الله عنه، فهي إما دست على القادري في "نشر المثاني" من بعض الحسدة، أو أنه - غفر الله له - قالها، وقد أغرب في غيرها من طعنه في مولانا عبد العزيز الدباغ، واستنقاصه من الإمام الشهيد عبد السلام جسوس، ولا شك أن لكل فرس هفوة، ولكل جواد كبوة، وللإمام القادري - رحمه الله - فضل كبير في إحياء تراجم أهل قرنه، وهو إمام مشهور، وعالم مشكور، وأهل لأن يوافق أو يخالف.

(2) "الأنيس المطرب" ص 43.

(1) "الإعلام" (2/ 359).

(3) "نشر المثاني" (3/ 201).

ولكن العيب والعار ممن نقلوا تلك القصة من المعاصرين، وزادوا عليها إفكاً وظنوناً، لا توافق النقل التاريخي، ولا العقل المحض، ولا قواعد البحث العلمي، كما في ترجمته التي توسع فيها صاحب كتاب "أعلام المغرب العربي" (6 / 130)، فقد أساء غاية الإساءة، بما يُسأل عنه أمام الله يوم القيامة، على ما في ترجمته من التناقض المشين والتحامل الفج الفظ. ومن الابتلاءات التي ابتلي بها أيضاً: أن أحد الأعلام لمزه وأنكر عليه ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله في بعض قصائده مجرداً عن التسويد، وقام بالتشنيع عليه في ذلك، فألف - رحمه الله - للرد عليه رسالة حافلة سماها: "السيف المسلول في قطع أوداج الفلوس المخدول".

وقد فصل في تلك القصة جدنا الخامس شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتاني في "الرياض الريانية" "ناقلًا عن" الدر النفيس⁽¹⁾، قائلا: "والذي من أجله ألف "السيف المسلول": إنسان آذاه أشد الأذى في المديح النبوي، وشنع عليه بندائه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله في مدائحه بقوله: يا محمد. بحضرة أمير الوقت المؤيد بالله تعالى مولانا إسماعيل، وأفسد قلبه عليه، وقصد بذلك إطفاء ما منحه الله تعالى من الأنوار المحمدية، التي سارت في سائر الأقطار، سير الشموس والأقمار، وشدد المقالات عليه، وزوق زوره وفجوره كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. [الصف: 8]."

"فلما سمع بذلك؛ بادر إلى الإمام إدريس رضي الله عنه، وبات عنده ليلة جمعة، فلما كان آخر الليل غلب عليه النوم، فتأخر نحو الصحن، واستقبله بوجهه، ونام، فما أغمض عينيه حتى انشق القبر الكريم، وخرج الإمام إدريس فأقبل نحوه، فاتكأ وجعله في حضنه، المبارك، وجعل يده عليه وهو يقول: أردنا منك أن تجعل في جدنا عرائس حسنا. فاستيقظ آخر الليل، وأول ما خطر بباله من العرائس التي أشار بها عليه: المقامات النبوية المسماة بـ: "الحلل السندسية"، فشرع في إنشائها وأكملها في شهرين ونصف، فجاءت ببركتها رائقة فائقة، وهي بالحرمين الشريفين وبلاد المشرق والمغرب، وشاعت في الآفاق من بركتها."

"وأما خصمه؛ فسأل السلطان المنصور عما قاله ذلك المخدول، فقليل له: ما قاله الشيخ الحلبي جائز، فعله غير واحد من أكابر الأمة، وجوزة الأئمة، وقاله الأولياء كثيرا. فاعترف السلطان نصره الله، ورجع عن قول ذلك المخدول، ولم يعبأ بقوله، لأنه (أي: السلطان) من أهل البيت، وهم أحرص الناس على الهدى، وإذا اقترن نداؤه عليه السلام بما يشعر التعظيم؛

(1) "الرياض الريانية" ص 138.

جاز ولا بأس به في مواطن التعظيم، من المدائح وغيرها. نص عليه الشهاب في شرح "الشفاء"، والأجهوري عند قول المتن في الخصائص: وندائه من وراء الحجرات وباسمه. وصدر من أبي بكر رضي الله عنه، ووقع في "دلائل الخيرات"، وفي كلام سيدنا حسان رضي الله عنه، ويشهد له ما روي عن عثمان بن حنيف.

"والحاصل: إن الله نصره على عدوه الواشي فيما ذكر، ويسر عليه التأليف المذكور (أي: "السيف المسلول")، ومات بعد ذلك خصمه على حالة سيئة فيما أخبر به من حضره عند الممات، قال: قلت له: أنت فقيه، اجعل بالك مع الله. وكان مستقبلاً للقبلة، فانتثر مني، وتوجه إلى جهة أخرى، وقال كلمات السخط، وسقط، فطلبت فيه الروح فلم أجدها. نسأل الله السلامة بمنه".

"ورأى بعض الصادقين من أهل العلم والدين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فتفكر ما وقع للحلي مع خصمه، فقال: يا رسول الله؛ الحلبي مدحك وشاع مدحه فيك في المغرب والمشرق، أتفرط فيه؟ قال: فقال صلى الله عليه وسلم: لا أفرط فيه. كررها ثلاث مرات. فقلت: ها أنت تتركه لعدوه فلان يلعب به. فأطرق عند ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ساعة، ثم رفع رأسه وقال: لا أتركه. ثلاث مرات، وقال ذلك بمد وغلظة. وقد نفذ الوعيد، بمحو كل جبار عنيد، ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإمام إدريس وآبائه الكرام رضي الله عنهم".

كذا ذكر جد جد والدنا ملخصاً من "الدر النفيس" للمترجم، ونكر اسم صاحب القصة، ولا كذلك من ذكروها من المؤرخين، وإن كنت أشك أنهم يقصدون اليوسي نفسه، رحم الله الجميع، لمشابهة القصة بما نسب لصاحب "نشر المثاني"⁽¹⁾، إلا أن يكون رجلاً آخر، وخلط صاحب "النشر" بين القصتين، وبني على تخليطه ما بني، ولم يدر تمام القصة. والله أعلم.

على أنك تجد في ديوانه "عرائس الأفكار"، أبياتا عدة يشتكى فيها بمن آذاه، ويبتهل إلى الله عليه، ويتملق إلى الله تعالى في نصرته والدفاع عنه، من أهمها: قصيدته التي يتوسل فيها بالأسماء الإلهية، وهي قوية في الدعاء على من آذاه وظلمه.

كراماته وبشائره:

من أهم كرامات الشيخ أحمد الحلبي رضي الله عنه: مرائيه التي كانت كفلق الصبح، ولا

(1) انتهى المترجم من تأليف "الدر النفيس" بتاريخ يوم الأربعاء 20 / 4 / 1098، غير أن بالكتاب إضافات تعرف من استقراره، وصلت إلى سنة 1110، كما في ص 8 / ملزمة 20.

شك أن المرائي جزء من 46 جزءاً من النبوة كما في الحديث.
قال الشريف العلمي في "الأنيس المطرب"⁽¹⁾: "وله مرائي إلهية، ومخاطبات رحمانية، وأخرى نبوية، وذلك أكثر من أن يسعه هذا المؤلف"..
وقال جد جدنا في "السلوة"⁽²⁾: "وله مرائي إلهية، ومخاطبات رحمانية، وأخرى نبوية محمدية، وأخرى شريفة إدرسية، وهي أكثر من أن تحصى، وأوسع من دائرة الاستقصا، وقد ذكر شيئاً منها في كتبه، وأثنى عليه أهل عصره فيما كتبوه بخطوطهم على تأليفه". انتهى باختصار.

قلت: وله كتاب وسمه بـ: "كشف اللثام عن نعم الله ونعم رسوله عليه السلام"، ذكر فيه جل مرائيه وما أكرمه الله تعالى به من الكرامات والفتوحات، جاء ذكره في قسم مؤلفاته.
ومن أهم مرائيه: رؤيته الحق تعالى في المنام عام 1087 هـ⁽³⁾ يبشره ببشارات تحقق بعضها، والبعض الآخر في طي الغيب، قال جد جدنا في "السلوة"⁽⁴⁾ (2/ 186):

"وقد رأيت برسم بيد شرفائنا، عليه شكل العلامة الفقيه أبي مالك سيدي عبد الواحد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي، وبرسم آخر بخط الفقيه المحدث الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن الحافظ أبي العلاء إدريس العراقي الحسيني، ناقلاً له عن خط أبي مالك عبد الواحد المذكور ما نصه: الحمد لله؛ ذكر العلامة الأديب، الآتي من سحر البلاغة بكل عجيب، أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي - رحمه الله - في كتابه المسمى "بكشف اللثام" ما نصه: رأيت رب العزة - يعني: في المنام - وهو يخاطبني خطاباً حسناً، ويعدني وعداً جميلاً من الفضل والعطاء والجميل، وذلك أظنه في سنة سبع وثمانين وألف، فسمعت ذلك الخطاب العظيم، بمعنى لا أقدر على التعبير عن كلفته الآن؛ من غير صوت، ولا حرف، يقول لي: يا عبدي؛ وعزتي وجلالي لأدخلنك الجنة، وعزتي وجلالي لأغفرن لك ذنوبك، وعزتي وجلالي لأجعلن من ذريتك الشرفاء. هذا آخر ما سمعت منه تعالى، وما بقي من الوعد الكريم لم أحفظه كله الآن؛ لطول العهد بيني وبين هذه الرؤيا... انتهى من خطه رحمه الله".

"وقد أعطاه الله - سبحانه - ما وعده به من جعل ذريته شرفاء؛ فإن بنته المسماة فاطمة، كانت زوجاً للشريف الجليل، المبجل الماجد الأصيل، سيدي محمد ابن الشريف المعظم، الفاضل المحترم، مولاي العربي بن مولاي محمد بن مولاي علي الذي هو مجتمع فروع قبيلة ساداتنا الشرفاء الكتانيين، أهل عقبة ابن صوال الحسينيين الإدرسيين، حسبها وقفت على

(2) "سلوة الأنفاس" (2/ 185).

(4) "سلوة الأنفاس" (2/ 186).

(1) "الأنيس المطرب" ص 43 مخطوط.

(3) "عقد الزمرد والزمرد" (1/ 10) مرقون.

رسم صداقه معها، بتاريخ ذي الحجة الحرام، متم عام تسعة ومائة وألف. وأولاد هذا الشريف زوجاً، الذين منهم عقبه كلهم من زوجه المذكورة، حسبما وقفت عليه بزمان تركته، وهم الشرفاء الأجلة الأربعة: مولاي العربي، ومولاي الفضيل، ومولاي الزمزمي، ومولاي أحمد. ولكل واحد منهم عقب معلوم، وفر الله عددهم، وبمعونته وتأيدته أمدهم".

"فيا لها من مزية لهؤلاء السادات الأشراف ما أسناها، ويا لها من بركة لهم ما أعلى قدرها وأسمائها، لهم بها من سمو الفخر، ما لا يحتاج لبيان، ومن علو القدر، ما لا يكاد يبين عنه لسان، نفعنا الله بمحبة آل بيت نبيه الكرام، وجعلنا من المحشورين في زمرة جددهم المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فمن وقف على ما ذكر كما ذكر، ووعاه كما قرر وسطر؛ قيده هنا أوائل ربيع النبوي الأنور من عام واحد بعد المائتين والألف. انتهى ما رأيته بحروفه". انتهى كلام مولانا الجدر رضي الله عنه ونفعنا به.

وقد قرظ لهذه الرؤيا أعلام كبار من زمن صاحبها إلى الآن، أورد نصوص كل ذلك إلى زمنه جدنا الخامس شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتاني رحمه الله تعالى في "الرياض الريانية في الشعبة الكتاني"، وكذا بعضها جد جدنا في "السلوة" أثناء ترجمته، والعباس بن إبراهيم في "الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام"، وغيرهم، خاصة ممن كتب في البيت الكتاني.

وممن كتب عليها من الأعلام: عبد الواحد بن محمد بن عبد القادر الفاسي، وعبد القادر ابن أحمد بن شقرون، وعبد الرحمن بن الحافظ إدريس العراقي، وسليمان بن محمد الحوات، ويحيى بن المهدي الشفشاوني، ومحمد بن محمد الطاهر الهواري، ومحمد العربي ابن سودة المري، ومحمد بن منصور، ومحمد بن عمرو الزروالي، وعمر بن محمد الدباغ، وعبد السلام الأزمي، والعربي بن الهاشمي الزرهوني، وحمدون ابن الحاج السلمي، وأحمد بن محمد شقور العلمي، وعبد الواحد بن أحمد ابن الشيخ التاودي ابن سودة المري، وعبد القادر بن أحمد الكوهن، وهم من أئمة القرنين الثاني عشر والثالث عشر، كلهم كتبوا منوهين بالرؤيا والرائي والمرئي له، ثم كتب عليها من بعدهم العباس بن إبراهيم التعارجي كما في "الإعلام"⁽¹⁾، ثم العابد بن عبد الله الفاسي في "ناطح صخرة"⁽²⁾ وغيرهم..

بل خصها أحد أحفاد المترجم من بنته، وهو جدنا الخامس شيخ الإسلام أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني برسالة سماها: "بغية العارف وغاية رغبته، في مشاهدة الحق ورؤيته"، وبسط عليها الكلام أيضا في كتابه "الرياض الريانية"⁽³⁾.

(2) "ناطح صخرة" ص 106.

(1) "الإعلام" (2/ 339).

(3) "الرياض الريانية" ص 133.

غير أن العلامة المحدث عبد القادر الكوهن صاحب الفهرسة المشهورة، قال حسبما نقله عنه صاحب " السلوة " : " لا يخفى على ذي لب أن رائيها هو الذي حاز بها شرفاً " ، واكتسب بها في الدارين علواً بالقرب من المصطفى، حيث اتصل نسبه بخير الأنساب، ودخل في زمرة هؤلاء السادة الأنجاب... قال: وأما هؤلاء السادات؛ فشرهم سما فوق طباق السماوات، في غنى عن التأكيد، غير محتاج إلى التأييد؛ إذ هو أشهر من نار على علم، وأعز من أن يعبر عنه اللسان والقلم . وتعقب عليه جدنا في " السلوة " بما لا جدال عليه⁽¹⁾.

ومن كرامات الشيخ الحلبي - رضي الله عنه - التي تثبت مضمون تلك الرؤية، ورضي الله تعالى الأبدي عنه، ما حدثني به الشيخ الذكر، صاحب الأحوال، ابن عمنا مولاي الفاطمي بن محمد الكتاني حفظه الله، أنه اضطر للدفن قرب قبر الإمام المذكور، فتكشف قبره، وبدت ساقه، قال لي: " فمسك صديقي ساقه فوجدها رطبة كأنه مات من قريب " ، قال: فمات صديقي بعد أيام، ومرضت مرضاً شديداً مدة من شهر، وتبت من ذلك. قلت: وهذه كرامة عظيمة للإمام الحلبي رضي الله عنه، تدل على عظم منزلته، وأنه من الرابحين، حيث بقي جسده رطباً لم تمسه الأرض مدة قريبة من ثلاثمائة عام، نفعنا الله بسائر أوليائه بمنه وكرمه.

وفاته ومدفنه:

لم نقف على سبب وفاته، ولا وصف جنازته، ولا على مريثة أحد فيه، وعدم الوقوف على الشيء لا يدل على عدم وجوده، وسبق أن المترجم - رضي الله عنه - زار درعة عام 1115، وأن الفترة بين 1108 - 1121 كانت فترة عصيبة لأهل العلم بالمغرب عموماً بسبب فتنة الحرّاطين، وبفاس خصوصاً، وبالزاوية الفاسية - أصحاب الحلبي ورفقائه - على الأخص. فهل كان الحلبي منزوياً كذلك؟، أم أنه قلص من تحركاته حتى لا يتداخل في السياسة وهو الغريب بلداً ولساناً ومذهباً؟، أم أنه أصيب بحال روحاني جعله يعتزل الناس؟، لم نقف على شيء من ذلك.

غير أنه يبدو أن المترجم - رضي الله عنه - اصطلم في آخر عمره محبة في النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، مبتعداً عن الناس، قليل الكلام جداً، حتى تعود الناس على حاله، وسئموا من مجالسته، فقد قال من قصيدة - يترجح أنه قالها في آخره - واصفاً حاله وحال الناس حوله، وهيمانه في النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله:

فيك دمعي جواهرٌ فوق خدي كم أثارت عند البكاء شجوننا

(1) " تحفة الأكابر " 298 مرقون.

جمر قرّح باللهيب جفونا
وابتدرت النحيب فيك فنونا
وفؤادي غدا لخلق رهينا
ليس لي مُسعِدٌ من النَّائحينا
لا ولا واحدٌ من المنصفين
وتواروا في مكن الغافلين
وخلّوِي ولوعي مذنسنا
لم أكن للهوى من البائحين
بعد وجهك يا مُنى الطالبينا
هينٌ إذ يفوت للقاصدين
أنت مُذهب وحشة الحائرين
فالقلوب تراك كالشاهدين

ما بكيتُ دمعاً، ولكن بكيت الـ
ما ذكرْتُك يا حبيبي إلا
وتداعى صُدُيري برغد زفيري
صَحْتُ في قَفْصِ النوى فيك وحدي
ما رثى لي على نواحي عَذولٍ
اعقلوا لوعي وفراط غرامي
واستووا عندهم: سكوتي ونظقي
ولو استشعر الخُلُو فؤادي
فسلامي على العوالم طُرا
كلُّ شيءٍ إذا حَصَلَتْ لصبٍ
ما بهذي الدنيا سواك أنيسٌ
إن يغيب شخصك المكرّم عنا

قال جد جدنا في " السلوة " ⁽¹⁾: " وبالجملة؛ فهو أديب شهير، وعالم صوفي كبير، ولوع بالأشواق النبوية، والأمداح المصطفوية، ظهر صدق توجهه في محبة المصطفى، واغترف من بحار البلاغة ما أعزه وكفى، وأعجز كل مديح، وحاز في هذا الباب الفخر الصريح، ودام على ما كان عليه، إلى أن قبضه الله إليه، وذلك في جمادى الثانية من عام عشرين ومائة وألف. ودفن بهذا الخارج، على مقربة من ضريح سيدي درّاس بن إسماعيل، أسفل منه. وقبره معروف إلى الآن مقصود للزيارة، يقابل الباب التي سُدت بإزاء الباب المفتوحة اليوم؛ والدعاء عنده مستجاب - رحمه الله ونفع به " .

وقال إمام الأنساب الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني في " زهر الآس في بيوتات فاس " ⁽²⁾: " ودفن بمطرح الأجلة، في البلاد المعروفة به اليوم، وهي: الأولى يمّة الخارج من باب الفتوح، المكتنفة بين الطريقين: الطريق المارة مع سور المدينة، والطريق المارة لسيدي علي حماموش، وابتدأوها: مجتمع هذين الطريقين من جهة باب الفتوح، وأعلىها الحجر المتتابع من الطريق الأولى، في مقابلة برج السور الذي قرب باب الحمراء إلى الطريق الثانية، وهي بيد وحوز وتصرف عقبه من بنته المذكورة، مقيده وأبناء عمه أيضاً، دون بقية القبيلة، ويعرفون بالحلبين، نسبة لجدهم للأُم المذكور، قبره بها شهير، مقصود للزيارة والتبرك به " ...

قال المحدث أبو زيد العراقي السالف الذكر ⁽³⁾: " وقبره بمطرح الأجلة خارج باب

(2) " زهر الآس " (1 / 369).

(1) " سلوة الأنفاس " (2 / 186).

(3) " الرياض الربانية " ص 129.

الفتوح، أنوار الاستجابة على أرحابه تلوح " ..
قلت: وقد أكرمني الله تعالى بزيارته مراراً، وأنشدت بعض أشعاره عند قبره، لا حرماً
الله أجره، ولا منعنا ببركته بمنه وكرمه.

قال عمنا الشيخ عبد الحي الكتاني في " ترقية المريدين " ⁽¹⁾: " ودفن في بلاده المشهورة التي
حبسها على عقبه من بنته المذكورة، المشهورة اليوم بمطرح الأجلة " .

قال جد جدنا في " السلوة " بخصوص موضع دفن المترجم ⁽²⁾: " وقد اشتمل هذا الخارج
على صلحاء وعلماء لا يحصون كثرة وعدداً، بل قيل: إنه لا يكاد يخلو شبر منه من ولي لله
تعالى. وكثير من الأخيار إذا خرج إليه للزيارة؛ ينزع نعليه، ويخرج حافياً؛ تواضعاً لله تعالى،
وأدباً مع أهله؛ فإن فيهم الأقطاب، والأوتاد والأفراد، وأهل المعرفة الكبرى بالله تعالى،
ونحسبهم. وقد بلغنا عن بعض الأكابر أنه: كان يقول في رجال هذا الخارج: كادوا أن
يكونوا أنبياء. هو كذلك - حشرنا الله في زميرتهم، وأعاد علينا من بركتهم... آمين " .
ذريته من بعده:

لست أدري هل ترك المترجم - رحمه الله - ذرية بالشرق، فهو لم يصرح بذلك، لا هو ولا
مؤرخوه، وإن كان بعض كلامه وشعره يوحي بذلك، ولم أتأكد بعد من تاريخ كتابته
للأشعار المتضمنة الدعاء لذريته وبنيه.

غير أنه قال في " الدر النفيس " إثر حديثه عن عزمه الرجوع إلى بلده، وتوديعه المولى
إدريس: " فلم ألث أن رأيت الإمام إدريس في المنام واقفاً ومعه بعض حفدته، فلما رأيته
الإمام إدريس تبسم، وقال لي: لا تعجل علي، اصبر. وكنت قبل رؤيتي زرت قبره نهاراً وقلت
له: إني عزمت على السفر إلى بلادك. فقال لي تلك الليلة ذلك. ثم أتيت صبيحة تلك الليلة
أيضاً، وقلت له: أريد السفر إلى أهلي.. " ⁽³⁾. فهل يقصد بالأهل: العائلة والأحباب، أم
الزوجة والأبناء؟

وقد سبق الحديث عن مصاهرة المترجم مع آلنا الشرفاء الكتانيين ببنته السيدة فاطمة
الحلبية رضي الله عنها، وذلك - حسبنا في عقد قرانها بجدنا الشيخ محمد الفضيل بن العربي
ابن محمد بن علي الكتاني - سنة 1109، فأنجبت له ذرية طيبة، كان فيهم الأولياء الصالحون،
والعلماء الأئمة العاملون، والمجددون المصلحون، والزعماء الكبار.

قال مولانا الإمام الوالد علي بن المنتصر الكتاني رضي الله عنه في " الشرفاء الكتانيون في

(2) " سلوة الأنفاس " (2 / 183).

(1) " المواهب الفتحية " ص 12.

(3) " الدر النفيس " (ص 3، م 36).

الماضي والحاضر" ⁽¹⁾: "ولثلاث سيدات تأثير كبير على العائلة الكتانية، إحداهن: السيدة فاطمة الحلبية (1095 - 1170)، بنت الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي، وهي جدة حوالي 56 في المائة من الكتانيين المعاصرين، وقد ترجم لها عدة علماء من أحفادها، وتحدثوا عن علمها وورعها ودينها". باختصار.

1 - ترجمة السيدة فاطمة بنت الشيخ أحمد الحلبية:

قلت: والسيدة فاطمة بنت الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي هي: السيدة المصونة، العفيفة الطاهرة الدرة المكنونة، خلاصة الديانة والوقار، وضئضئ الصلاح والافتخار، جمعت ما رباها والدها من محبة آل البيت والاعتناء بهم، وزادت عليه بولادتهم وتربيتهم، والزهد في الدنيا ومتاعها، والاعتراف بالحسنى لأهلها، وتربية الأبناء التربية الصالحة، والتأليف فيما بينهم.

ولدت - رحمها الله تعالى - سنة 1095 ⁽²⁾، فرباها والدها على ما هما أهل له، ووالدها من إحدى البيوت الفاسية، تزوجها المترجم عام 1090 طبقاً لمكاشفة من شيخه المرغيثي، وولادتها على الراجح في المغرب ⁽³⁾، لأنها في فترة عاش والدها فيه. والراجح أنها - رضي الله عنها - كانت تشبه أباها في البياض والجمال، والنعومة وليونة الجانب، كما يغلب على الظن أن لهجتها كانت مغربية ممزوجة بفصاحة أهل الشام وروحهم، إذ تنشأت في بيت شامي مفتخر بجذوره كما سبق في ترجمة والدها.

قال الإمام النسابة الاجتماعي أبو عبد الله محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني في "المواهب الفتحة في ذكر الأخوة الأربعة أبناء السيدة فاطمة الحلبية" ⁽⁴⁾: "كانت هذه السيدة الجليلة، الماجدة الأثيلة، الدرة المكنونة، الخيرة الدينية النبيلة، السيدة فاطمة الحلبية المصونة؛ على قدم والدها في المحبة والرسوخ، ولها أهمية أخرى؛ حيث تنسل منها شرفاء أبرار، أماجد فضلاء أختيار، نبهاء أذكفاء، أتقياء أنقياء، أهل مجد شامخ، وقدر علي باذخ...".

وقد تزوجت - حسبها مضى - بجدنا الشريف النقيب، الدين الوجيه الصدر أبي الفضل محمد الملقب بالفضيل بن العربي بن محمد ابن جد جميع آل الكتاني والد الحي علي الكتاني الإدريسي الحسني، بتاريخ: ذي الحجة متم سنة 1109 ⁽⁵⁾، فكان زواجهما مصداقاً للرؤيا التي سبقت لوالدها الإمام الحلبي، إذ رأى في المنام الحق تعالى يخاطبه بقوله: "وعزتي وجلالي

(1) "الشرفاء الكتانيون" ص 44.

(2) "عقد الزمرد والزبرجد" (1 / 11)، وفي النفس شيء من هذا التاريخ.

(3) "الدر النفيس" (ص 2 / ملزمة 49).

(4) "المواهب الفتحة" ص 21.

(5) "المواهب الفتحة" ص 22.

لأجعلن من ذريتك الشرفاء" .. فكان أن جعل الله ذريته من السيدة المذكورة فرعاً زاخراً من الشرفاء الكتانيين، ينتسبون إليه ويفتخرون به. ولم أقف على صداقهما، وإلا لأوردته.

عاشت مع زوجها المذكور في محبة وتآلف، وافتخار من كلي الطرفين، فهي تناسبت مع ابن رسول الله، والشريف المعظم عند أهل فاس، ومصداق بشارة والدها، وهو تناسب مع بنت الإمام الكبير، مداح النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وبيت الدين والصلاح، فعاشا في هناء يدل عليه عدم زواجه عليها، بل اكتفى بها زوجاً وجباً⁽¹⁾، فأنجب منها ستة أولاد ذكور، هم: أحمد وعلي، وتوفيا قيد حياة والدهما بدون عقب، والعربي، والفضيل، ومحمد الزمزمي، وأحمد (ثاني)، وبتناً واحدة اسمها: التهامية.

ونجد في أسماء الأبناء أن اثنين منهم سميا بأحمد، وهو اسم جدّهما الإمام الحلبي، فیدل على مزید تعظیم الصهر لحمیه، وقد توفي الزوج وترك أحمد الثاني طفلاً صغيراً، مما يدل على أنه سمي باسم جده بعد وفاته.

وتوفي زوجها - رضي الله عنه - عن خمسة وأربعين عاماً بتاريخ عام 1133، فترك لها بنتاً اسمها: التهامية، كانت متزوجة بالفقيه العدل الشريف محمد بن أحمد ابن الفقيه، الشهير بالعافية. والعربي والفضيل شاوين، ومحمد الزمزمي (جدنا)، وأحمد صبيين. فزادت السيدة فاطمة الحلبية إلى كمالها وأفضالها أن احتضنت أشرافاً أيتاماً، ربّتهم وكونتهم إلى أن صاروا رجالاً غرة في آل البيت، فيهم الفقهاء، والوجهاء، ومن ذريتهم الأئمة الأعلام.

كما وقفت على رسم تنازلها لأبنائها المذكورين عن إرثها من والدهم، بتاريخ مهل جمادى الثانية سنة 1134، وهو يدل على ما يدل عليه من الزهد والقناعة، وجمعها لأبنائها وحنانها عليهم وتآليفها فيما بينهم.

ووقفت على وصية بالثلث من أملاكها أوصت بها بتاريخ مهل جمادى الثانية عام 1170، لزوجة ابنها جدنا الفقيه محمد الزمزمي بن محمد الفضيل الكتاني رضي الله عنه، جاء فيها: "يخرج من جميع الدار التي لها بالعيون، عدوة فاس القرويين ثلثها الواحد، ويعطى بأجمعه لزوجة ولدها مولاي الزمزمي، المرأة فاطمة بنت الخير الأفضل سيدي الحاج عبد القادر ابن الفقيه الأندلسي، مكافأة لها على قيامها، ومباشرتها وإبرارها، وصلة لها، ورجاء ثواب ذلك في الدار الآخرة، وابتغاء وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم" ..

ولا شك أن عملاً كهذا ليدل على أمور؛ منها: الاعتراف بالجميل لمن أسدت إليها ذلك المعروف، ومنها: هضم النفس وشدة المحبة والتآليف بين أبنائها، إذ من العادة أن لا تكون الحماة مع زوجة ابنها على أتم وئام، ومنها: شدة تآلف أسرتها وتراحيمهم، وهم تربيتها

(1) حسبما استفدته من زمام تركته المثبت في "المواهب الفتية" ص 23.

وتوجيهها، يعكسون ما هذبته به وربتهم عليه، وكذا رهبها الله تعالى ورغبها، وهي بنت الخاشع الرهبي، كما وصف أبو الربيع الخوات والدها.

والحاصل؛ فقد كانت - رحمها الله - صورة والدها، ونسيجة وحدها في الكمال والديانة وحسن الأخلاق، وحسن التربية والتهذيب، وبقيت على ذلك إلى أن توفيت رحمها الله تعالى ورضي عنها، ومتعنا برضاها قبيل شوال من عام 1170، عن خمسة وسبعين سنة، بعد أن أقعدها المرض مدة من الزمان، بقيت فيه عاقلة مختارة⁽¹⁾، ودفنت حسبما في "المواهب الفتية"⁽²⁾ ملاصقة للجانب الأيمن من والدها بالنسبة للواقف عند رجله المباركتين.

أما زوجها؛ فحيث اقتضى الأمر عدم التفريق بينهما، فسأقل ترجمته عن كتابي "النجم الثاقب" بذكر تراجم من مضى من أعلام الكتانيين وصلحاتهم وذوي المناقب "يسر الله إتمامه.

2 - ترجمة الشريف مولاي محمد الفضيل بن العربي الكتاني:

قلت غفر الله لي: النقيب النزيه الأمثل، الشريف الصالح المبجل، من كبار الأشراف وفضلائهم، ووجهائهم وأعيانهم، ممن يشار بالصلاح والخير إليهم، ذو حسب ومروءة، وصيانة وحياء، وعفاف وديانة. ولد رحمه الله حدود عام 1088 بفاس.

وهو الذي تزوج من السيدة الصالحة فاطمة بنت الإمام مداح النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي، تصديقا للرؤيا المنامية التي رأى فيها أن الله تعالى خاطبه بقوله: "وعزتي وجلالي لأجعلن من ذريتك الشرفاء!". وتنسل منها أقطاب الإصلاح وأئمة المعرفة كصاحبي "السلوة" و"زهر الآس" وغيرهما؛ إذ هو جد الفرع الحلبي الكتاني. ويغلب على الظن أن المترجم - رضي الله عنه - كان يميل إلى مذهب الشافعية؛ تأثراً بحميه المذكور، محبا للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وآل بيته الطاهرين، مستغرقاً في ذلك، متلذذا بما تلي من الأشعار فيما هنالك.

أخذ - غالباً - عن حميه المذكور، والشيخ ابن الفقيه الزجني وغيرهما، والغالب أنه وزوجه السيدة فاطمة الحلبية من نقل إلى نسلهما الاعتداد بالفقه الشافعي، والميل إلى الأثر والدليل؛ حتى كان حفيدهما الإمام محمد بن جعفر الكتاني يصرح بأنه شافعي في أبواب الطهارة، مالكي في أبواب العبادات.

وقد أدت تلك النزعة، والمشبب الخاص في المحبة النبوية الذين استقاها - والله أعلم - فقها وروحاً من الشيخ الحلبي، وسلوكاً ومعرفة من الشيخ ابن الفقيه - وكلاهما تصاهر مع

(1) كل هذا مأخوذ من الوثائق التي أثبتتها صاحب "المواهب الفتية".

(2) "المواهب الفتية" ص 26.

البيت الكتاني وكان لهما تأثير كبير في أهله - في ميل أئمة البيت الكتاني إلى الاجتهاد والاعتناء بالآثار فقهاً وفكراً، والاستغراق في بحار المحمدية والأحمادية سلوكاً ومعرفة، عدا ما ورثوه من مشرب آبائهم وأجدادهم كما سلف.

وإضافة إلى مشرب المترجم الفقهي والصوفي؛ فقد كان من كبار الأشراف وفضلائهم، ومن يشار بالصلاح والخير إليهم، ذا حسب ومروءة وصيانة، وحياء وعفاف وديانة، شريفاً معظماً موقراً، لأهل وقته فيه محبة واعتقاد. ولا شك أن ذريته كانوا يتحدثون بلهجة فصيحة أقرب لللهجة المشرقية، كما كان لهم مزيد جمال في الصورة، وذكاء في العقل.

توفي صاحب الترجمة رضي الله عنه بفاس عام 1133، ودفن بروضة حميه الشيخ أحمد بن عبد الحمي الحلبي بالقباب بأعلى رأسه مسافة قبرين طولاً، قبالة باب الفتوح، جهة ضريح الشيخ الدرّاس بن إسماعيل، وبني عليه حوش من جهات ثلاث، مازالت آثاره إلى الآن. انتهت الترجمة.

وقد أفرد النسابون، خاصة نسابي آل الكتاني، هذه الفرقة من الشرفاء الكتانيين، الفرقة الحلبية، بعدة مؤلفات، نذكر منها على سبيل المثال:

- "المواهب الفتحية في ذكر الأخوة الأربعة أبناء السيدة فاطمة الحلبية". للإمام النسابة المبدع أبي عبد الله محمد بن عبد الكبير بن هاشم بن المكي بن هاشم بن الفضيل بن الشيخ محمد الفضيل الكتاني. وابن السيدة فاطمة بنت الشيخ أحمد بن عبد الحمي الحلبي. مخطوط، ذكر المؤرخ عبد السلام ابن سودة في "دليل مؤرخ المغرب" بأنه يقع في سفر ضخّم. وعندنا قطعة منه تقع في (102) صفحة، بخط المؤلف.

- أرجوزة بعنوان: "الجوهر المكنون في ذكر فرع الحلبي المصون". تأليف الإمام الفقيه المدرّس الناقد أبي الجمال محمد الطاهر بن الحسن بن عمر بن الطائع بن إدريس بن محمد الزمزمي ابن الشيخ محمد الفضيل الكتاني، والسيدة فاطمة الحلبية. وبحوزتنا هذه المنظومة بحمده تعالى، وقد ترجم فيها لأبنائها إلى عصره عام 1347.

مداحو النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله من آل الكتاني (أحفاده):

لقد تغلّغت محبة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله في آل الكتاني منذ خلقهم الله تعالى، وكيف لا وهم بضعة المختار، التي أجمع النسابون على تواتر نسبها، وجعله في أعلى درجات الصحة والاعتبار، وقد كان لمصاهرة الأسرة بالشيخ الحلبي، الإمام المشرقي، الشافعي، ما لبث، الغارق في بحر المدح النبوي، الأديب البار، إمام الأدب في المغرب وقته، تأثيراً كبيراً على الأسرة قديماً وحديثاً، وتواتر وتعاقب في أفرادها الافتخار به، وتطريز تراجمها بترجمته،

ولا يكاد يوجد شريف كتاني تفقه إلا وكتب قصائد إن لم تكن دواوين في المدح النبوي، وراثته ورثوها من جدهم صاحب الترجمة رضي الله عنه. فمن شعرائهم رضي الله عنهم:

1 - محمد المأمون بن عمر بن الطائع المسلم بن محمد الزمزمي بن محمد الفضيل الكتاني. (ت 1310).

2 - محمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع بن إدريس بن محمد الزمزمي بن محمد الفضيل الكتاني. (ت 1345).

3 - أحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. وله دواوين في الموضوع. (ت 1340).

4 - عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الكتاني. (ت 1334).

5 - محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. (ت 1371).

6 - محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني. ووالدته الشريفة فضيلة بنت الشيخ إدريس بن الطائع الكتاني. (ت 1327).

7 - عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الكتاني. (ت 1382).

8 - محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني. (ت 1384). وله ديوان في الموضوع به أكثر من ثلاثة آلاف بيت.

9 - عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني. (ت 1401).

10 - الفقير إلى الله كاتبه: محمد حمزة بن محمد علي بن محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. لنا عدة قصائد، منها ما ضمناه في "إغاثة القلب الاله بالصلاة على أكرم خلق الله". على حروف المعجم، طبع ضمن "الصلوات الكتانية" بدار الكتب العلمية.

نبذة من نثره:

أجدني في حاجة لأن أنقل أمثلة من نثر المترجم - رحمه الله - تعكس للقارئ والباحث مدى بلاغته، ومثانة أسلوبه الأدبي، وأسواق هذه المناسبة مثالين لذلك، الأول: رسالته لمفتي تونس العلامة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم فتاة، يشكره على تقريره لمقاماته السالفة الذكر، والمثال الثاني: قطعة من مقاماته.

1 - رسالة من المترجم لمفتي تونس أبي عبد الله فتاة:

وهي طويلة، ومما جاء فيها: قوله:

أما بعد؛ فقد ألقى على وجه قلبي قميص البشري، برسالة تقرير ذات طلعة زهراً، فارتد بنورها بصيراً، وبريح يوسف مسروراً، وبهجة قدومها مجبوراً، وجدت بها إبهاءاً وحريراً، فتشفت بزال أنسها قلباً حريراً، وألفت أفاظها لؤلؤاً منشوراً، وعروس معانيها ملكاً كبيراً.

وارتشفنتني من رُضاب رقائقها كاساً كان مزاجها كافوراً، ومن حلاوة مخاطبتها شراباً
 طهوراً، وأخفقت لي علماً للبشائر منشوراً، ورفعت لي منارا للهنأ منشوراً، تفجرت من
 جوانب حروفها ينابيع الحكم، وأنواع العلم الزكي القائم مقام الحكم، قضى بتفضيل خدمتي
 الجنب النبوي وحكم، وكم تفضيل لها عند أهل الفلاح وحكم، وأنشد فيها وأقول، ما يسر
 العقول:

| | |
|--------------------|---------------------|
| قد أتتني رسالة | قد جوتُ جوهر الحكم |
| وقضت لي كما قضى | بألهما الحاكم الحكم |
| زارت الصب بغيّة | مثل ما زارت النسم |
| صدعت لي ببهجة | صدع فجر على الظلم |
| فجّرت من حروفها | بحر سر قد التطم |
| ورأينا بطرسها | صبح أنس قد ارتسم |
| شاع في الغرب فضلها | مثل نار على علم |
| في التحارير قد سما | من سنا علمها العلم |
| طاف كل بيتها | وبركن لها استلم |
| طأطأوا رأس فكرهم | وأقاموا لها القيم |

رسالة كأنها المنحدر من الصفا، على القلب الصفا، فالتحف بمئزر الصفا، أو كأنها البرد
 الساقط من الغمام المرتسيم، في خدود الأوراق والأكم، أتتني تجر ذيول المفاخر، على الأوائل
 والأواخر، أو كأنها الروح بلا شبح، أو الراح بلا قدح، سقت القلوب كؤوس العقار، من
 غير كؤوس تدار، رسالة هي الآية الكبرى، أقرت عيني من قبل أن تقرّ، وسقاني ماء الحياة
 قدومها، ووقاني من داء الوحشة قيدومها، قد سرى في النفوس جمالها، وحمل فوق الرؤوس
 كمالها، واستنشق بالقلب والجوارح مشمومها، وفض عروس المحبة مخمومها، فحق أن ألقاها
 بيد القبول، وأن أنشد في منشئها وأقول:

| | |
|--------------------------|-----------------------------|
| حبيب القلب أهدى لي رسالة | وطود الحب في قلبي رسالة |
| إمام صاد طير القلب مني | بظهر الغيب فورا قد غدا له |
| وتونس تونس الخضراء منه | مصاييح الديانة والعدالة |
| إمام العصر ما أعلى علاه | يزاحم بالكمال به رجاله |
| إمام العصر ذو همم عوالي | وذو الرشد التقى أبدا رجاله |
| إمام أظهر المولى هده | وزيد الخير في الأخرى كماله |
| فتاة نور ذي العرش ازدهرت | على العلماء، فاعتقدوا كماله |

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| فتى الفتوى نظير الحق فيها | محلا بالمهابة والجلالة |
| يجل المشكلات بلا توان | فكم عاب دقيقاً قد جلا له |
| كأن كلامه شهد شهياً | وكم واع يخاطبه جلالة |
| يُبين حرام شرع غير مر | ولا يخشى الملل، كذا خلاله |
| وكم من مبطل في الدين باغ | بسيف عزائم غرّ جزى له |
| أقام بعزمه الحق انتصاراً | فصار الحق أشهر من غزالة |
| له فكر يفيض ختام علم | فيهتك بالحجا أبداً حباله |
| له عقل ومعقول حواه | سوى العقلا، فما أذكى الحجاله |

إماماً ما نكب عن جوهره ناكب، كأن ألفاظه في سماء الفصاحة كواكب، رفعت له خوافق المآثر، على رؤوس أشجار الأكابر، فلم يزالوا بجمال محاسنه محققين، وأعناق إنصافهم بين يديه مطرقين، وعلى فتواه مجتمعين، ولنظرة مستمعين، ولأخباره مصدقين، وسموه في ذروة العدالة محققين، العالم الشهير، الجهد التحرير، محيي الديار التونسية، بغيث علمه الدافق، ومنير الأرجاء الإفريقية، بفخر جماله الصادق، عالم أهل الفتاوى الباهرة، وواسطة عقودهم الزاهرة، ومفتي العلماء بالعلوم الفاخرة، وصدر صدورهم الماهرة، من أتمنى بقاءه وحياته، ويرصد القلب بمحبته نجاته، الشيخ الأكمل؛ سيدي محمد عُرف فتاة.

أقسم بشمس ذاته وضحاها، وبقمر صفاته إذا تلاها، وبنهار فضائله إذا جلاها، وبليل هالك حاسديه إذا يغشاها، وبسَاء رفته وما بناها، وبأرض شرفها الله به وما طحاها، وبنفسه المطمئنة وما سواها؛ ما الروض إلا عن بشاشته باسم، وما الغصن إلا عن نضارته ناعم، ولا الزهر إلا عن صباحته ضاحك، ولا السيف إلا عن إمضاء عزمه فاتك، ولا المسك إلا عن أخلاقه فائح، ولا الفجر إلا عن طرائقه لا مح، ولا الشمس إلا عن وضوح فضله مشرقة، ولا الروضة المطلولة إلا عن يدي بنانه مورقة، ولا الأقمار إلا عن عقد رأيه متناسقة، ولا البروق إلا عن أنسه متضاحكة، ولا الأقمار إلا عن مبسمه متلاحكة، ولا الكواكب المستنيرة إلا وهي من نور لطفه مستعيرة، ولا النجوم إلا عن تعداد مفاخره زاهرة، ولا السماء السحرية إلا عن شوائله زائدة، ولا العيون إلا إلى طلعتة شائقة، ولا الأشواق إلا إليه الأرواح سائقة، ولا الأرواح إلا بفناء وصفه متدلة، ولا الأفكار إلا بملح أوصافه متجللة... إلخ.

2 - فقرات من مقاماته

قال رضي الله عنه:

حدث مُدركُ الغواص قال: ركبت نعام الحثيث، في نعام مهامه الحثيث، وقدمتُ من

النعائم، أسايرُ القمر في النعائم، واكتسبتُ من الشئائل، ما هو أرقُّ من الشئائل، وحملت على عواتق الأفكار، عرائس عواتق الأسرار، ودعاني الراخ العتيق: هلم إلى البيت العتيق، يا مدرك الأسير العتيق، فلبيته تلبية العتيق، وأجبتة إجابة العتيق، وأجريت الدمع كالنُعْمان، لما تحريتُ وادي نَعْمان، فلم أيقن بالمنى، حتى أتيت منى، وأويت من الكشف إلى الغُرُفات، فعرفتُ أني بعرفات، وأنّي سأعرف منه غرفات، من بحار دقائق المعرفات.

فلما أردتُ الإفاضة؛ نشر أبو الأنوار إيماضه، وضرب فسطاطا من النور، على الوادي وطرزه بأنواع الجبور، ونشر أعلام الجمال، على الآكام والجبال، وعلّق مصابيح الجلال، على منابر الكمال، وفرش فرش الإكرام، على أسرة الإجلال والإعظام، ثم أنشد وقال، ما هو للقلوب كالعقال:

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| قَفْ بنعمان؛ موطن التأسيس | لعماد التوحيد والتقدّيس |
| واجتن ثمرات وصل حبيب | واجتن نيرات لطف أنيس |
| وانظر الكرم كيف يسمو ويجلّى | في جميع الآفاق جلّو عروس |
| يخرج الدر منه بيضا وسودا | طبق أعداد كائنات النفوس |
| ويقرون بالشهادة طرا | وبوحدة ربنا القدوس |

قال مدرك: فرجعتُ عن الارتحال، وأجبتُ أبا الأنوار بالارتجال، فقلت:

| | |
|------------------------------|-------------------------|
| هذه حضرة القضاء المطاع | لمواصله زهت أو قطاع |
| شرب الدر وهو ثمالاً شكرياً | من رحيق خطاب كاس السماع |
| لم تنزل في الأرواح نشوة سُكر | مودع للمعاد في الأسماع |

قال مدرك: اقشعر مما عاينته جلد عزمي، وهُزم جندُ إقدامي قسراً وحزمي، وإذا كراسي من ذهب، اضمحل العقلُ منها وذهب، مرصعة باليواقيت والدرر، وأبهجت تلك المواقيت الغرر، وإذا نور تلك الكراسي، صاعدٌ كالجبال الرواسي، وفي وسطها سرير ينور، يغلب ضوء الشموس والبدور، تتزاور في مواكبها وتزور، وظهر أبو البشر، ظهور الشمس والقمر، فجاءه ملك كريم، بأمر ذي العرش العظيم، فمسح صفحة ظهره، فأخرج نِسَمَ ذرّه، فأهل اليمن لهم أُرْزُ من السعادة بيض، بين عيني كل إنسان منهم وميض، وأهل الشمال أهل الحضيض، لهم سواد الشقاوة عريض، فخرجوا قِرْنا بعد قرن، من أصناف شتى بين قَرْن وقرن، أخرجوا من آدم، وقد حطّوا العالم، فكانوا صوراً دقيقة، يتحركون بها حقيقة، ولهم السنن بها ينطقون، وعقول بها يعون ويحققون، وسمعُ به يسمعون، وإدراك به يعقلون.

ثم جلس الكبراء على الأسرة، تغشاهم بها ألوان المسرة، هذا وسرير آدم الأزهر، من قصب مرصع بالجواهر، ومحمول على الأكتاف، من الملائكة الأشراف، وهو على باب الجنة،

مرفوع عن الإنس والجنة، في صخرة عرضها ثلاثون ألفاً، لم يجد فيها غير الملائكة إلهاً، وبينما هو في تسبيح وتحميد، إذ طلع عليهم سلطان التوحيد، وأحدث بهم جنود التفريد، وسُلّت سيوف القهرمان الأحدية، واهتزت رماح الجبروت الصمدية، وأسفر لثام التخويف، عن عرائس التعريف، وأشرف طالعُ الخطاب القدسي، وأشرق نور عرائس الكلام النفسي، فأسكرتهم لذاته، وهيجتهم تلاوته، فلم تزل أرواحهم به مولعة، ولم تبرح لذة السماع فيهم مودعة، ثم أنشأ وقال:

| | |
|------------------------------|------------------------|
| خطابُ حبيبٍ للقلوب مُدَامَةٌ | معتقةٌ من قبل شيث وسام |
| خطابٌ ووصلٌ قد أدار عليهمُ | كشمس شهود بالجلالة سام |
| وأسمعهم في خلوة وأنالهم | بديع مقال وارتفاع مقام |

فقال: قال لهم البديع، وهو يخاطب الجميع: اعلموا أنه لا رب لكم غيري، وأنتم مصرّفون بين خيري وشري، لا تشركو بي، ولا تكفروا بي، وخافوا سطوتي وعذايي، سأنتقم ممن لم يؤمن بكتابي، وإني مرسلٌ إليكم رُسلي بأفاقي، يذكرونكم قديم عهدي وميثاقي. فقالوا: شهدنا أنك ربنا، لا رب لنا غيرك وأنت حسبنا.

قال: فلما أقروا بتوحيده، وقرّوا عينا بتفريده، وشجوا بتحميده، ولبوا بتمجيده؛ طهرهم بمياه تقدسه وغسل، وأجرى لهم نهراً أحلى من العسل، وألذ من الزبد الرائق، المطيب نكهة الذائق. ثم أمر القلم الرفيع أن يستمد، من ذلك النهر ويكتب ما يستبد، فكتب الموائيق والعهود، والإقرار والإشهاد والوعود، والأفراح والأوجال، والأرزاق والآجال، والبغض والوداد، وما هو كائنٌ إلى المعاد. ثم ألّقم الكتاب الحجر الأسود، فقرّب من قرّب وأبعد من أبعد، وإنما هذا الاستفهام، بيعةٌ على إقرار الأنام. ثم ردهم إلى صلب آدم، يخرجون على حسب ما تقادم.

قال مدرك الغواص: فأنشدتُ أوقظ العوام والخواص:

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| أيها الكائنون من قبضتين | لم تزالوا طول المدى فرقتين |
| قبضةُ النور للنعيم، وأخرى | للجحيم، فلم تزل ذات بين |
| أبهم الأمر عنكم لتخافوا | فاطلبوا منه أسعد الحالتين |
| قد جرى القلم البديع بما في | أصل أم الكتاب من ربتين |
| رتبتان: سعادة وشقاء | فيهما الخلقُ قد غدوا مرتين |
| في ابتدائك وانتهاك فانظر | يا أخى بتبصّر نظرتين |
| حقق الطرفين بدءاً وختما | لتسود يا كامل الطرفين |

نسبي إليه:

أنا محمد حمزة بن محمد علي بن محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع بن إدريس بن محمد الزمزمي بن محمد الفضيل الكتاني، وابن فاطمة بنت الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي.

وقد بحثت جاهداً علني أجداً اتصالاً في الرواية إليه وإلى دواوينه، فلم أجد من ذلك شيئاً، عسى أن ييسر الله لي في ذلك، بمنه وكرمه.

هنا تم ما رمت جمعه من ترجمة هذا الإمام الكريم، والقهرمان الفخيم، مباح أكرم حي، هـ الد أكرم حي، من كلامه شفاء العي، ونظمه ري وأي ري، أبي الإسعاد والكمالات، والمكرّمات والفتوحات؛ أحمد بن عبد الحي الحلبي، أنار الله قبره بنور النبي، وجعله في أعلى الفردائيس مع المطلبين.

وإنه وإن كان ما جمعته قاصراً كل القصور عن حقه، غير موف بقصدي ولا قصده، فقد الممت أطرافه من أقزاع الكتب، وجذاذات المجاميع ذوات الرتب، وفحصت المجلدات الكبار، مقتطفاً من المعلومات القصار، وأسأل الله أن يوفّقني أو غيري لجمع ما هو أعظم فائدة، فقد أهمل معاصروه حقه كما أهملوا غيره عوائده، ومن كان لائئاً أو مستنقصاً بحثي، فهذا جهد المقل فمن كان ذا بت فهذا بتي.

فقد جمعت هذه الترجمة على ضيق من الزمان معلوم، وضيم من الناس محكم ومفهوم، وكدر في النفس عميق، وضعف في القرينة ظاهر غير غميق:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في حلف كجلد الأجر

دع عنك عدلي يا من كان يعدلي لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرني

غير أنها خريدة وأي خريدة، جلبت من المعلومات والأخبار ودقائق الفهوم ما هي في البعاد بعيدة، وأضاءت شمسها ما كان مجهولاً من ترجمة هذا الإمام، وافتتحت بها ما كان مختوماً من طرسها أي ختام، فدقائقها عن حلل جماله مسفرة، وبدائعها بحلى حليه متسفرة، إذ زينتها بذكره، وفخرتها بفخره. جعلها الله عنده مقبولة، ولرضى جدنا صاحبها مستحقة ومحفولة، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وآل بيته الطاهرين، وصحابته المنتجبين.. آمين.

وكان الفراغ من هذه الترجمة المباركة، في سحر ليلة غرة ذي القعدة الحرام، عام 1426، بمدينة رباط الفتح من المغرب الأقصى، رزقنا الله خير، ووقانا بمنه وكرمه ضيره، على يد حفيد المؤلف الشريف أبي الليث محمد حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني، نوره الله بجاه النبي العدناني.

كتاب "عرائس الأفكار في مدائح المختار"

لقد كان في ودي أن أقيم دراسة على ديوان الشيخ الحلبي هذا، غير أنني رأيت أن دراسة حول جزء من أشعاره ليست كافية لعكس صورة كاملة عنه، فأرجأت ذلك إلى أن ييسر الله فيه حين جمع الديوان كاملاً بإذنه تعالى. ولكن سأنقل ما وقفت عليه من تقاريط الكتاب في نهاية هذه المقدمة بإذنه تعالى، لأنها شهادات لأعلام الأدب والمعارف في وقتهم، الذين يتوقف عند كلامهم، ويعتمد نقدهم وتصويبيهم.

والنسخة التي اعتمدها سبق أن ذكرت أنها نسخة ابن عم والد جدي العلامة البجاعة المشارك أبي المزايا محمد إبراهيم بن أحمد بن جعفر الكتاني كان مكن مولانا الإمام الوالد من تصويرها، وهي بخط مغربي واضح، به الكثير من البتور وآثار الأكلة، لا تمس المتن في شيء يُذكر، وقد كان مولانا الوالد رضي الله عنه ورحمه بدأ في نسخها قبل وفاته بقريب من شهر، بغية تحقيقها وطباعتها، فبلغ من ذلك نحو الثلث، وتوفي شهيداً من أجل الدعوة إلى الله تعالى، قتيلاً في قرطبة، في الرابع عشر من محرم الحرام عام 1422 دون إتمامها، وقد كانت أثرت فيه تأثيراً كبيراً، بحيث كان ينتسخها وهو يبكي، ثم يسرد علينا كل عشية ما انتسخه منها، وهو يبكي متخسفاً ويقول لي: إني أعشق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله. ولذلك صدرت شاهد قبره رحمه الله بيت سلطان العاشقين ابن الفارض رضي الله عنه:

وخذ بقية ما أبقيت من رمتي لا خير في الحب إن أبقى على المهج

ولذلك لم أرد إضافة شيء إلى تلك النسخة بعد إتمامها وتصحيحها، سوى أنني شرحت بعض الكلمات المبهمة، ثم ذيلتها بأشعار للمؤلف وقفت عليها في آخر نسختي من "الحلال السندسية" له، ثم صدرت الكتاب بدراسة حول سيرة الشيخ وحياته. وأثبت ما وقفت عليه من تقاريط الكتاب، معتمداً على: "الأنيس المطرب" لأديب المغرب الصالح الزاهد محمد بن الطيب العلمي، و"الرياض الربانية" لجدنا الخامس شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتاني. أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، ويجعله في صحيفة مؤلف الكتاب، وناسخه مولانا الوالد، والفقير معده للطباعة، وأن يجعله سبباً لتفريج الكرب، ووسيلة في فك سراح وأسر شقيقنا العلامة الصالح المصلح، فريد جيله مولانا الحسن بن علي الكتاني، وما ذلك على الله بعزيز، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه حفيد المؤلف، ونجل المحقق:

الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني

كان الله له ولياً ونصيراً

عشية الجمعة، غرة ذي القعدة الحرام عام 1426

الرباط - المغرب

تقاريط الديوان

آتي في هذا الفصل بما وقفت عليه من تقاريط دواوين الإمام الحلبي رضي الله عنه، وإن كان فاتني الكثير منه، حسبما ذكره في "الأنيس المطرب" نقلا عن "كشف اللثام" للمؤلف، وقد اعتمدت في نقلي على ما نقله صاحب "الأنيس المطرب"، و"الرياض الريانية".

والذين ذكر صاحب "الأنيس" ⁽¹⁾ أنهم قرظوا دواوين الشيخ: محمد الشاذلي بن محمد الدلائي، ومحمد المرباط بن محمد الدلائي، وعبد القادر بن علي الفاسي، ومحمد وعبد الرحمن ابنا عبد القادر الفاسي، ومحمد بن مبارك المغراوي الوراق، ومحمد بن علي السليمان السجلماسي، ومحمد المجاصي قاضي القضاة بالمغرب، وأحمد بن حمدان، وأبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، ومحمد الهشتوكي، وعلي بركة التطواني، ومحمد البوعناني.

تقريط شيخ الإسلام عبد القادر بن علي الفاسي الفهري

يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الغني، عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، تاب الله عليه وغفر ذنبه: قد طالعت ما تيسر من هذا الديوان السامي مقداره، اللاتحة أنواره، من إنشاء صاحبنا وأخينا أبي العباس أحمد الحلبي ضاعف الله له الحسنات، وجعل أوقاته معمورة بالطاعات.

فقد نهج بذلك نهجا قويا، وحاز إن شاء الله أجرا عظيما، وجنة ونعيما، وكيف لا؟ والمدوح سبب الوجود، وصاحب الكرم والجود، وأفضل من أجاز المستجير ووفى بالعهود، لا يهمل آمله، ولا يخيب سائله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الشرفا، وصحابته أهل الصدور والوفا.

تقريط شيخ الإسلام محمد الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي

الحمد لله الذي زين سماء الفهوم، بنجوم العلوم، وعين له رجالا يحمون موارده، ويدعون شوارده، ويفتحون مقله، ويسمون مقله، ويعلنون مبانيه، ويوضحون معانيه، ويبتلون أفعاره، ويجتنون أثاره، حتى قام على ساق، واتسق أي اتساق.

والصلاة والسلام على خلاصة الكونين، ونخبة الثقلين، إكسير الفلاح، وكيمااء النجاح، وسر الوجود، والسبب في كل موجود، صلى الله عليه وعلى آله، ما لمع برق، ووكف وذق. هذا؛ وإن أحق ما صرفت إليه همم الأعلام، وأفصح به ألسنة الأقلام، وبُذلت فيه نفائس الأعلام، وتنافست فيه الأسع والأحداق، ورقمته يد الأقلام، على صفحات الأيام:

(1) "الأنيس المطرب" ص 19.

أمداح سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام
هنا؟ وإن مما جلا في تلك الميادين، وجنى أواخرك تلك الرياحين، من تلك البساتين: مالك
أزمة العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وحيد عصره، وعالم عصره، محلي أجياد الرسائل
ببارعات المسائل، ومؤثري بطون المهارق بكل معنى رائق، الصدر الهام، الأوسد الإمام، أبا
العباسي أحمد الحلبي، الذي قالت في حقه الأمداح المصطفوية: هذا قد جلا بي. فإنه قد أبدع
فيها كل الإبداع، وأتى فيها بما لا يُستطاع من قَطْعَتِ دونه الأطلح.

وقد طالعت كثيرا من دواوينه، ووردتُ الجُم الغفير من مستنبطات عيون ومستغربات
معينه، واجتليت كثيرا من أبقاره وعينه، فوجدته قد غاص فيه على الدرر النفائس، وغازل
فيه مخدرات العرائس، فأمكنته من رضاها، وتلى من دلالها ونخصائها، وناجته من كُثب،
وقضى من وصلها كل أرب.

لا سيما كتابه المسمى بـ "فتح الفتاح، على مراتع الأرواح"؛ فإنه نقب فيه على علوم
الحقائق، وغر نُكيت من الدقائق، وتغلغل فيه إلى شرح كثير من الأسماء وبيان الفرق بين
الاسم والمسمى، مما يعجز عنه كثير من الخاصة، فكيف بالعامّة الغاصة؟ وأحسن في ذلك ما
شاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ألا وإنه كتاب يَنجُد ويغور، ويبلغ حيث لا يبلغه البدور، ولم تسمح قريحة بمثاله، ولا
نسج أحداً على منواله، ولا حام أحد حوله، ولا اهتدى إليه موقّق قبله. وإنما هو من المواهب
الربانية، والمنح الإلهية الرحمانية، ونتائج صدقه في محبة الجناب الشريف، ذي الظل الوريث،
والقدر المنيف.

فهنيئاً له ما أُخول من السعادة، والحسنى من الله وزيادة، فقل لمن يحاول شأوه في تلك
المناجح، ويروم معارضته في هاتيك المدائح:

هي المواهب لم أشدد لها زيم
إذ لا يقال لفضل الله: ذا بكم؟
وما أحقه بقول القائل:

لكن سر الله في صدق الطالب
كم ريء في أصحابه من العجب

فوحق ناظم هذا العقد وقائله، وراقم محاسنه ومقتطف خمائله؛ إنه للسحر الحلال،
والنظم السلس الترسال، قد انهمر من عنصر الفصاحة، ومنابع الرّجاحة، فلا زال مُنَشِّقُهُ
قويّ الأشر، محفوقاً بالفخر، بمنه وكرمه.

وكتبه عبد ربه، وأسير ذنبه: محمد الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي كان الله له. في
أواخر ذي القعدة، سنة 1092. عرّفنا الله خير، ووقانا ضيره... آمين.

تقريظ الإمام المشارك الأديب البارع أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي

صنع جفونك في الرياض المونقة
وانظر إلى حلال الحبير يحوكها
واقطف ثمار حدائق بمذائح الـ
والدر في جيد الملية يكتسي
واعجب بأرض الشام كان غراسها
والشمس عند شروقها محمرة
ولتنتجج إكفافها مستخصبا
واستمرها بحجبا، تجدها حفا
فمدح أحمد خير ما تختاره

وانقع غليلك في الحياض المغدقة
صنع فتجلى في السماط منمقة
مختار كان لها ثمار مونقة
حسنا، وتستسقي النواظر رونقة
وبدار ملك الغرب أضحت مورقة
ولدا تعاليها تروك مشرقة
ولترتفع إخلافها المتدفقة
تروى لدى الحلبي الظماء المرهقة
نفس لها بالدين والحسنى مقة

تقريظ شيخ الجماعة محمد بن عبد القادر الفاسي الفهري

طالعت بعض ما اشتمل عليه هذا المجموع من غرر القصائد، من نظم صاحبنا الفقيه الأديب، الآتي من سحر البلاغة بكل عجيب؛ الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي، ألفيتها قد لبست حللا من نسائج بلاغته، وكسيت رونقا من نتائج براعته، مطربة للسامع. أخذت للقلوب بالجماع، يستعذب لطائف دقائقها الأديب، ويهتز لمعاني حقائقها ومثاني دقائقها الناسك الأريب.

فهي نزهة للنظر، وجلاء للخاطر، واستئزال لغيث بأنواع الخير ماطر، وكيف لا تكون على أكمل رصف وأجمل وصف؛ وهي مدائح سيد المرسلين، ولوائح نفحات من البر، ولمحات من السر، لها الأذان تصغي والقلوب تلين.

ولا غرو أن حازت محاسن جمّة
تروق أساء، ترقى علا، تزدهي حلا
وقد خيلت صاحباً، وقلت مخاطباً:

قل لابن عبد الحي قولة دار
يا مجليا لعرائس الأفكار
أعطيت مأمولا حبيت مؤملا

وكتب الفقير إلى رحمة ربه، عبيد الله محمد بن عبد القادر الفاسي غفر الله ذنبه، وستر عيبه، بمنه وجوده. وبتاريخ وسط صفر من عام سبعة وثمانين وألف، عرفنا الله خيره.

تقريظ سيوطي عصره عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي

قد طالعت من هذا الديوان ما راق الأعين والمهج، وصيغ من نور ممدوحه فتضاءل لسطوع طالعته النيران والبلج، وأمال العمام عن الرؤوس خضوعاً، وأُنس رقص الحُبيب في الكؤوس نقوعاً، إلى لفظ يرغب الشهد في احلولائه، وأن يبارى برأه المفؤود بشفائه، ويعتقل سمهدي الصولة، فيقدم في الأدب أهله، ويهلم بحجي على الإطراق، ثم لا تُمِل سِنَّة النوم الأعناق إلا أفاق، ولا يزدرع حباً إلى في قلب تقى، ولا بغضاً إلا في قلب شقي.

وكيف لا؟؟ وقد ألحم بوشيه وصف الجانب الذي لا تحوم رتبة إلا دونه، ورصع بحليّه حليّة من تحلى بأنهى رتبة مكينة، فهو وّصاف سيد الروقة، وألاف كل مزية مرفوقة.

فلما أسفر عن خصيصي الإنفاق في ذلك السوق، الرابع فيه كل مرزوق، تجاذبته يد النزاع بين الأرضين، والاختصام فيه بين البلدين؛ فمن قائل: إنه استخرج من كنوز حلب، ورأى أنه من حيث صار لا من حيث ذهب. والحق أن الأنظار مختلفة ومؤلفة، والأقطار بمزيتين متصفة ومنتصفة، فالأصل أصل الحلال، كما أن المسك بعض دم الغزال، وللمحل محل الإثمار والظهور، كفعل الماء في الروض المحبور، والدر في النحور، لا في قعر البحور.

لكن لكل رزق مأوى تقدره المقادير عنده، ولكل سرحة أغصان لمن يشاء أن يتناولها مُعدة، فهي تكرمة لما استخرج فيه ثمارها، أو نشر فيه عرارها. وناهيك بتكرمة أرض أن يمدح فيها الرسول الأعظم، الهاشمي الأكرم، صلى الله عليه وسلم، وتطبع أوصاف طباعه، وتستنشل من كنان الشجيا أطراف سجايه، لمن خص في مدحها بمدح باعه، فلن تعدم بحول الله أرض يتداول فيها ذلك خيراً، ويؤمل بفضل ورحمته إبقاء ذلك عليها دهرأ، فإن لمدح خير البرية صلى الله عليه وسلم وعلى آله ما لا يجهل، مما لا يؤمل ويؤمل، في العاجل والمؤجل، صلى الله عليه وسلم، وبارك وأنعم، وشرف وبجل.

وأقول مبادراً للقيام بحق الإكرام، ومديراً أباريق مُدام الكلام، غير معكوفة بفدّام:

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| الشمس إن أحسنت في الشرق منزلة | ورفعة وضاء منه يُنتفع |
| فإن حسن العشايا فاق رونقه | في الغرب فيه فنون الحُسن تجتمع |
| لذاك ما شاد شاد في محاسنه | إلا بشمس العشايا حين تصطنع |
| لولا العشايا لما كانت لها سمة | من رقة الأدباء الطبع تنطبع |
| ولا حكّت كل لون في شمائلها | يهيج منه اضطراب هز او جزع |
| ولا شكت ما تقاسيه النفوس لها | وما بقلب شج قد كان ينطبع |
| كذا مقرطُ أبناء القريض غدا | بالغرب مبتهجاً تزهو به البقع |

إِنْ سُلَّ يَوْمًا عَلَى أَهْلِ النَّهْيِ خَضَعُوا
فِي الْمِصْطَفَى، وَبِهِ فَيَهْنُ مَنْ وَلَعَ
مَدَحَ الشَّفِيعِ إِمَامِ الرُّسُلِ إِنْ شَفَعُوا
يَسْنالُ مِصْطَحِبٌ بِهَا وَمَتَّبِعُ
هَذَا بَعْضُ مَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ مِنَ التَّقْرِيطِ، إِمَامُ الْقَرِيضِ، سَيْفُ الْأَدْبَاءِ، وَتَاجُ الشُّعْرَاءِ، نَفَعَهُ
اللَّهُ بِحَسَنِ طَوِيلَتِهِ، وَبَارَكَ لَهُ فِي يَمِينِ نَيْتِهِ.

وكتبه في سابع الثلث الثاني من سنة سبع وثمانين وألف: عبد الرحمن بن عبد القادر
الفاسي، وفقه الله وعفا عنه بفضلته.

تقريط شيخ الجماعة محمد بن مبارك المغراوي الوراق:

وبعد؛ فيقول المعترف باكتساب الخطايا، الراجي من مولاه الكريم سبحانه وتعالى أن
بمنحه من رحمته وفضله جزيل العطايا، محمد بن مبارك المغراوي، صرف الله عنه باغيات
الفتن وأليم الرزايا:

أَتَمَّنِّي الفقيه العالم، خاتمة أعلام الآداب، ومحبي رسوم ما محي من ربوع البلغاء
الأنجباب، وأنيس المذكرات بمن تقادم عصره من ذوي المحاسن أو عاصر من الأصحاب؛
أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الحي الشامي دارا، الحلبي قرارا، الفاسي رحلة ومزارا، أقره
الله تعالى في أفضل ديار الإسلام سلامة في الدنيا والدين، وأعاننا وإياه على سلوك سبيل
المتقين، واتباع سنن سيد المرسلين، بمطالعة شعره العجيب.

فحياني من بنات فكره بقصائد واضحة الغرر، منقاة الطرر، مبتسمات من ثغور الدرر،
تسحر الألباب، وتذلل الصعاب، وتري من ناظمها العجب العجائب، وتشير إلى رقيه في منبر
البلاغة بأقوى الأسباب، وزادها شرفا، وألبسها رونق المهابة والبهاء، وشنف آذان مسامعيها
سن أولي النهى، أن كانت في مديح من خصه الله تعالى بأكمل الأوصاف، ووهب له من
واهبه اللدنية غامر الألطاف؛ سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله، أزكى
الخليقة وأشرف الأشراف.

فلما أن كررتُ فيها نظري، وأمتعتُ بمستحسناتها بصري؛ أضرم مني زند شبهها ما كان
كامنا، وحكرت مواقعها ما كان عني ساكنا، فلا غرو أن قلتُ على جمود قريحتي، وفشل
داعيتي وعزيمتي:

نَظْمُكُمْ وَجْهَ التَّهَانِي
عَرَفُهُ حَيَّ الْمَغَانِي

يَا ابْنَ عَبْدِ الْحَيِّ حَيًّا
وَنَسِيمَ الرُّوْضِ أَحْيَى

| | |
|-------------------|---------------------|
| أبرزت منها غوان | مالها في الحسن ثاني |
| ساحرات الطرف ترنو | خلّيت سحر المعاني |
| نعم ما خلّيت منها | بشذور وجهان |
| فجزاك الله خيرا | آمنّا مكر الزمان |

قال هذا العبد المذكور، مقصرا في حق الصاحب المشكور، بتاريخ أوائل ربيع النبوي من سنة سبع وثمانين وألف، عرّفنا الله خيرها، بمحمد وآله صلى الله عليه وسلم.

تقريط المقرئ المجود القاضي محمد بن علي السليمان السجلماي

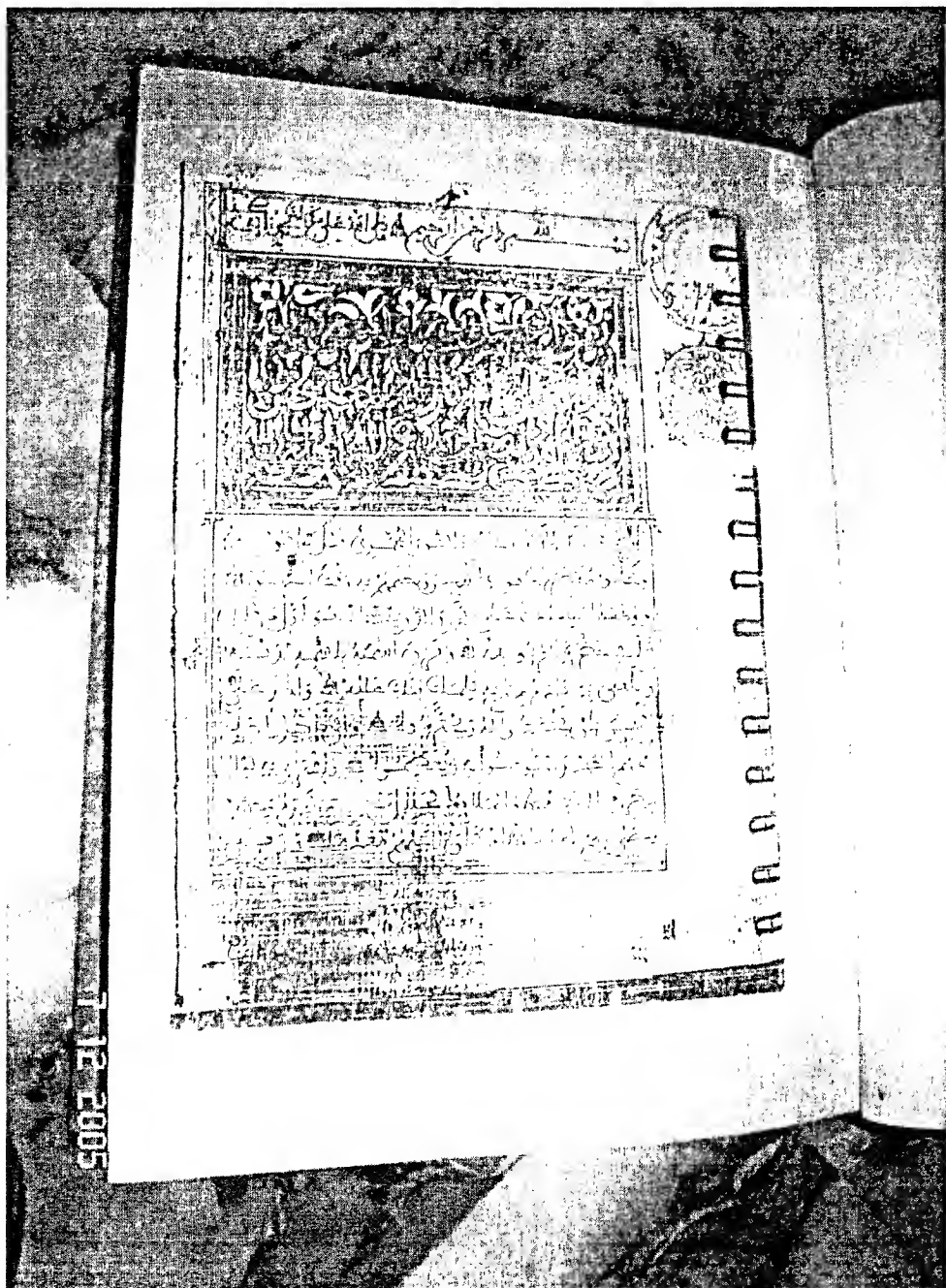
الحمد لله رافع منصب الأدبا، والمخرج من ضروع مژن ساهم حلبا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح البلغا، الممدوح بكل اللغا.

وبعد؛ فإني طالعت ورقات، وعدة أبيات، من هذه الكراريس، فإذا هي لكل محمدي خير جليس وأنيس. بيد أن ريح الأدب منها يفوح، وأنها بمكنون المحبة في الجناح النبوي تفوح، أنبأت بقدّم من الأدب راسخ، وطود من الإيثار شامخ، وأظهرت مضمرات فصاحة قلم ولسان، وحدث عن مسند أحمد بما شئت من طرق فهي مع غرابتها حسان:

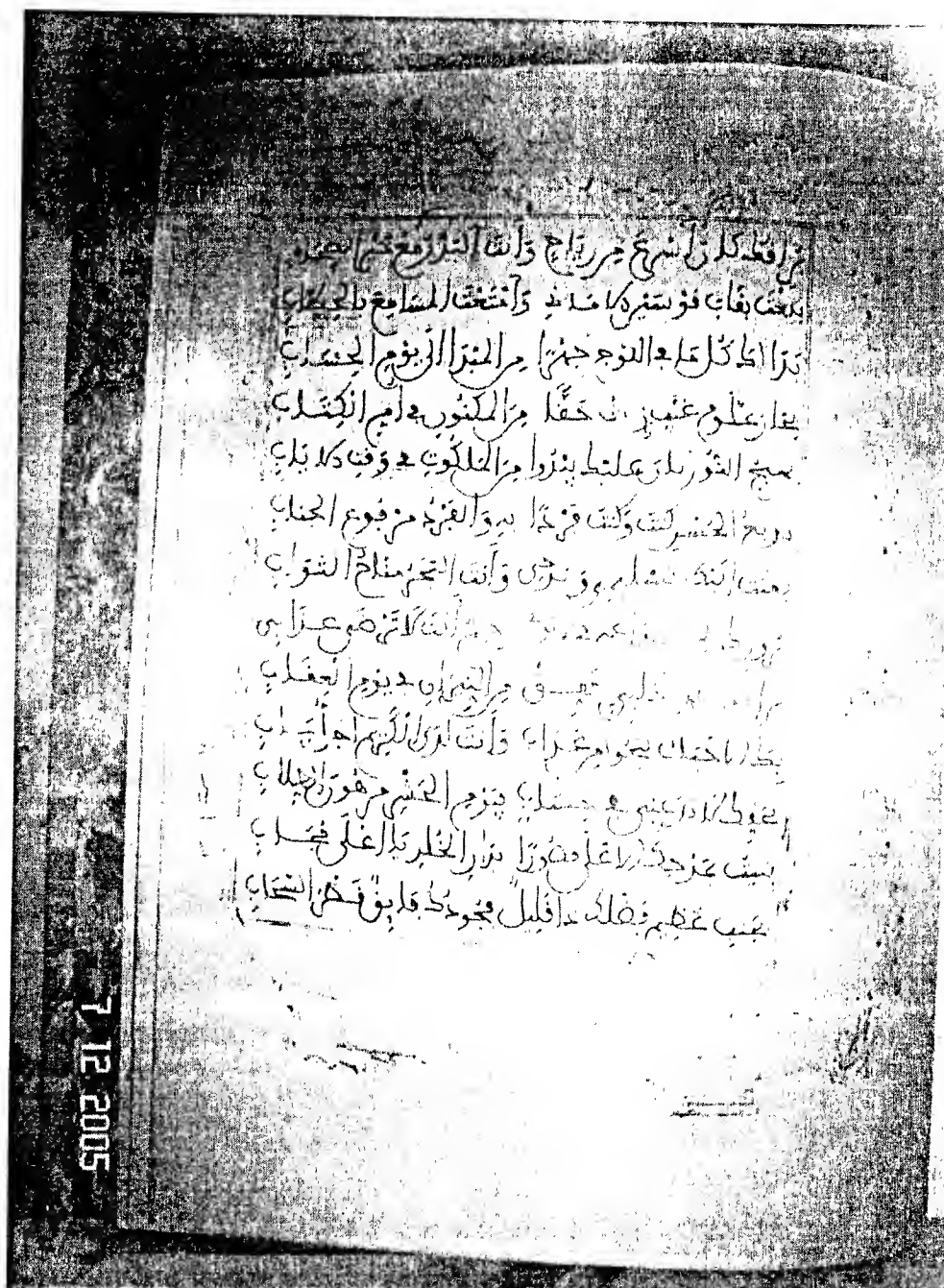
| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| منظم الدر أهدته لنا حلب | وكيف لا وهناك يُعرف الأدب؟ |
| قد راق رونقه ورق منطقه | وفاق نظم الألى قالوه أو كتبوا |
| ألا يا ابن عبد الحّي أنت أديب | وشِعرك عند العالمين عجيب |
| إذا الشعرأ طرا أتوا بمدحهم | فإنك فيهم قائم وخطيب |

| | |
|--------------------|--------------------|
| سحر حلال وخلا | قد اكتسهاها الحلبي |
| مدح الرسول المصطفى | المجتبى المقرب |
| مدحه محمّدة | يـرجو بلوغ الأرب |
| وخير ما به تؤو | ب لبلاد حلب |

أقول هذا ولست موفيا بالمروم، ولا مؤديا بعض الواجب المحتوم، مع طول جمود القرينة، وربّنا المسؤول أن يسكننا وإياه من الجنان فسيحه. وكتبه عبد الله محمد بن علي وفقه الله... انتهى.



صورة الصفحة الأولى من المخطوط



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على مولانا محمد وآله وصحبه

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أبرز النور المحمادي قبل كل نور، وخلق من نضرات نوره النبيين وختمهم به وقت الظهور، ووهبه السيادة على الذر والذرية، إذ هو أول من قال: "بلى" في حضرة الربوبية، وقرن اسمه باسمه لديه، وتلقى به آدم من ربه كلمات؛ فتاب عليه، وأخذ على النبيين بأن يخضعوا له ويحترموا، وأن يأخذوا على أمهم العهد أن يؤمنوا به ويعظموا، وأسرى به ليلاً من حرم إلى حرم، والملائكة لجلال منصبه خدم وحشم، وصلى بهم إماماً، إذ كان أجلهم مقاماً، ورقى [1] أرفع الدرجات، فاستفتح جبريل السماوات. قالوا: "من معك؟". قال: "محمد!". قالوا: "نعم المجيء جاء هذا المجد؛ حبيبٌ جاء مانداً الحبيب".

ولما ادخر له من التكريم والتقريب، وتهلل له وجه المالك والملوكوت، وتفتت بحيا⁽¹⁾ إمداده أزهار الجبروت، واصطف لخدمته الأملاك، واستنارت بنوره الأحلاك، فتغدى بلطائف المعارف، وارتدى بنفائس العوارف، فسار معه إلى موضع تلقيه العلوم، وقال: "هذا مقامي"، ﴿وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾. [الصفات: 164]. فانزعج يغاضب الأنوار، يخرق في مواكب العظمة والافتداء، حتى انتهى إلى سدة المنتهى، ثم دنى، فتدلى إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، ورآه بعيني رأسه على الصحيح، وكلمه، وسرد الخطاب بلسان فصيح.

فما رجع حتى نال من ربه ما أراد، وأمضى الفرائض وخفف على العباد. ووعده المقام المحمود، والحوض المورود، والوسيلة العظمى، والفضيلة العصى، وخصه بالسبع المثاني، والقرآن العظيم المباني، وأيده بالمعجزات الباهرات، وأظهره بالبراهين الساطعات، فشهد الضب [2] والذئب ببعثته، والذراع المسموم بأكلته، وسجدت الأشجار لديه، والبعر خر ساجداً بين يديه، والظبية كلمته بأفصح بيان، ووفت له بالضمان، في الوقت والأوان، وأظلمت في المهجير الغمام، ويوم الغار حامت عليه الحمام، ونسجت عليه العنكبوت سجفاً حسناً، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40].

(1) الحيا: المطر والخصب، وربما يطلق على المطر الخفيف اللطيف.

ففتح له فتحاً ميبناً وأظفر، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وجعل أمته أمة وسطاً عدلاً، خير أمة أخرجت للناس محتداً وأصلاً، ينهون عن المنكر ويأمرون بالخير، يسارعون فيها على ممر الدهور والأوقات، هم المحمادون الفائقون، والآخرين السابقون، اتقياؤهم في الأكوان قناديل، كما أن علماءهم كأنبياء بني إسرائيل، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، لن يزالوا ظاهرين على الحق إلى اليوم الموعود، إذ كلهم مغترفون من بحار سيد المرسلين، ومقتبسون من أنوار إمام المتقين، البشير النذير، السراج المنير. فلقد أدى الأمانة، ونصح الأمة، وجلا الظلمة، وكشف الغمة، وأوتي جوامع الكلم، ونطق بالحكمة، فوجب على كافة الخلق [3] أن يمثّلوا أمره وحكمه.

فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأعراق، المتزين بالشيم النفيسة ومكارم الأخلاق، وعلى صحابته الذين شادوا قواعد الدين، ومهدوا للإسلام دعائم العز والتمكين، وعلى السادات التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فعلى من عُرس بفكره أفانين المعاني، ونُجت بميدان فهمه غرائب المثاني، أن يصرفها إلى أربابها، ويأتي البيوت من أبوابها، فأجل من تمد رقاب الشاء لجناحه، وأشرف من تسجد أعناق المدائح ببابه، وأكرم من تسرح إليه مطايا الإيغال والإغراق، وأعظم من تضل بمهمه صفاته بالوفد والأعناق: إمام المتقين، وقطب المرسلين، هي ميادين قصرت في مجالها الأفهام، وتسكنت في لجج غاياتها الأوهام.

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيُعرب عنه ناطق بفهم

ولكن لما أوجب الله تشریفه وتعظيمه، وإجلاله وتكريمه، وقد أثنى عليه في كتابه الحكيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. [القلم: 4]، وتحتّم على كل مؤمن أن يمدحه بحسب الإمكان، بمنظوم أو منثور، بأية لغة وبأي لسان.

حملني فهمي القصير، وباعي الحقير، أن أنشئ فيه وفي آله وأصفياء أمته جماعة [4] من التمسائل، إذ نية المرء خير من عمله بحسب المقاصد، وقد حررتها أيدي العبد الضعيف، ذي الجاه العالي المنيف، عبيد ربه، وأسير ذنبه؛ أحمد بن عبد الحي الشافعي.

وقد سمّيته باسمين، ووسمته بوسمين؛ فالأول سمّيته: "عرائس الأفكار في مدائح المختار"، صلى الله عليه وسلم، والثاني سمّيته: "رياض الأزهار في مدائح الفضلاء والأخيار".

• فبدأت فيه بالشاء على المستحق لجميع المحامد والمدائح، متوسلاً بأسماؤه وصفاته لبلوغ المآرب والمصالح.

- وثنيت بمدح المحمود في التوراة والإنجيل والزبور، المنزل عليه التنزيل شفاء لما في الصدور.
 - وثلثت بآله الأطهار، وأنخيار أمته الأبرار، خالصاً لوجه الله الكريم، راغباً من جنب كرمه في جنات النعيم.
- وأسأله سبحانه، وهو خير مسؤول، أن يبلغنا وقارئيه وكاتبه وسامعيه كل مرغوب ومأمول، وأن يحشرنا وإياهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. يا رب العالمين. وعلى الواقف عليه أن يدرك بالحسنة السيئة، وأن يصلح بعين الرضا من فضله سيئته، وليعفوا وليصفحوا [5].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

يقول العبد الفقير إلى الله: أحمد بن عبد الحي الحلبي، تاب الله عليه:

1

وقال، كان الله له بمنه:

صلوات الله ذي العرش على

مهبط السبع المثاني والضحى

ظبي سَلْعٍ إِذْ بَقَلْبِي مَرَحًا
عند أرباب الغرام افتَضَحَا
غير جرح الحب عند الصلحا [1]
برسول الله فليما فرحا
بنبي حظُّكم قد أَرَجَحَا
بمزايا غيركم لن يُمَنَحَا
ولكم باب التهناني فَتَحَا
كل فرد منكم قد أفلحا
بأبي القاسم صدرا شَرَحَا
قد مضت فيمن مضى إِذْ جَمَحَا
حرجا عنكم جميعا قد محَا
كل جاف منكم قد سَرَحَا
أنتم للسعدا قطب رَحَا
وامدحوا إحسانه والمِنَحَا
ذكره يشفي الضنا والبُرَحَا
ومسيح كُفُّهُ إن مَسَحَا [2]
وتراه بالأذى مُنَصِّلَحَا
وبنفس لحبيب سَمَحَا
عطفة المحبوب دهرًا ما صَحَا
شعلت من نار قلب قَرَحَا
زُئِدُ وجد في حشاه قَدَحَا
عنه والشوق به قد بَرَحَا
لمحب بغرام دُبَحَا
بمحيى ناب عن شمس الضحى

يا أخلائي فؤادي جَرَحَا
كل صب لم يذق جُرْحِ الهوى
كل جرح بقصاص آيل
فالهدايا من كريم أعظمت
معشر الأمة طيبوا أنفسا
من عظيم الجود فضلا فزتم
ختم الله بكم أهل الهدى
ربنا اختصكم فوق الورى
ولدين الحق ذو العرش لكم
عنكم خفف أثقال العنا
أشكروا الله على ألطافه
ومن الخوف إلى وسع الرجا
شهداء الله أنتم في غد
املؤوا القلب بحب المصطفى
وعلى السمع اعرضوا أوصافه
ريقه رقية سُقِمَ وضنا
إنما العاشق من يلقى الأذى
لم تزلزل الرواسي لحظة
وتراه غائبا مرتقبا
يسكب الجمر على وجنته
كلما رام سلوا في الهوى
فترى الصبر هباء طائرا
ذبح الصبر على باب الجوى
إعذروا من عقله مختطف

كنزُ حسن في محيا المصطفى
سيد السادات تاج الأنبيا
من أتاننا بالتهاني والهدي
أصلح الله به من خصه
رحمة أهده ذو العرش لنا
طرفه الأدعجُ سهمُ راشقُ
وإذا يمشي بقصد مائس
وإذا يفتح ثغرا مشرقا
بهت الناظر مرأى حسنه
مدح الله لنا أخلاقه
لا يفي العبد بمدح المصطفى
بعد ذي العرش وأملاك السما
إنما مدح العبيد الحلبي
وعليه الله صلى وعلى

كل حسن إذ تبدى فضحا
كعبة الأملاك قطب الصلحا
لمغاليق المعاني موضحا
بالهدي؛ أفدي الحبيب المصلحا
وبهذا المصطفى قد صدحا [3]
في حشائره حبا ومحبا
قلت: غصنٌ بالصبا قد رُوحا
قلت: بابٌ للجنان انفتحا
فتراه شاخصا قد طمحا
ما ابتغاء العبد فيه المدحا؟
ذرة من وصفه إن مدحا
ليت شعري ما تقول الفصحا؟
لرسول الله شكرٌ وضحا
آل والصحب الهداة النصحا

2

وقال كان الله له بمنه:

صلى عليك الله يا خير السورى
ما جالت الأرواح في الأشباح

من ثغرك البسام لاح صباحي
وبشعرك الليل الذي لا ينجلي
وبخدك البلار تبرّزائه
صفحات جيدك فضة في عسجد
وبريقك الشهد الذي يشفي الظما
وبعينك الكخلاء سرّ ملاحه
وبحاجبيك السابغين تقوؤس
والبلجة الزهراء بينهما زهت
والقد غصن البان إلا إنه
غصن البها ما بين غصنين انثنى
وإذا يمر على الطريق بطيبه
وإذا يمشي كالهلل رفيقه
وبوجهه شمس النبوة أشرق

فوجدت روحى في سناه وراحى [4]
لكن هداني فيك سُبُل صلاحى
يلتاح كالنفّاح عند لقاحى
طبعاً بخاتم حسنك الوضاح
يشفى ضمنا الأجساد والأرواح
شغف القلوب بلحظه الجراح
مثل الجناح به يُقَص جناحي
كم غائب قد هيمته وصاحى
قد علّم الأغصان شرب الراح
في مشيه الأحلى بلا أمراح
أحيى القلوب بطيبه النفّاح
طال الرفيق ومر مر رواح
إشراق شمس في فضاء بطاح

تلقاه دأباً باسمها مستهللاً
فُتحت كنوز الغيب في الدنيا له
فلق القلوب بحسبه ووداده
مفتاح توحيد الإله محمد
بين العباد وربهم خير السورى
داعى الإله محمد لسبيله
الجدع حن له بُعَيْدَ فراقه
والذئب أنطقه الإله ببعثه
والضَّبُّ أنبأ عن رسالة أحمد
وانقاد للهادي البعير مقبلاً
كم نهضة في الله أمضى حسبه
سل عن أمية في الوغا من هده
وأبور كانه حين صارعه انطوى
المصطفى قطب الوجود وسره
غوث الحقير المستجير بهجاهه
يا حسرة الحابسي إن لم يلفيه
كم مد للعافين راحة جوده
صلى عليه الله جل جلاله

وقال غفر الله له بمنة:

3

صلاة وأزكى سلام على أجل رسول أتى بالكتاب

فبت على قلق واضطراب
رأيت سوى حبكم كالسراب
ومن غيركم بيت قلبي خراب
فذلك قلب كئيف الحجاب
يصور أشخاصكم في المغاب
ترى أعين عند كشف النقاب [7]
فذكر سواكم لى ارتياب

سقاني هوائكم لذى الشراب
ومذ ذقت من حبكم شربة
عمرتكم فؤادي بكم سادتي
فلا كان قلب وعى غيركم
فلم يخلق القلب إلا لكم
وغير جمالكُم لم تكن
ويقل⁽¹⁾ اللسان سوى ذكركم

(1) يقل: يغيض.

وما انتشقت الأذن إلا لأن
وما انتشق الأنف إلا شذا
وما خفق القلب إلا بما
جمالكم أفضح الأقويا
فلم يُعرَف الحسن إلا بكم
أَيُسَبِّحُ حُسْنُ لغير الذي
مليحُ المحيا جميل اللقا
لطيف المعاني عظيم الحيا
ويشفي الغليل بقول الهدى
وحيدُ الجمال فريدُ السبها
بهي ابتسام شريق الضيا
ندي البَنان عظيمُ السخا
رشيق القوام رقيق الحشا
وسَمَحُ السيدين عظيم العطا
أتى بالرشاد لكل السورى
أنار الطريق بنور الهدى
فيا أكرم الخلق يا مصطفى
إليك الشجى الحلبى التجا
إليه التفت يا أجل السورى
عليك وآلك أزكى الصلا

تضم حديدكُم المستطاب
روائحكُم بين تلك القباب
رأى من سناكم بتلك الرحاب
وما خضعت لسواه الرقاب
إلى بابكم شأنه الانتساب
دنا للجليل كمقدار قاب؟!
جليل المزايا رفيع الجنا
شريف المثاني كريم الخطاب
ويُبري العليل بلين الجواب
مفيد الكمال لأهل اكتساب
منير المجرد عنه الثياب
مُحَلِّي القلوب بِحُلِّي ارتقاب [8]
مليح الكهولة غرض الشباب
كثير السنوال بغير حساب
وبالسنة اقتادنا والكتاب
ودل الرفيق على الإقتراب
ويا من أتى بالصفاء والصواب
وفي قلبه من نواك التهاب
بقول وفعل بأرض اغتراب
ة وأزكى السلام وكل الصحاب

4

وقال وكان الله له بمنه:

عليك زواكي الصلوات يا من
له وجهٌ هو: البدرُ المنير

على الأكوان إذ وُلد البشيرُ
كأن قدومه الروضُ النضيرُ [9]
كأن جبينه فجر منير
يُنزِّه أن تماثلهُ الشغور
إذا يعبرو محيا السرور
برؤية وجهه انشرح صدور
فطبه صدرهم وهو الكبير

قميصُ البشير قد ألقى البشيرُ
بشيراً بالسعادة والتهاني
نضيرُ الوجه ما أبهاه حسنا
منيرُ ثغره الأحلاك لكن
ثغورُ الزهر أضحك بابتسام
سرور القلب: رؤية وجهه طه
صدور الرسل إن عظموا وجلوا

كبير الجاه والمقدار طه
 كثير الفضل والإحسان لكن
 بحور النور تخرج من ثراه
 تطير اليعملات⁽¹⁾ إليه شوقا
 مطير العذب سال من أضبعه
 حريز قد حكى كفيه لكن
 عبير فاح من إبطيه لكن
 دهورا لم تزل أذكّار طه
 تنور به المساجد والسنوادي
 تدور بأمره أفلاك شرع
 أمير الأنبياء دنيا وأخرى
 يصير الكل تحت لواء طه
 يُشير إلى السجود لهم شفيعا
 حضور محمد خلوات سر
 خطير القدر عند الله حقا
 وزير في الجنان لنا وسيط
 نزور الحضرة القُصَيّا وطه
 سفير للقلوب بسرود
 قدير ذو الجلال على اجتماعي
 سرور القلب: رؤيته عيانا
 كبير حبه في القلب ثأو
 ضمير الصب يجبره بعطف
 كسير أحمد الحلبي لولا
 برور وفائه يكفي محبا
 سعي الخوف في قلبي تلظى
 مجير مسلم وكذا مصل

وقال، كان الله له بمنه:

5

به قد جاءنا الخير الكثير
 تغور لدى عطاياه البحور
 على إضم له الأحشا تطير
 وفي وجناتها دمع مطير
 به فقد الصدى القلب الحرير
 بكففيه الغوالي والعبير
 تغير غير إبطيه الدهور
 شفاء والقلوب بها تنور [10]
 وكأس وداده فيها تدور
 على الأجيال وهو لها أمير
 إليه أمرهم أبدا يصير
 وكلهم إليه غدا يشير
 لدى المولى الكريم وهم حضور
 تدل بأنه الأعلى الخطير
 كأن محمدا منه الوزير
 إلى الوجه الكريم إذا نزور
 بنا للحضرة القُصَيّا سفير
 وجامعها له المليك القدير
 بأحمد والفؤاد به سرور
 وعندي ذلك الفضل الكبير
 به تزهو الخواطر والضمير [11]
 بخير الرسل كم جبر الكسير
 عطاياه العظيمة والبرور
 ويُنجيه إذا وجبت سعي
 وأنت مجيرنا نغم المجير
 عليك وأنت بالنعمة جدير

عليك كرائم الصلوات يا من
 شمائله العظيمة لا تُعد

(1) اليعملة: الناقة النجبية السريعة.

بِجَالِكَ بِمَا مَلَيْحَ الْحَسِي فَرْدُ
 مَسَدَدَتْ وَمَا قَطَعَتْ الْوَصْلَ يَوْمَا
 فَلَيْسَ الْقَطْلُحُ وَصَفَاكَ، أَنْتَ عَنْهُ
 نَحْنُ إِنِّي وَدَدْتُكَ مَسْنَاهَا
 فَيَا مَلِكَ الْقُلُوبِ انْظُرْ إِلَيْهَا
 فَلَمْ يَكُ فِي الْعَوَالِمِ مَنْ تَنَاجِي
 وَفِيكَ نَفُوسُنَا تَفْنَى غَرَامَا
 وَصَالُكَ جَنَّةٌ وَالْهَجَرُ نَارُ
 بِوَجْهِكَ مِلُّ لِعَبِيدِ ذَابَ قَلْبَا
 بِعُظْفَاكَ جُودٌ لِلْهَوَى غَرِيبُ
 وَمَنْ أَرْقَ وَمَنْ دَمَعَ كَجَمْرٍ
 لَهُ قَلْبِي وَأَعْضَائِي وَسِرِّي
 فَكُلِّي كَلَّ عَنْ إِحْصَاءِ شُكْرِي
 إِمَامُ الْمُرْسَلِينَ أَجَلَ هَادٍ
 أَتَى مِنْ حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ لَيْلَا
 بِرِيحٍ كَالْعُرُوسِ أَتَى إِلَيْهَا
 مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ ضَجَّتْ بِطَه
 وَقَبَّلَتْ الْجَمِيعُ بَنَانُ طَه
 وَهُمْ وَالْأَنْبِيَاءُ بِهِ اسْتَضَاءُوا
 وَحَلَّ بِغَارِ ثَوْرٍ خَيْرُ ثَاوٍ
 بِهِ بَدْرُ النُّبُوَّةِ حَلَّ لَيْلَا
 فَصَادَفَ سَبَقَ إِسْعَادٍ وَفَضَلَ
 جَفَاءَ الْأَقْرَبُونَ لَفْزَ طَهْلٍ
 هَمَاهَ بِالْحَمَامِ وَنَبَتَ سِدْرُ
 فَلَمَّا تُغْنِي حَصُونٌ أَوْ دُرُوعُ
 يَقِي مِنْ شَاءَ كَيْفَ يَشَاءُ مِمَّا
 بِذَاكَ مَوْفَّقَ يَزْدَادُ كَشْفَا
 حَبِيبٌ قَدْ سَقَى الْأَجْنَادَ مَاءُ
 حَبِيبٌ قَدْ دَعَا شَجَرًا فَلَبَّتْ
 وَقَدْ سَجَدَتْ لِنُورِ جِهَالِ طَه

وَكُلُّ مُتَسَيِّمٍ لَهْوَكَ عَبْدُ
 فَصْدُكَ سَيِّدِي وَضَلَّ وَوُدُ
 تُنَزَّرُهُ؛ إِنَّكَ الْبَرُّ الْمَعْدُ
 وَلَكِنْ أَنْتَ وَاللَّهُ الْأَوْدُ
 قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ إِلَيْكَ تَغْدُوا [12]
 بِوَجْهِتِهَا سَوَاكَ وَأَنْتَ قَصْدُ
 فَلَيْسَ لَهَا مِنْ الْإِتْلَافِ بُدُ
 فَمَنْ لِي مِنْ جَنَّاتِ الْوَصْلِ ضِدُ؟
 بَرَاهُ فِيكَ: أَشْوَاقُ وَوَجْدُ
 عَلَى خَدْيِهِ مَذْمُوعُهُ يُخْدُ
 لَهُ لَمْ يَنْفَصِّلْ طَرْفَ وَخَدُ
 إِذَا اسْتَنْصَرْتُهَا فِي الْحُبِّ عِنْدُ
 فَلَمَّا يُحْصَى خَيْرُ الْخَلْقِ هُمْدُ
 بِهِ قَدْ لَاحَ تَوْحِيدُ وَرُشْدُ
 وَفِي مَرَاةِ نُورِ اللَّهِ يَبْدُو
 مِنَ الْمَلَكُوتِ لَمَّا جَاءَ يَعْدُو
 لِإِكْرَامِ الْحَبِيبِ قَدْ اسْتَعْدُوا
 وَأَيْدِيهِمْ لَهُ لِلْفَضْلِ مَدُوا [13]
 وَمِنْهُ النُّورُ وَالْبُشْرَى اسْتَمَدُوا
 فَجَاءَ الْغَارَ إِيْنَانُ وَسَعْدُ
 بِهِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْغَارِ عَهْدُ
 وَأَنْفَسَ شَقْوَةٌ مِنْ ذَاكَ جُرْدُ
 وَأَوَى الْمَصْطَفَى طَيْرُ وَصَلْدُ
 وَنَشَجَ عَنَاكِبُ صَمْدُ وَفَرْدُ
 إِذَا لَمْ يَقْصُدِ الرَّحْمَنَ عَبْدُ
 يُخَافُ الْعَبْدُ، وَالْمَوْلَى يُحْمَدُ
 لَسَرِ اللَّهِ كَيْفَ بِهِ يُمَدُّ
 بِأَصْبُعِهِ لَهُ كَالْبَحْرِ مَدُّ
 لِدَعْوَتِهِ لَهَا: سَعِي وَكَدُ
 سَبَابَهَا مِنْهُ: إِشْرَاقُ وَوَقْدُ

له شهدت بإرسال وبعث
جهاذاً للحبيب أقرَّ جهراً
بذا العقلاء أحرى من سواهم
شهدت بأنه المبعوث رُحماً
عليه وآله أزكى سلام
وقال، كان الله له بمنه:

6

صلوات الله ذي العرش على
نور عيني وروحي والجسد

واصدعي كالفجر في ليل الوبد⁽¹⁾
قلب صب بيشارات جدد
تشرب الأسعاج منها ما اتقد
في شذاها وسناها والمأسد
جوهر الطل بها المولى نضد
ضحكة البرق على نهر رعد^[15]
وأذيعي طيبها فيمن رضد⁽²⁾
حضرة القدس وبالعيش الرغد
للليال زانها أسمى ولد
ستاح بدر في الدياجي يعتمد
وأمانا من عذاب ونكد
وجمال وجلال فانفرد
قبل ورد الخلق طرا فورد
أزلا بين يديه فقعد
كلما خاطبه الله سجد
فجرت منه ينابيع المدد
فجنى زهراً اصطفاً للأبد
خلقوا والأصفيا أهل الرشده

يا ليالي السعد عودي للأبد
وانشري جوهر أفراح على
واملئي كأس أحاديث الصفا
زاوري الأزهار في أفنانها
وافخري بين غصون ميسر
إن بكى يوماً غمام ضحكت
وافتحني أبواب جنات العلى
واقدمي بالروح والريحان من
مال ليالي القدر إلا خدماً
في ربيع الأول ألتاح كما الـ
وأتى للخلق طرا رحمة
جل من أفرده في رتب
جل من أورده عين الصفا
جل من أقعد نور المصطفى
بأذلا لله أنوع الثنا
نظر الله إليه نظيرة
إصطفاه ربه من خلقه
رشح النور؛ فمنه الأنبيا

(1) الوبد: المقاساة والمعاناة والشدة، وقد يطلق على الجو الحار الساكن الريح، وعمل الفجر هنا: أنه من العادة تحرك الريح في وقت الفجر.

(2) الرضد: الاجتماع والتراكم؛ بمعنى: افتحي أبواب جنات العلى، وأذيعي طيبها في الناس المتزاحمة المتراكمة على أبوابها.

وبه آمن كلُّ أزلا
كلهم تحت لواه في غد
يكتسي حُلته من سُندس
للورى تبدو مزاياه إذا
ينتهي أمر الشفاعات له
ينفض الهادي مجيبا للذي
قائلا: إني لها إني لها
ثم ينشي بثناء لائق
فيقال: اشفع تشفع أحمد
وارفع الرأس وأظهر فضلنا
وأئل أمتك الفضل الذي
وأقيم في مقعد الصديق لهم
أمة مرحومة أمة من
من دعاه منهم في شدة
الجان الجادوى شفيع الشفعا
أحمد الجنس كريم متقى
يا رسول الله هب لي نظرة
يا رسول الله ثبت قدمي
فعلي أنست تُنحي رحمة
وعليك الله صلى وعلى

وإليه في المهمات استند [16]
مستطل إذ لهم طه السند
تحت عرش الواحد الفرد الصمد
وفدوا وهو على الله وقد
من أولي العزم إلى المولى الأحد
سأل السائل منه واعتمد
بي للناس يُرجى الملئح
لم يكن يسبق قبلا من أحد
إنك المقبول عندي لا تُرد
إن فضلي غير منهى العدد
أملوا من وعدنا هذا الأحد
عندنا في دار أحبابي الأود
هو في يوم اللقاء أقوى سند
مثل برق منه غوثا قد وجد [17]
صاحب الإحسان يُرضي من قصد
لم يكن يشبهه فينا أحد
كرما تصلح مني ما فسد
في صراط حده يولي الفند
فوق ما أحنى على الشبل الأسد
سأل والصحب وتال بالرشد

7

وقال كان الله له بمنه:

صلى عليك الله يا نور الهدى
مالاح نورك في دجا الأسحار

وبطرفك الأحوى خلعت عذاري
لكن يُشاب إذا بدا بنضار
وبياضه يسمو على البَلار
بدر المحيا تحته كنهار [18]
لما استبان ولم يَقَرَّ قرار
صَبًا؛ فمات من الجلال الساري

من ريقك المعسول طاب خاري
بجيبك النسرين لآح وفاح لي
تَحْمَرُ خدك مخجل ورد الرُبى
وبشغرك الليل الذي لا ينجلي
والقد غصن البان بان تلملي
والعين كخلا كم سقت كأس الجوى

والجيدُ روضُ جامعٍ زهرَ البها
والثغر يزهر كالعقيق بخاتم
أسنانه دُر عليها ريقه
والأنف ذو شَمَمٍ وأقنَى منبعٌ
والوجه بدرٌ كامل لم تحكه
وجه تُواجهه الملائكُ بالرضى
كم أقمه جبريل من رب العلا
جل الذي برأ الحبيب وذاته
للولاه ما برأ الوجود بأسره
سجدت له الأشجار عند دعائه
وعليه سلّمت العوالم كلها
نسّج العناكب والحمام مخيم
تبعوا الخطا حتى انتهت في بابه
فقدوم قطب الأنبياء إمامهم
قد حل داركم الحبيب المصطفى
والوحي ينزل في خلل دياركم
وعليكم الأملاك تنزل دائما
رجع العساكر بالغنيمة في الوغا
يا سيد السادات يا عين الغنا
إعطف على الحلبي واجبر كشره
إن لم أكن جارا بدارك إنني
بك قد عرفت فكيف أنكر في الورى
ما هذه الدنيا وما مقدراتها
وبوجهك استسقى الورى سُحب الغنا
صلى عليك الله يا خير الورى
والآل والأصحاب ما هب الصبا

وقال، كان الله له بمنه:

8

وكذا الرياضُ مجامعُ الأزهار
لكنه مستودع الأنوار
جرى الرقيق على الثنايا جاري
للنور ينظره ذوو الإبصار
شمس ولا قمر من الأقمار
والأنس والأفراح والإكبار
يشفي الغليل بصادق الأخبار
فرد الجمال وواحد المقدار
ذو العرش مولانا الكريم الباري
سبحان من خلّاه للأشجار
حتى الغضا⁽¹⁾ وجنادل الأحجار [19]
والسدر معترض بباب الغار
فعموا عن الأعيان بالآثار
بشراكم يا معشر الأنصار
حيّا وميّتا ياله من دار
جبريل ياتيكم بكل فخار
بالخير والبركات والأسرار
ورجعتم بالمصطفى المختار
يا منقذ الحيران من أخطار
وأجزه من هول ومن أوزار
جارٍ لذكرك رحلتني وقراري
وبك استطالت في الورى أسعاري
حتى أشد لنيلها زناري
أيلم بي يا سيدي إيساري؟! [20]
ما تعبت الأرواح بالأزهار
فتمايل الأغصان بالأشجار

ألا يا مصطفى يا نور عيني
عليك صلاة ربك والسلام

(1) الغضا: كل لطيف لين، إشارة إلى الأشجار.

تغورُ البشر لاح لها ابتسام
تجلست كالعراس في ربيع
وفض ختام خبر عن حبيب
به بدأ الوجود الرب قدما
عروس الملك والملكوت قطب الـ
عن الحرمين والأكوان طرا
وطابت طيبة منه بطيب
يفوح على الحجاز وساكنيه
وجسم محمد في الترب غض
شريق في الثرى منه المحيا
وفي وجناته وزد طري
كأن المصطفى إذ نام فيه
كحيل الطرف لم يبرح بلحد
رشيقي القد معتدلا ومنه
وحبي في الثرى طه كريم
ه ينابيع منه نور في الدياجي
بأرجاء المدينة منه سر
وإن سكر المحب هناك وجدا
وإن يبك الشجي فرحا وشوقا
حبيب قد سقى الآلاف ماء
أظمأ من يواليه بقفر
أظلت الغمامة حيث يمشي
وسبحت الحصى في كف طه
وأنطق ربنا ضبا وذئبا
فريد الحسن ليس له شريك
نعم؛ هو آدمي الجنس لكن
هدية ربنا الهادي إلينا
عطية ربنا خير العطايا:
عليه وآله أزكى سلام
بذلك شكر مولانا علينا
عليه أحمد الحلبي يطوي

وباح لها عن البشري اتسام
وعن مولودها لثم اللثام
به طاب ابتداء واختتام
ومنه به له خلق التمام
عوالم من به انتظم النظام
بجيش ضيائه هزم الظلام
مع الجسد الكريم له مقام
كما فاحت بأزهار إكام [21]
منير ما لنضرتة انفصام
بحرق شوقه مات الكرام
تفوح بما يبوح به الغرام
عروس كالنسيم له المنام
للحظته حياء واحتشام
كغصن بين غصنين القوام
يحييه مدى الأبد السلام
على إضم وكاظمة يشام
له في الصدر من رهب سهام
فدام له من البشري مدام
فلا يلحى بذلك ولا يلام
جری من كفه وبه يعام
فمن صحب الحبيب فما يضام؟ [22]
وعند دعائه سكب الغمام
وفيها سبج الله الطعام
لديه منها محمد الكلام
فما لجمال الأبهى انقسام
على تفريده حكم انفصام
هدى للحق فارتفع الخصام
رسول الله وهو لنا اغتنام
وأصحاب ومن بالحق قاموا
أكيد فيه للعبد المرام
ضلوعا إذ بذوا وجب اهتمام

عليك صلاة ربك يا حبيباً
سبي العشاق منظره البديع [23]

كأن قدومه روض مريع
واقبال الحبيب لنا مضيع
له شرف ومقدار رفيع
له حُسن بدا فيه بديع
لنا والمصطفى زُهر الشفيع
وكل الخلق إذ يأقي الجميع
له من فوقهم ظل وسيع
وفوق البحر من طه الصنيع
ورحمته لتوحيد مشيع
رسالته لنا حصن منيع
وشكوى كل ملهوف سميع
ومنه القلب بالبلوى وجيع
ومن ريق له شبع الرضيع [24]
به وبه له درت ضروع
له وبه لها سميت ضلوع
غدت معمورة ولها ولوع
عليه وذالنا نقل الجموع
فساء هزيمة لهم الرجوع
عُجاب والعدو به صريع
غداة الحرب مُهلكه سريع
بيغلبته به وقى الجميع
إذا ما اشتد بالحرب المُلوع
وفوق الشمس منه بدا النُصوع
لهيئته لنا ظره ركوع
وعند مروره منها خشوع
بلحظته الحياء له طلوع [25]
وطيب الخلد منه له سطوع

ربيع القلب جاء به ربيع
مريع بالسرور وبالتهاني
مُذيع الطيب منه بكل ناد
رفيع الذكر ميلاد التهامي
بديع الصنع أبرزة أمانا
شفيع الرسل والأملاك طه
جميع المفلحين لواء طه
وسيع الباع أحمد في العطايا
صنيع الله: بعثته إلينا
مشيع الخير فينا خير هاد
منيع الجار حافظ كل عهد
سميع دعاء لهفان ينادي
وجيع الجسم أبرأه يريق
رضيع الظبية استجدى حليبا
ضروع الشاء فاضت بعد يبس
ضلوع المؤمنين بحب طه
ولوع الصلْد بالتسليم جهرا
جموع الكافرين رمى ببدر
رجوع العذل سيفاً طول دهر
صريع غورث من طعن طه
سريع الغوث كان وقد تصدى
جميع الصخب بالمختار لا ذوا
هلوع العقل لم يطعم هُداة
نُصوع جبينه كالشمس حسنا
ركوع الكائنات له رؤينا
خُشوع الطرف والأركان طه
طلوع الفجر من شفّيته دأباً

سطوع الطيب منه على طريق
ربوع مدينة الهادي استنارت
خضوع العاشقين بها جدير
لذيع القلب ذا الحلبي دهر
ولوع بالسلام عليه دهر
وقال، كان الله له بمنه:

10

صلوات الله ذي العرش على
من له وجه كشمس وقمر

لذوي الإيمان يزهو كالزهر
للورى تُجنى بسمع وبصر
ثمُر البشرى على كل البشر
ليل كفر كافرا من قد كفر [26]
زائر مثل نسيم في السحر
جوهراً الأفراح في الفكر انتثر
في جمال وجلال وخفر
عين أعيان الوجود المعتبر
فغدت مرفوعة فوق الصور
من سناها الزاهر الزاهي الأثر
والوفا والجود مشهود الفخر
عند ذي العرش وجن وبشر
لا ولا أذن تحلت بخبر
كبهاه ما على قلب خطر
ناظر إلا وأضحى ذا خطر
ذاته في حجب القهر ستر
ناظرا ما فيه من سر العبر⁽³⁾
كيف يُدري حسن طه بالنظر؟ [27]
قبلة الأفلاك بالوحي الأغر

بَرَقُ⁽¹⁾ أنس في ربيع قد زهر
خلته روض ثمار أينعت
قد تدلت فوق أغصان الهنا
وبدا فجر سرور صادعا
سافرا عن بدر تم زاهر
مذ تجلى في ربيع حسنه
جل من أنشأه منفردا
منشأً للحسن سلطان⁽²⁾ البها
كل حُسن ألبست صورته
تستمد الأصفيا والأنبيا
الحبيب المصطفى بحر الصفا
خير محبوب بأرض وسما
مثله والله عين ما رأت
لا ولا مثل محياه الذي
لم يُرد تحقيق سيما وجهه
عينه في عين ذي العرش الذي
نظر الله إليه قاهر
أحمد ناظره منظوره
قدوة الأرسال تاج الأنبيا

(1) في النسخة (ب): زهر أنس.

(2) في النسخة (ب) مالك الملك وسلطان البها.

(3) هذا البيت غير موجود في (أ).

منطقُ الأكوان عند الملتقى
 سَلَّمْتُ جَهراً عليه ظَبْيِيَّة
 سَبَّحَ اللهُ طَعَامُ، مِثْلَ مَا
 وَإِلَيْهِ بِسُجُودٍ قَدْ سَعَتْ
 وَلَهُ إِيوَانٌ كَسَرَى انْشَقَّ مِنْ
 ذَاتِهِ كَنْزُ النِّبَوَّاتِ الَّتِي
 كُلُّ حُسْنٍ وَجْهَالٍ جَمَعَتْ
 رَبَّنَا أَغْنَاهُ عَنْ كُلِّ الْوَرَى
 ثَغْرُهُ الْأَحْلَى تَرَاهُ بِأَسْمَا
 وَمَتَى يَفْتَحُهُ يَنْتَحِ جَنَّة
 رَيْقُهُ كَوُثْرُهَا يُجْرِي عَلَى
 وَرْدُهَا وَجَنَّتْ أَغْصَانُهَا
 بَدْرُهَا الْمَأْنُوسُ تَأْبَى غَيْرَهُ
 شَمْسُهَا لَا غَيْرَ وَجْهَ الْمُصْطَفَى
 طَيْبُهَا مِنْ رُشْحِهِ مُسْتَوْهَبٌ
 ذُقْنَهُ رِيحَانُهَا عَنْبَرُهَا
 إِعْذِرِ الْهَائِمَ فِيهِ لَوَعَةٌ
 كَيْفَ يَنْغِي الصَّبْرَ عَنْهُ عَاقِلٌ
 أَيُّطِيقُ الصَّبْرَ قَلْبُ الْحَلْبِيِّ
 نَاءٌ عَنْ دَارِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى
 يَذْكُرُ الْمُخْتَارَ فِي أَحْيَانِهِ
 صَلَوَاتُ اللهِ تَغْشَى قَبْرَهُ
 وَعَلَى آلٍ وَصَحْبٍ كُلِّهَا

من وحوش وحشيش ومدار
 وبعيرٌ جاء يشكو من ضرر
 سَبَّحْتُ فِي كَفِّهِ صُفْرُ الْحَجَرِ
 تَبْتَغِي مَرْضَاتَهُ دَوْحُ الشَّجَرِ
 هَيْبَةٌ جَلَّتْ كَمَا انْشَقَّ الْقَمَرِ
 كُلُّ نُورٍ مِنْ سَنَاها قَدْ ظَهَرَ
 وَإِلَيْهَا صَاحِبُ الْحَسَنِ افْتَقَرَ
 وَإِلَى أَمْدَاهُ الْكُلَّ افْتَقَرَ⁽¹⁾
 قَلْبُ رَائِيهِ مِنَ اللَّطْفِ انْفَطَرَ
 يَجِدُ الرَّاحَةَ مِنْهُ مَنْ حَضَرَ
 جَوْهَرُ الْأَسْنَانِ يُبْرِي ذَا ضَرَرٍ
 قَدْهُ الْمَيَّاسُ لَيْسَ إِنْ خَطَرَ
 لَمْ يَكُنْ بَادِرٌ سِوَاهُ يُتَنَظَّرُ [28]
 فِي نَوَاحِيهَا لَهُ النُّورُ انْتَشَرَ
 كُلُّ طَيْبٍ مِنْ شَذَى طَهْ اشْتَهَرَ
 كُلُّ مَنْ شَمَّ شَذَاها مَا اصْطَبَرَ
 وَغَرَامًا، ذُو ذِكَاةٍ مِنْ عَذَرٍ
 جَذَعُ نَخْلٍ عَنْهُ يَوْمًا مَا صَبَرَ؟!
 الَّذِي يَبْكِي مِنَ الْعَيْنِ الْمَطَرِ
 فَأَنَابَ الْمَدْحَ عَنْ رُؤْيَا الْبَصَرِ
 ذَكَرَ مُحِبُّوبٍ لَصَبٍّ مَعْتَبَرٍ
 مَا بَدَأَ لَيْلٍ وَمَا الْفَجْرُ انْفَجَرَ
 طَافَ بِالْبَيْتِ حَجِيجٌ وَاعْتَمَرَ

11

وقال، كان الله له بمنه:

صلى عليك الله جل جلاله
 ما صحَّ للعشاق فيك وداؤُ [29]

لهواك إذ هو للحشائشة زاد
 فتوارثت من حسنه الأعداد

قلبي بأرسان الغرام يُقاد
 يا من على عرش الجمال قد استوى

(1) زيادة من النسخة (ب).

في العالمين وقد تجلّى بالبهى
ما قبله الإيجاد إلا ذاته
من مبتدا الإيجاد حتى المنتهى
سعدَ الوجودُ ومن به بوجوده
عن وجهه الأقمارُ تَروى بهجةً
عن راحتيه تفتّت زهرُ الرُّبا
والمسكُ عن رُشح له يروي الشذا
والوجهُ بذرّ التم إلا أنه
وجيبه كالفجر تحت عقاصه⁽¹⁾
نامت له العينان حاشى قلبه
وبخده النسرين عانق ورده
وقوافه النبويّ فيه لناظر
صاد الضمائر والقلوب حياؤه
لله ما أحلى حلاوة طرّفه
وبكفه نبع الزلال لوارد
ويسر تلك الكف سبّحت الحصا
وعُد الحبيبُ برؤية صمّدية
فهُنا تحمّل قلبه من سره
ولقد سرى من غير وعد للقا
لم يُلف من ملك ولا من مُرسل
خالاه في سر وأبهم وحيه
ما مثل أحمد من صفى في العلى
قف أحمد الحلبى في أبوابه
وبمدحه استمطر سحاب نعمة
واقصّد أجل العالمين تفضّلا
سلى عاصيك الله ما فاح الشذا
والآل والأصحاب والأتباع من

دانست لك الأرواح والأجساد
لما توجه للورى الإيجاد
منه لأنواع الورى الإمداد
فوجودُ أحمد للوجود ممداد
والشمسُ منه زانها استمداد
عند اللقاح وأورقت أعواد
وكذاك يروي الطيب عنه زياد
شغف البصائر نورُه الوقاد
ما لازدهاء النور منه نفاذ
لم يلم القلب الشريف رقاد
هل في الخدود مثال ذا يُعتاد؟ [30]
غصنُ بزهر ملاحه مياذ
هل في العيون يرى لنا صياد؟
يحيى النفوس بياضه وسواد
وبه تروت في الفلا الأجناد
في ذاك للواهي الحجا إرشاد
في قاب قوسين ازدها الميعاد
ما ليس يحمل بعضه الأطواد
صدفُ العناية ما لها مرصاد
إلا مريدا، والحبيب مُراد
كي لا يكون هناله أنداد
وعلى الأعظم خصه الأفراد
يقبل عليك الفتحة والإسعاد
فيه يُزاح عن الورى الأنكاد [31]
من فضله ما خابت القُصاد
من طيبة تحيى به الوراد
جادوا بحُب المصطفى فأجادوا

(1) المقاص: صفات الشعر.

وقال، كان الله له بمنه :

12

عليك صلاة ربك يا حبيبا
نرى للسوائه ظلا مديدا

وأزهى وجهك البصر الحديدا
ولكن بالعواصف لن يميدا
فقدك قد أعاد لها القدودا
بحمرة حرقه منه الخدودا
بعين وقاره الية ظان جيذا
بلوئي بهجة يسبي البليدا
تعاينه ترى فجرا جديدا [32]
تذكر ناظرا برق عتيذا
رحيق رخصابه يلقي برودا
محبك قتلة فهو شهيدا⁽¹⁾
فتور اللحظ منك سبب الأسودا
يسل على العيوب فاسن تعودا
فلم تطلق العيون لها شهودا
فلم نر في الصادور له عديدا
بكافور غدا خطا فريدا
يُحال، أو الجهان ولن يبيدا
تفيد الخلق إحسانا وجودا
يسر القلب أو يضحي مفيدا
له يبقى المصافح مستفيدا
فروث عند فقد الما جنودا [33]
وإغناء لمن أمسى فقودا
فقير منهما يجني القصودا
ولين كم هدى قلبا شرودا
بسطهما وقد سأل المجيدا
بحشر، إذ يطيل به السجودا
شفيعا عند مولاه حميدا

جمالك فتت القلب الجليدا
قوامك غصن بان قد تشي
إذا هز القدود غصون زهر
وخدك إن رآه السورد أدمي
وعقرب صدغك الريحان يحمي
كأن الجسد تبر في جمان
تراه ساطعا أبدا متى ما
بمسبك المبروق أصبح أنس
مفلج سنك المصروف نظما
بعينيك الخلاوة كم أذاقت
حياؤك كم أزال له حياة
كأن جبينك البراق سيف
بجهتك الجلالة من جليل
لصدرك خط مسربة دقيق
تذكر ناظرا حبات مسك
مُعكّن بطنه ذهب سبيك
أصابع كفه قطن الجان در
وفي كفيه ما في الخلد مما
فني كفيه طيب ليس يبل
ومن كف له نبعث عيون
ومن كفيه أشفية وبرؤ
ومن كفيه روض ندى خصيب
ومن كفيه ديباج نضير
ومن كفيه وافي كل خير
ومن كفيه فوز الخلق طرا
وينهض تحت عرش الله طه

(1) هذا الشطر غير واضح في الأصل، إذ هو: مقبك قتلة فخرى شهيدا، فجبرناه بها ذكر. مصحح

ومن كفيه كفُّ الله عنا
ومن كفيه يُسقيننا رحيقا
ومن كفيه يومٌ فيه دفعٌ
ومن كفيه كافينا كفانا
ومن كفيه يملأ كلَّ كف
ومن كفيه للبلوي وقاء
ومن كفيه وافى كلَّ جود
ومن كفيه للحلبي فضل
فأحمد لم يدع والله جارا
حبیب ليس تُنْقِضُهُ العطايا
عليه وآله أزكى صلاة

وقال، كان الله له بمنه:

13

عليك زواهر الصلوات يا من
به الأملاك والرسل استناروا

كأن هواكم نورٌ ونارٌ
بكم قد طاب لي فيها القرار
بحبكم، وما في ذاك عار
أنا الداني وإن شط المزار
ذكرتكم لأجفاني انهمار
فهل لكسيركم يُرجى انجبار؟ [35]
فكيف له بكم يبقى انكسار؟
فكم للأكرمين يُجار جارٌ
له من ذي الجلال سما الفخار
فريدا في السماء له ائتمار
عليه في السما كانت تُدار
كما يُبدى على الأمننا السرار
أياديته، ومنه بدا الوقار
فليس لغائب عنه استتار
وحقته الملائكة الكبار
فليألها به أبدا نهار

عَرِيبَ الحَي بي منكم أوار
فلي من ناركم جنات عدن
أنا العبد المسنعم في عذاب
بكم منكم دنوت إلى لقاءكم
بذكركم معي أنتم إذا ما
وأنتم سادتي نعم الموال
إذا انكسر العُبد لسوء حظ
بكم عز الدليل وجل قدرا
ولم يُخِمِ الذمّار سوى حبیب
وقرّبه وآواه إليه
كووس الإصطفا والحب جهرا
إله الملكوت قد أبدى الخفايا
م جاءته الملائكة لاثبات
إله جهرا تجلى كل شيء
ه ان عروس مملكة عيانا
أنباء الملك والملكوت طه

لَمَسَمِهِ جَمَالٌ جَلُّ نَوْرًا
تَجَلَّيْتُ مِنْ مُحْيَاهُ شَمُوسُ
وَمُدَّ الْحُورُ مِنْهُ بِكُلِّ حُسْنٍ
فَلَيْسَ سِبَائِكَ الْإِبْرِيْزُ تَحْكِي
بِفِيهِ الْجَوْهَرُ الْمَكْنُونُ يَزْهَوُ
فَمَنْ يَرَهُ يَغْبُ أَنْسَا وَوَجَدَا
فَلَمْ تُطَقِّقِ الْوَرَى نَظْمًا إِلَيْهِ
فَكَيْفَ تَرَى الْوَرَى وَجْهًا وَجِيهَا
تَبَارَكَ مَنْ كَمَاهُ رَدَاءُ سَرٍّ
عَلَيْهِ وَآلَهُ التَّسْلِيمُ مَا قَدَّ

وقال، كان الله له بمنه:

14

إِذَا ابْتَسَمَ اسْتَنَارَ بِهِ الْجَادِرُ
بِهَا الْأَبْصَارُ مِنْ وَهَجِ نَحَارٍ
كَمَا مَدَّتْ جَدَاوِلُهَا الْبَحَارُ [36]
مَجْدُودَةٌ إِذَا انْكَشَفَ الْإِزَارُ
كَمَا يَزْهَوُ عَلَى النَّحْرِ النَّضَارُ
كَأَنَّ سَنَاهُ لِلرَّائِي عُقَارُ
فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَى النَّظَرِ اقْتِدَارُ
بِنَظَرَةِ ذِي الْجَلَالِ غَدَا يَزَارُ؟
بِدِيْعِ مَا لَهِيَّتِهِ انْحِصَارُ
بِدَا لُضْيَائِهِ الْأَزْهَى انْتِشَارُ

عليك صلاة ربك يا حبيباً
جنى من ربه زهر المواهب

مَدَا الْأَنْفَاسُ يَا نِعَمَ الْحَبَائِبِ
وَوَجَدِي فِي هَوَاكُمُ غَيْرُ ذَاهِبِ
لَهُ نَثْرُ كَأَنْثَارِ السَّحَابِ [37]
كَأَنِّي بِالْهَوَى ثَمَلْتُ وَشَارِبِ
وَأَنْفَاسُ الْحَبِيبِ لَهَا جَوَاذِبِ
لَهِيَّتِهِ وَأَنْفُسُهَا دَوَائِبِ
فَتَخَجَّلُ مِنْ إِنْآرَتِهِ الْكَوَاكِبِ
جَمَالُ خَطَابِ مَوْلَانَا الْمُخَاطِبِ
وَسَيِّدِهَا لَدَى أَسْمَى الْمَوَاكِبِ
وَمَرْقَاهَا إِذَا تَرَقَّى الْمَنَاصِبِ
لَهُ سَنَدٌ وَمِنْهُ السَّرَّ كَاسِبِ
وَعَنهُ فِي الْوَرَى قَدْ كَانَ نَائِبِ
رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ الْمُنَاقِبِ
وَفِي الْجُلَاسِ مَرْفُوعُ الْمَنَاقِبِ
كَحِيلِ الطَّرْفِ مَعْسُولُ الْمَنَاقِبِ
مِنَ الْإِبْرِيْزِ، مَعْقُوضُ الذَّوَابِ [38]
كَأَنَّ التَّيْبَرَ فِي خَدَيْهِ ذَائِبِ

طَوَالِغَ وَصَالِكُمْ قَلْبِي يَر_اقِبُ
غَرَامِي لَمْ يَزَلْ فِيكُمْ جَدِيدَا
وَدَمْعِي جَوْهَرٌ فِي صَحْنِ خَدِي
أَمِيلُ إِذَا ذَكَرْتُ بِدَوْرَ نَجْدِ
بِذَاتِ الشَّيْخِ كَمْ ضَرَعْتُ نَفُوسَ
تَشِيرُ إِلَيْهِ رَمَزَا بِانْخِفَاضِ
وَتَشْهَدُ نَوْرَهُ النَّبَوِيَّ يَبْدُو
سَرَى مِنْ رُوحِهِ فِي كُلِّ رُوحِ
وَكَانَ عُرُوسَ أَرْوَاحِ الْبَرَايَا
وَمَضْعَدَهَا إِذَا صَعِدَتْ لِمَجْدِ
وَمَا مِنْ مَرَسَلٍ إِلَّا إِلَيْهِ
وَأَمِنْ بِالَّذِي قَدْ جَاءَ طَهْ
إِمَامُ الْأَنْبِيَا طَهْ الْمُحَابِبَا
إِذَا مَاشَى الطَّوِيلَ يَطْوِلُ جَهْرَا
لَطِيفُ الثَّغْرِ بِرَاقِ الثَّنَايَا
أَسِيلُ الْخَدِّ، مِنْهُ الْجَمِيدُ أَزْهَى
بِحُمْرَةِ خَدِّهِ لَوْنُ شَرِيقِ

فلاخ على المشارق والمغارب
على نور السما والأرض غالب
إذا ابتسم الحبيب سليل غالب
كذلك ريقه حلو المشارب
فتفعل في النهى فعل القواضب
يفسوح بهار وائحه الأطايب
يلوح له الضياء بكل جانب
ونور منهما ما كان غائب
كفتهم كفه بحر المواهب
تبين له المزايا والمناقب
ينال به المقاصد والمطالب
لنا عند الشدائد والنوائب [39]
قليل الحظ محروم المآرب
تحرك من محبك الجوانب
وعترتك الكرام وكل صاحب

على البدر احتوى منه المحيا
فيا لله وجهه منه نور
ضياء الأئس ينبع من سنائه
وفي فمه الشفا من كل داء
وقاهته تعير الغصن ميلا
ومسره وطيبه في السبيل باق
مكشاة إذا مشى عند الدياجي
أنباء ظواهر الكونين طرا
وفي السدارين أمته جميعا
ويوم العرض في الكبراء طرا
وما من مرسل في الحشر إلا
فلم يك مثله غوث شفيع
رسول الله؛ ما الحلبي يلفي
فلي في مدحك العالي معان
عليك عواطر الصلوات تترا

15

وقال، كان الله له بمنه:

صلوات الله ذي العرش على
من له نور بنجد كالعماد

ما من العين بياض في سواد
روح والأعضاء إلى يوم التناد
بصري والسمع من غير نفاذ
ليت كلي عندكم؛ فهو المراد
أو قعود أو قيام أو رقاد
وعذابي في جفاكم والبعد
إنني عبدكم طوع القياد [40]
منكم الإحسان يرجى للعباد
سيد الكونين ينبوع الرشاد
كنز سر الواحد الفرد الجواد
وصفها في الذكر مولانا أفاد
عن شريك أو مدان أو عداد

أنتم في القلب يا أهل الوداد
أنتم مني سلكتم مسلك الرز
أنتم قرة عيني، أنتم
عندكم روعي وعندي جسدي
وأنيسي طيفكم في يقظة
قربكم سؤلي وأقصى أملي
قسما يا أهل نجد بكم
واقف بالباب أستجديكم
واقف في باب طه المصطفى
درة الأكوان قطب الأنبيا
واحد الأحاد في أخلاقه
نزة الله جمال المصطفى

كلما لاحت بوجه المصطفى
وإذا سُرَّ استتارت جبهة
انظر الشمس وقد ردت له
صح عن ذي العرش من جرّائه
وأمد الخلق من أنواره
وبذات الله أضحى ناهضاً
غازياً عبّاداً أصنام طغوا
رد من قد فاز عن كفرانه
وسطا بالرُعب شهراً حيثما
لم يزل محتملاً أهل الأذى
كانت الأملاك تمّني خلفه
سلم الضب عليه جهرة
وبعير عند مرّاه انحنى
وإليه جذع نخل حنّ من
وعليه شجر قد أقبلت
وزلال سال من راحته
كان تسبيح الحصى في كفه
كل شيء أن رآه ساجد
حبه زاد العبيد الحلبي
صلوات طيّبات أبدا
وعلى عترته أهل الصفا

شمسٍ بَشِيرٍ أطلعت أنسا يرا
منه تُحيي قلب راء باتقاد
قرصها بعد غروب كيف عاد
بدأ الله البرايا وأعاد
ثم لم ينقص له ذاك المِداد
ماضي العزم بجهد واجتهاد
وسعوا إذ ذاك في الأرض الفساد
وفرى بالسيف أرباب العناد [41]
سار ركباً إلى كل البلاد
قائماً فيهم بحسن الاعتداد
حاميات ظهره في كل ناد
مثل تسليم فصيح باعتياد
بسجود في خضوع وانقياد
شوقه للمصطفى عند افتقاد
كاتبات في الثرى خطّ اعتياد
فائضاً ينبوعه مثل العباد
عجبا من نوره عند اتقاد
سجدة الشكر للقي خير هاد
إن حُب المصطفى أكبر زاد
لشراه كعبير وزباد
وعلى أصحابه أهل الرّشاد [42]

16

وقال، كان الله له بمنه:

عليك نوامي الصلوات يا من
له حُبُّ بأصل القلب ثابت

وما هو من صميم القلب قالت
على أصل الصفا والود ثابت؟!
جلالا، واللسان لذاك صامت
فأنطق للغنا الطير السواكت
كأن غناءه في القلب ناكث

ودأذك سيدي في القلب نابث
أيفلت حُب صَب من فؤاد
بذات الضال ضل عُقيل صَب
وفاح البان في نجد صباحا
إذا القمر غنى فوق بان

وإن لاحت قبابُ قِبابٍ لَصَب
وإن فجأ المدينة نور طه
وإن خفقت بنود النور ليلا
جمال محمد لو لاح يوما
إذا نعت الإله جمال طه
حبیبٌ قد جرى منه زلالٌ
قويُّ الأقويا في يوم حرب
إذا جلس الصحابة في انخفاض
حبیبٌ رشحه طيبٌ ذكيٌ
وغير الله من صنم ورجس
فكانت مكة للشرك دارا
قد احتمل الأذى منهم دهورا
رسول الله حقق لي رجائي
رجوتك سيدي في كل حال
بعطفك جُذ على صَبٍّ غريب
فثبتني بحقك كل حين
عليك وآلِكَ التسليم دهرًا
وعاماني بعطفك يا ملاذي

به الخفقان نحو الموت واهت
تسلى مصبحٌ فيها وبايت
على إضم؛ ترى اليقظان خافت
على حجر لأسكته المباهت
فليس وراء نعت الله ناعت [43]
بيوم في الفلا للصحب آبت
فكَمْ بطل بطعنٍ كان كافت⁽¹⁾
وكل منهم كالحوت ناصت
فكم أبداه بالكفين سالت
قلي طفلا وكان لذاك ماقت
وأحمدُ عابدٌ فيها وقازت
ومكّن سيفه من كل شامت
فإن الخوف قلبي الدهر ناجت
فما خير لمن يرجوك فانت
ينوح مع النوى نوح الفواخت⁽²⁾
لأخسر في القيام مع الثوابت
أولي الإنشاء من أركى المنابت
كما عاملت حسان بن ثابت [44]

17

قال، كان الله له بمنه:

صلى عليك الله يا من ريجته
من كل طيب في المحافل أطيّب

يا شمس حُسنٍ في الحشا لا يغرُب
نعم الحبيب على القلوب مُغلَّب
أتى لها من بعد نورك غيّه؟⁽³⁾
وبكف معنى حُسْنِهِ تقلب
حُب السوى وإلى وداد تجذب
فعذابها بهوى جمالك يعذب

كلُّ الشمس عدا جمالك تُحجِب
أشرفت في كل القلوب وأنت يا
وبك القلوب لها نهار دائم
يا مَنْ قلوبُ العاشقين بكفه
لو كنت تطردّها لما انقلبَت إلى
ومن العجائب أن تعذب بالهوى

(2) ج: فاخنة: وهي ضرب من الحمام المطوق.

(1) أي: دافع وقاتل.

(3) الغيّه: الضعف، والمقصود: الظلام والذبول.

يا من أناخت في رياض وداده
والصبرُ عنه قد عصانا لوعةً
وإذا ذكرنا حسنه وجمالَه
ويكاد يحترق الفؤاد بذكره
العبدُ عبدك ما تشاء افعلْ به
والله ما للصبِّ عنك تحوُّلٌ
يا سيدي إني ببابك مُقَعَّد
يا مالكي أنا ملِكُ حُبك دائِمًا
يا راحمي إني فقيرُك سائلٌ
يا مُنِّيَّي ها شيتي عَفْرُتها
يا جابري اجبرُ كسر قلبي إنني
يا مُسمعا قلبي لذيد خطابهِ
يا شافعي يا نافعي يا مانعي
أنت الحبيب المصطفى بحرُ الوفا
أنت الملاذ لكل عبد حائرٍ
أنت المفيض من الأصابع مَنَهلاً
روى جيوشا ليس تُحصى كثرةُ
شربوا زلالاً أصله من ذاته
لقتادة قدر دَ عينا بعد ما
ويد ابن عَفْرار دَها، عادت كما
لعكاشة قد هز جذلاً فاغتدى
كم معجز للمصطفى بهر الورى
أخلاقه: القرآن كان به مدى
تُخلق الحبيبُ مهذباً من ربه
جل الذي منَح الحبيبَ شِئانلاً
ما مَوْهَبُ الهادي كمَوْهَب غيره
سَيِّينُ أفراد الحبيب بفضله
يا سيد السادات إني مُذنب
كن لي وأولادي شفيعاً ناصراً
صلى عليك الله يا علَم الهدى

أروا حُنا وإلى جمَاه تهرُب
وإليه في كل الأحيان نرغب
نبكي على أسف الفوات وننحُبُ
والجفن جمرًا في المحاجر يُسكب [45]
في كل حال أنت نِعَمَ المطلب
وبحب غيرك ما لَصَبَّك مأرب
عن بابك المفتوح لا أتقلب
مني إراداتي لأمرِك أسلُب
منك الأمان والمقاصد أطلب
بشارك، يا من فيه نفسٌ توهب
حلفُ الهوان، علي ضاق المذهب
سِراء، وروحي بالمعاني يُطرب
من كل ما أخشى وما يترتب
سرُ الصفا إحسانه المترقَّب
عن عاجز عند الردى لا تنكُب
من ذاتك الزهراء لا يُستغرب
ومن البهائم لا تُعد وتحسبُ [46]
أحياهمُ الله ذاك المشرب
سالت، وهذا في الخوارق أعجبُ
كانت، وقد قُطعت وهذا أغرب
سيفا عظيم المتن فيه المأرب
عن حصره عَجَز اللبيب الأنجب
أمد الحياة لربه يتأدب
أي امرئ مثل الحبيب مهذب؟
ومحاسننا لسواه ما إن توهب
من أنبياء ومرسلين تقرّبوا
يوم اللقا للعالمين الموكبُ
ولقد قرأت حديث: "لو لم تُذنبوا"
فلغيرك الحلبي ما إن يُنسبُ
والآل والصحب الذين تهذبوا [47]

وقال، كان الله له بمنه:

18

صلاة الله والأمالك طُرا على خير الورى محيي المكارم

تبارك من أطاب بك المعالم
وأودع فيك الطاف المعاني
كنوز الفضل فيك لها اجتاع
لك التصريف في منع ومنح
فتمنع من تشاء بمحض عدل
قسمت الفضل بين أولي المعالي
ودادك بالقلوب له احتواء
فسطر جمال يوشف لم يكن من
ولكن ذاك من حسن البرايا
فلم يخلو له الرحمن ندا
شمائله أرق من الصبا، إذ
لطيف الشجر برأق الثنايا
مفلج سنده دُر شهي
وما أحلى وما أزهى وأبهى
إذا يوماً تمشى قال راء:
إذا يمشي تقلع في خطاه
وفي الجلاس يعلو الكتف منه
دواما هكذا يمتاز طه
له وجه تغار الشمس منه
وبدر التّم يُمسي مثل فرخ
ويذهب أنسه في أنس طه
عن الجهتين كان له ضياء
ولم يبرح إلى يوم التنادي
إمام المرسلين أجل هاد
على إرشاد أمته حريص

وأخدمك السرائر والعوالم
وأسرار العلوم لكل عالم
لذلك منك تلتَمَسُ الغنائم
وأنت مُحكَّم في حل حاكم
وتُعطي من تشاء وأنت قاسم
ولكن أنت ما لك من مقاسم
وملك جمالك النبوي دائم
جمالك، حسنك التفريد لازم
وذا التنبية للتشريك حاسم
شريكا في المحاسن والمكارم [48]
يجر نسيمه أذيال قادم
وسيم متقى حلو المباسم
وكوثر ريقه في ذاك حائم
صباح جبينه والشعر فاحم
جمال الغصن بالمختار قائم
وقد طال الطويل إذا يزاجم
يطول على المجالس والمكالم
بأنوار الرسالة في الأعظام
وتدخل خجلة خلف الغنائم
إذا يلقاه مقصوص المقام
رسول الله مصباح الأكارم
يضيء على المنازل والمراسم
على اللّمعان في سَلْع⁽¹⁾ مُلازم [49]
لجملة أنبياء الله خاتم
رؤوف محسن لهم وراحم

(1) موضع قريب من المدينة المنورة.

محاليل الضلال بسيف حق
سمى الإسلام في أفق السعالي
شديد العزم في حرب الأعادي
أمية حين وافاه بطعن
فقال: إليكم عنسي فإني
فلو بصق النبي عليّ يوما
وغورث جاء يخدع خير خلق
وقال: فمن يقيك اليوم مني؟
فبعد مقالته يبست يده
وقد قبض النبي السيف أيضا
فقال له: فخذي خير أخذ
عفا عنه رسول الله فورا
وكاراهه بعفو واحتمل
فكم نصر المحب وكم شفا من
وكم ذنب محاه أجل ماح
فجاءه المصطفى أملي وذخري
عليه وآله أزكى سلامي
وقال، كان الله له بمنه:

19

عليك عواطر الصلوات يا من
له حب بقلبي لا يغيب

يُقَدُّ بحزمه عُشْقُ المظالم
وأنف الكفر بالمشترار غم
ومن ضاهاه يوما في العزائم؟
فقليل له: تسلّ فأنت سالم
أموت وليس لي من ذلك عاصم
قُتِلْتُ؛ فليس للهادي مقاوم
فسلّ السيف منه وهو نائم
فقال: الله قيوّم العوالم!
وطاح السيف ممن كان ظالم
وقال له: اصطبر لأجل حازم
فإنك خير أخذ من يسالم [50]
فأحمد خير من يحمي المحارم
ومن كمحمد الهادي يكارم؟
عليل للشفا قد كان عادم
أبالحلببيّ تستولي المآثم؟
سُتْجِنِي غداً بمن كل قاصم
وأصحاب وأتباع أكارم

له كل البها هذا الحبيب
وأطلق عِبرتي هذا الحبيب
وحرك لوعتي هذا الحبيب [51]
وتيمم مُهجتي هذا الحبيب
وفرّح مقلتي هذا الحبيب
وجدد صَبوتي هذا الحبيب
وزاد تهكّي هذا الحبيب
وفرّغها له هذا الحبيب
بحُب جمالِه هذا الحبيب
بعُظْم جلالِه هذا الحبيب

حبيب ليس يشبهه حبيب
وقد جهر شوقي في فؤادي
وهيجني وقد أفنى اصطباري
وأضناني جوّ وأذاب جسمي
وأحرمني الكرى شغفا وحباً
وطوقني الهوى كلّفا وجداً
وأخلعني العذار فتت شطحا
لقد ملك القلوب ومالكها
لقد شجن الضمائر والسجايا
لقد قهر العيون فلا تراه

وأرعد كل من يلقاه رعباً
وأحصى من يراه بروح أنس
ه أنجلى وجهه شمساً وبدراً
ه ردة الشمس إذ غربت فآبست
ه شفق السدر نصفين امتثالاً
ه عين قتادة قد رد فوراً
ومن بين الأصابع خير عذب
وكم بير بها ملح أجاج
وكم جمع الإله به قلوباً
وكم قد سلّمت شجر عليه
وجذع النخل حنّ وأن جهراً
جبال ثمامة قد راودته
وكم وافى الأمين ربوع سلع
وكم ملك مدى الساعات يهدي
وكم طيب يفوح بأرض نجد
وكم فضّل من الرحمن ياتي
وكم عاف دعا صفر الأيادي
وكم سقم شفى بالريق فوراً
وكم قد أمّته مثلي فقير
وكم أهدى له الحلبي مذحاً
وكم أعطى وكم أرضى محباً
يقيني فيه: أني سوف أنجو
وأدخل مدخل السعداء فضلاً
عليه وآله والصخب مني
وقال، كان الله له بمنّة:

20

بهيبة سرّه هذا الحبيب
وطهر قلبه هذا الحبيب
وفجراً ساطعاً هذا الحبيب
إلى أن ردها هذا الحبيب
بنا من أجله هذا الحبيب
بأحسن رده هذا الحبيب
أسال لصحبه هذا الحبيب [52]
أطاب زلاتها هذا الحبيب
فاللف بينها هذا الحبيب
فرد سلامها هذا الحبيب
فأسرع جبره هذا الحبيب
بأن يحظى بها هذا الحبيب
وغاية سؤله هذا الحبيب
لطيفة، قصده هذا الحبيب
فيرسل نشره هذا الحبيب
فيقسم لنا هذا الحبيب
فأورثه الغنا هذا الحبيب
وأبرأ علّة هذا الحبيب
فأذهب فقره هذا الحبيب
فأحسن برّه هذا الحبيب [53]
وأجزل نسيله هذا الحبيب
ويشفع لي غداً هذا الحبيب
ويحسن جوارتي هذا الحبيب
سلام وزده هذا الحبيب

صلوات الله ذي العرش على
من تدلى في المعالي ودنا

فربكم والله لي نغم المنى
زهر بانات النقا والمتحنا
عن ثغور باسمات علنا

يا عريب الحي من وادي منى
خبروني كيف قد بل النداء
وبذات الشيخ كيف ابتسمت

والأراك اعنتاد نشرًا فائخًا
 أعذروا ركبًا بكى من طرب
 قدح الشوق بهم نار الجوى
 ليس للعشاق عذر إن رأوا
 وعليهم طيبة بث الشذا
 يبهت النظر إشراف الحما
 روضة لله ما أكرمها
 وعلى العرش به قد فخرت
 اقتنت جسم الحبيب المصطفى
 غص جسم فاق وردنا عما
 وعليه كل صبح ومسا
 جسمه باق على خلقته
 لم يزل يذرًا وشمسًا مشرقا
 وله الأنوار تزهو دائما
 سيدي ما مثله من سيد
 أظهر الحق وأخفى باطلا
 وبأخبار السثنائي والألى
 لم يدعنا أبدا في غيرة
 استظل المصطفى في سدره
 وبعير جاء طه شاكيا
 رفع المختار عنه ضره
 لجميع الخلق طه المصطفى
 نخبة الكونين ينبوع الهدى
 مطلع البشرى ومعراج النهى
 تاج رأس الأنبياء والأصفيا
 نعممة الله لنا رحمته
 ولنا خير الهدايا أحمد
 خيرة الله صفي الأصفيا
 وإلى جنات عدن قادننا
 وإلى الله دعانا جملته
 سنرى الله بجنات العلى
 بكرامات شهود واصطفا

ما أخيل زهره والفنا
 أن رأى نورا بسجد وسنا
 منعوا الجفن لذلك الوسنا [54]
 لأجل المرسلين الموطنا
 محرسا للقادمين الألسنا
 مثل ما يبهت بحر من دنا
 لرسول الله صارت معدنا
 إذ بخير الخلق خصت مدفنا
 لأجل الأرض نعم المقتنا
 لم يزل والله غصبا بدنا
 تنزل الأملاك فضلا وثنا
 والشرى لم يبل منه الكفنا
 في ضريح ضم طه الأحسنا
 شامة من للحجاز استوطنا
 من ظلام للهدى أخرجنا
 وعلى سبل العلى أرشدنا [55]
 سبقوا خير السورى أخبرنا
 بل بأمر القداما بصرنا
 أورقت فورا وجاءت بالجنا
 ألم الجوع وأعباء العنا
 وتلافاه بغوث واعتنا
 لم يزل برارؤوفا محسنا
 بهجة الدارين كنز الإغتنا
 منهل الآمال مصباح الهنا
 كل كون من سناه كونا
 وبه الرحمن قد فضلنا
 إذ أتانا المصطفى من ربنا
 كم نوال بالصفاء حولنا
 ومن النيران قد أنقذنا [56]
 ومن الأرجاس قد طهرنا
 وبذا الله به أكرمنا
 ربنا بالمصطفى اتحفنا

كيف لا يرجو نداءه الحلبي
وعليه الله صلى وعلى

وهو عبد المدح فيه والثنا؟!
آل والصحب الكرام الأمتنا

وقال، كان الله له بمنه:

21

عليك صلاة ربك يا حبيباً
له في قاب قوسين المشاهد

فؤادي من وصالك بالمرصاد
وحقك ما وقي أبداً وفي
ولست أقول - يا مولاي - صلني
ولست ألوم أيام ابتعادي
ولست أنوح من طردي وهجري
ولست أسيل دمعي من فراق
ولست أُميد من شكواي وخشا
ولست أقوم عن أبواب طه
أدير كؤوس ألوان المعاني
أقول: محمد شمس وبدر
هناق المصطفى خلقاً وخلقاً
ومنه الجود جاد بكل جود
ومنه البحر فاض من اضبعيه
ومنه زهر إيناس وبشر
ومنه الثغر خاتم خير دُر
ومنه الجيد جاء بكل حسن
ومنه القُد ما أبهأ غُضنا
ومنه اللُحظ ذو خفير ولطف
ومنه الخد وضاح أسيل
ومنه اللُبة⁽¹⁾ الزهراء مسك
ومنه الكف عطر بل رياض
ومنه اللفظ دُر بل مُدام
ومنه المنظُر الأعلى عظيم

لأنك أنت أوفى من يُواعِد
كريم الوصل مثلك في المَواعِد
فأنت أجَل من تنبيه فاقد
فما والله أنت لي المُباعد
ولكن قلبي المشغوف واجد [57]
ولكن ماء شوقك لي معاود
بأنسك، من براه الحب مائد
فها أنذاك بالأبواب قاعد
على العشاق في دُير المعابد
مُحياء المليح لكل واصد
لذلك واحد جمع المحامد
ومنه الفضل فاض لكل قاصد
جرى فوق الثرى عذب الموارد
إذا ما سُرَّ لاح لكل شاهد
لها الريق الرحيق لكل صامد
به لفؤاد ناظره مَصايد
مليحاً في التثني والمشاهد
ولكن سهمه للقلب عامد [58]
له وزد بروض الخد وارد
تلوح كما تفوح لكل واحد
تفتق، بل حياض للمقاصد
حلى في السمع، بل شهد الفوائد
ومنه النور نحو العرش صاعد

(1) اللبة: العنق، وسطه بالأخص.

ومنه الفضل ملتمس دواما
ومنه ظواهر فاتت جمالا
ومنه شفاعت تبدو بحشر
ويلبس حلة من تحت عرش
وفي الشفعاء يشفع خير هاد
وإبراهيم أول مستجير
خليل الله بالهادي منيع
بذلك أحمد الحلبي أولى
شفاعته لأرباب الخطايا
عليه وآله أذكى سلام
وقال، كان الله له بمنه:

22

صلى عليك الله يا من وجهه
أبهى من البدر المنير وأكمل

في عاشقيه وعندهم لا يعدل
فيه جمالك حاكم لا يُعزل
بين الملاح، وأنت فيها الأمثل
بك في جميع أولي البها لا يعدل
لكن وحقك أنت فيهم أكمل
لكن جمال ضياء وجهك أجمل
من طلعة الأقمار وجهك أشمل
فيها جمالك زاهر لا يأفل [60]
فيها لكل الزائرين المأمّل
شفي الغليل فؤاده المتوجل
هي دار خير المرسلين ومنزل
بسوى ضريح المصطفى لم يحفلوا
خمسون أخرى للحبيب تنزلوا
ما مثله جاء الخلائق مرسل
خدمته أملاك السماء الكمّل
وهو المقدم فيهم المتبجل
وكلام مولاه الكريم يرتل

أفديك يا من بالمكارم يعدل
الأمر أمرك ما تشاء اصنع بمن
والعبد عبدك يا أمير ملاحية
أنت المنزلة عن شريك في البها
نعم الملاح الكاملون من الوري
نعم البدور مع الشمس جميلة
يا أجمل الأقمار حسنا كاملا
[قد] بالمدينة أنت يا خير الوري
بضر يحبك المحبوب روضة جنة
من عفر الوجنات في جذراتها
طوبى لطيبة ما حوت من مفخر
فيها الملائك كل يوم حوّم
خمسون ألفا في الصباح وفي المساء
لله ما أسمى جلاله أحمد
قد شرف الرحمن قدر محمد
كانت إذا يمشي تسير وراءه
قام الليالي حسبة وتهجدا

وأصاب قرة عينه بصلاته
 كم جفوة من قومه وعداوة
 شجوا لوجنته وأدموا وجهه
 ويقول من فرط الحنانة: ربنا
 سأل الهدى لهم لحالة كفرهم
 ما قد علمنا مثله متواضعا
 وتراه في كل الأحيان باسمها
 بشهوده المولى مضى مستغرقا
 وإذا غفقت عيناه لم يذق الكرا
 في حالتيه له المعارف تجتلي
 شهدت له الأشجار بعد مجيئها
 سجدت لديه سجود شكر في الثرى
 وقفت على نادي الحبيب وسلمت
 قال الحبيب لها: ارجعي؛ عادت كما
 وأطاعه ما في الوجود بأسره
 رُحم الوجود ومن به بالمصطفى
 فلذلك الحلبي قضي عمره
 ويذيع طيب ثنائه بين الورى
 كن لي وأولادي وأهلي شافعا
 صلى عليك الله جل جلاله
 والآل والأصحاب والأتباع من
 وقال، كان الله له بمنه:

23

صلى عليك الله يا مصطفى
 ما غرد القمري فوق الأراك

من مثل طه المصطفى يتبتل؟
 قاسى، وأحمد صابر متوكل
 وهو الحلبي المرحم المتفضل
 فاغفر لقومي إنهم لن يعقلوا [61]
 فأجيب مما كان أحمد يسأل
 الطفل يغدو بالحبيب ويُقبل
 ومع اليتامى والأرامل يأكل
 أنفاسه وبغيره لا يُشغل
 قلب له، عن ربه لا يغفل
 أنوارها من ذي الجلال وتُنزل
 برسالة، وبها جوى وتلمل
 وغدت تجر عروقها وتُججل
 وشهودها في وجهه مسترسل
 كانت، وذاك على المهيمن يسهل
 إن الحبيب له الوجود مذل
 لولاه ما هذا الوجود مُكمل
 فيه وشهد مديحه يُستغسل [62]
 وإلى الكريم بجاهه يتوسل
 يا من شفاعته الخلائق تشمل
 ما صافح الأزهار ريح شمأل
 بلغوا بك الهدي الرفيع وأكملوا

أقتلتهم؟؛ فالقتل يدني لقاك!
 لا سيف أمضى سيدي من هواك
 من حبه طول المدى قد نواك
 تُمنح من الدارين أقصى منك
 إني على الأبواب أرجو رضاك
 ما لفؤادي مأرب في سواك [63]

يا قاتل العشاق روعي فداك
 سل على الأحشاء سيف الهوى
 بسا قلب زد وجدا وشوقا إلى
 دم واقفا في باب خير الورى
 قل: يا رسول الله يا مجتبي
 أنت ملاذي يا أجل الورى

من ذا الذي باراك في رتبة
والأنبيا والمرسلون اقتدوا
أنت الحبيب المجتبي المنتقى
آواك ياطه إليه وقد
خصّك بالإكرام في خلوة
ألبسك البرحمن من نوره
ونلت أصل الطيب من قرب
رأيت ذا العرش بعينيك إذ
بلغك المقصود في أمة
جنات عدن زنتها داخلا
أقبل حور العين في جلوة
ما من عظيم في السما والثرى
نصرت بالرجب وريح الصبا
خلاصة الكونين أنت الذي
أنت سماء الأنبيا والورى
كم بارق مرق ثوب الدجا
وطيبة كم فاح في أرضها
كم شائق أقبل في لوعة
واصطك سنا وانحنى ظهره
طوبى لمن زارك يا مصطفى
يقول: يا قلبي منحت الشفا
جماله أذهب عنك النوى
ما واصل مثل شفيع الورى
يا حبيبى الدار لا تخشى
صلى عليك الله ما غردت
والآل والأصحاب أهل العلى
وقال أيضا غفر الله له بمنه:

24

كل علي نازل عن علاك
في حضرة القدس بنور هداك
لقاب قوسين الكريم ارتضاك
أدناك منه، والأمانى حباك
وأبهم الموحى وما قد أراك
حلة تخصيص فكانت حلاك
فكان ذاك الطيب دهرًا شذاك
رؤيته كانت أجل قواك
يقفوا علاهم في المعالي علاك
ترخفت أنوارها من بهاك
يطلبن يا خير البرايا رضاك
إلا ياذعان مشوقا أتاك
والصحب والأملك تمشي وراك [64]
رفعت فوق الرسل رفع السماك
سبحان من أسمى عليهم سماك
مثل عمود صاعدًا من حماك
مسك فتيق أصله من ثراك
من هيبة لم يستطع من جراك
وصار مسلوب الحجا إذ رآك
فذاك مغبوط يشرى لقواك
فافرح؛ رسول الله دهرًا شفاك
لا تشك بعد اليوم بلوى نواك
فكيف يا أحمد تخشى عناك؟!
فقرا؛ رسول الله حقا كفاك
ورق حمام في ريباض الأراك
والتابعين الزهر أهل لداك [65]

عليك صلاة ربك يا حيبا

به الرحمن أولانا أمانا

فهمننا والغرام قد اعترانا

جمالك سيدي شغفا سبانا

فها نحن الأسارى قد أخذنا
 نبيت على الهوى كلّفا ونُسمي
 سلكت مسالك الأرواح منا
 فحبُّك قد فدا للروح صنوا
 تجملنا بذكرك يا حبيبنا
 ونحنُ الأمة الأعلوْنَ قدرا
 بك الرحمنُ أذهب كلَّ حزن
 شرائع دينك الأعلى استفدنا
 وخلصنا من الآفات طُرا
 وطهرنا من الأرجاس فضلا
 وفي الأمم اجتبانا الله حقنا
 لأجلك كلُّ مكرمة وفضل
 حباننا باتباعك كلَّ خير
 وصفنا ما علمنا منك، لكن
 إذا عرف الصحابةُ منك ظلا
 عمرت جَنائِها نورا ورشدا
 وكنْتَ إذا فتحت الثغر فينا
 وتسلبُ باللطافة عقلَ واع
 وما أهباك إقبالا وبشرا
 كأن البدرَ وجهُك عند بَشْرِ
 بريقك وهو شهد عند تَفَلُّ
 بك المولى لنا دنيا وأخرى
 ومن حوضيك أو حوضٍ به حُثِر
 بفضلك يعتني الحلبيُّ دهرنا
 وفيك محققٌ والله ظنِّي
 وأملًا بالعطا كفا وعينا
 عاليك وآلك الصلواتُ تترأ

إليك وحبُّك الأعلى اقتننا
 وأدْمُغنا جوى تكوي الحاننا
 عجبْتُ لعاذل سفها الحاننا
 كلا الأمرين يحيينا عيانا
 تزخرف منه بالذكرى خلانا
 سما بعلاك يا طه علانا
 رضى عنا وللحق ارتضانا
 وللتوحيد مولانا هدا
 ومن وَضِر الضلالة قد هاننا [66]
 وباللطف الخفي لقد رعاننا
 نَعْم لولاك ما كان اجتباننا
 مدى الأنفاس مولانا حباننا
 وعرفنا شِمائلَكَ الحساننا
 لنا وصفٌ بتقصيرِ تواننا
 فنحن بدوهم أقصى بياننا
 بنورك ما أجل لنا جناننا
 كأنك قد فتحت لنا الجناننا
 فما أحلاك يا طه لساننا!
 إذا أوليتنا منك الحناننا
 يفيد إذا تُسِّر لنا امتناننا
 من الأسقام شافينا شفانا
 بألطف العناية قد كفانا [67]
 رحيق العذب خالقنا سقانا
 بغيرك قط لم يقبل غناننا
 بأن أثنى إلى القصد العناننا
 وأخضل بالمنى دهرنا بنانا
 وأصحاب بهم ربي هدا

جمال حبيبي جوهر العقل قد سَحَرَ
عشقت مليحا في منازلٍ راحية
أحل غراما كالجبال ولوعة
إذا مر أزرى بالنسيم مروّره
له هيبة تسطو على كل ناظر
ولما دعا الأشجار؛ جاءت وسلمت
وفي كفه كان الطعام مسبحا
ومن حَجَرَ كان السلام مكرّرا
له راحة كالزبد لنا وملمسًا
وعنق كإبريق اللجين ملاحه
وقد كغصن بين غصنين زاهر
له الأنف ألقى منبع النور قد غدا
وسم به ريح الأمين إذا هوى
له الوجه بدرّ في الملاحه والصفاء
يُرى ملكيًا تارة باطنا وقد
فليس من الأدلاك طه حقيقة
له الثغر مانوس مليح تبسم
مقلّج أسنان رحيق رضابهُ
أسيلُ خدودٍ أكحل الطرف أبلج
إذا ما مشى في السبل فاحت بطيبه
فلا تقل: الطوفان يحكي صنيعة
صنيع رسول الله ما ليس ينتهي
لذلك لم يخش العنا حليبه
له وبنيه لم يزل كافل الغنا
عليه صلاة الله والآل جملة

وقال، كان الله له بمنه:

26

عليك عواطر الصلوات يا من
له وجه تنور به الخيام

تمزقه الصّاباة والغرام
ووجدني، والدموع لها انسجام

فؤادي كلما صدح الحام
إذا ذكر الحبيب يهيج شوقي

لذاك تراني باكي العين في السحر
فلا شمس تحكيه جمالا ولا قمر
بكل فؤاد من محبيه قد خطر
ويُحجل بانات الرياض إذا خطر
كذلك بدرّ الأفق من سره انفطر [68]
عليه، وكم دانت لخير الوري الشجر
وصمّ الحصاله ناطقة الحجر
على المصطفى في مكة وكذا المذر
وفي الطيب كالريحان والمسك والزهر
وقد به ورد يصاغ من الحفر
سوي رشيق باعتدال قد اشتهر
به شمم به مليح لمن نظر
من العرش إذ يأتي من الله بالخبر
وشمس إذا ما ضوءه طال وانتشر
يُرى بشريا ظاهرا عندما ظهر
وليس رسول الله سرا من البشر
إذا ازدان فتحا قلت: فجر قد انفجر
له شنب كالشهد في الطعم يُعْتَبَر [69]
مُنير جبين زاهر فاجم الشعّر
فيا حُسن ما أبقى على السبل من أثر
ولا الرمل تعداد ولا البحر والمطر
له الحمد في الدارين هذا هو الفخر
خديم مديح المصطفى مدة الدهر
وليا نصيرا كاشفا أيما ضرر
وأصحابه ما صاح طير على الشجر

إذا ذكر الحبيب يُباح نوحى
 إذا ذكر الحبيب يطير صبري
 إذا ذكر الحبيب أبيت أبكي
 إذا ذكر الحبيب يذوب قلبي
 إذا ذكر الحبيب خُفُّو قلبي
 إذا ذكر الحبيب أميل وجدا
 حبيب سي ليس يشبهه حبيب
 دعنا الأشجار؛ لبّت ساجدات
 براحتي جرى في القفر عذب
 وأورق يابس الأعواد فيها
 ومن قبل النبوءة ظللته
 وحيث مشى له الأنوار تعدو
 له وجه حكاة البدر حيناً
 تنام العين منه نوم غفو
 له في الملك للعنين غمض
 يرى في نظرة عرشا وفرشا
 وما لو كان كيف يكون حتما
 وحيد الحُسن ليس له مثل
 تنزّه عن شريك في علاه
 به ختم الإله الأنبياء إذ
 به رُحم الوجود وتاه فخرا
 به لاح السعود لأهل حق
 به خصل القبول لأهل خير
 به قُبِل الدعاء لكل داع
 به نلنا المعالي والمزايا
 به الأحباب فازوا بالتهاني
 به الحلبي يُمنح فيض فضل
 فليس كأحمد الهادي كريم
 أيتركني وأولادي ضياعا
 عليه وآله التسليم يحكي
 وأصحاب هم أنوار حق

ويحلولي مع الهيم الهيام [70]
 كما قد طار عن جفني المنام
 وفي قلبي من القلق الضرام
 وليس له عن الطرب انحسام
 يكاد يسوئني منه الحُمام
 كأنني أذهبت عقلي المُدام
 لكل الأنبياء هو الإمام
 على وجه الثرى ولها احتشام
 وسبّحت الحصى وكذا الطعام
 وأثمر، والجنا منه يُرام
 دواما حيثما يمشي الغمام
 على ظلم فينهزم الظلام
 ودون البدر يلزمه التمام
 وليس لقلبه أبدا مَنام [71]
 وفي الملكوت للقب اغتنام
 ومعدوما وموجودا يُسام
 وكيف بناء هياته يُقام
 فلما لجمالها فينا انقسام
 وفيه لا يدان فيه مقام
 كمسك للجُميع هو الختام
 به زال الردى والإنقسام
 به زال الخفا والإكتنام
 به ثبت النجا والإعتصام
 به نيل المقاصد والمَرام
 ويوم العرض يرفعنا السلام
 به الأنجاء بالحق استقاموا
 وإحسان إذا بخل اللئام [72]
 فلم يُذكر لدى طه الكرام
 وجار المصطفى من لا يضام؟
 زهورا عُطرت منها الإكمام
 وأتباع لهم بالحق قاموا

وقال، كان الله له بمنه:

27

صل يا ربنا وسلم على من
وجهه الشمس في تهامة أشرق

وبباب هواك دهرا تعلق
من قيود صباية ليس يطلّق
رأس عز لى اعتزازك أطرّق
عند باب رضاك والفضل ألق
أنت جابره بفضل تدفّق
كيف حيلة من إليك مُشوّق؟ [73]
من نواك، وهو الغريب المعوق
بالتفات؛ فضلا عليه تصدّق
وبذليل الوداد منك تعلق
لك، غيرك سيدي ليس يعشق
إن ذكرتك بالجوى القلب مُحرق
كلما لاح منك طيف مُروّث
كادت الروح منه بالرعب تزهق
ماله ساحل وليس يملحّق
ساعة الأتس، بل من البدر أبرق
ساعة القهر بالخلال المنمّق
من قدود الملاح والله أرشق
والثنايا جواهر تنسّق
كم رحيق لشارب كان ذوّق [74]
كم هدى جاهلا وأخرس أنطق
سابقين لقدرك السبق أسبق
الطيبين وطيبك الدهر يُعَبّق
لم يزل كازاهر حين تُفتّق
في قلوب أولى النواظر يرشّق
ودماء كالورد فيه ترقرق
وانفراذك فيه والله أليق
أنت مني عليّ والله أشفق

يا حبيب القلوب قلبي تمزق
يا حبيب القلوب قلبي أسير
يا حبيب القلوب قلبي ذليل
يا حبيب القلوب قلبي فقير
يا حبيب القلوب قلبي كسير
يا حبيب القلوب قلبي مشوّق
يا حبيب القلوب قلبي وجيع
يا حبيب القلوب قلبي وحيش
يا حبيب القلوب قلبي محب
يا حبيب القلوب قلبي عشيق
يا حبيب القلوب أنت حبيبي
يا حبيب القلوب أنت حياي
يا حبيب القلوب منك التجلي
يا حبيب القلوب معنأك بحر
يا حبيب القلوب وجهك بدر
يا حبيب القلوب وجهك شمس
يا حبيب القلوب قدك غصن
يا حبيب القلوب ثغرك فجر
يا حبيب القلوب ريقك شهد
يا حبيب القلوب لفظك در
يا حبيب القلوب أنت إمام السد
يا حبيب القلوب أنت أجل
يا حبيب القلوب جسمك غض
يا حبيب القلوب طرفك سهم
يا حبيب القلوب خدك سهل
يا حبيب القلوب حسنك فرد
يا حبيب القلوب أنت ملاذي

يا حبيب القلوب كن لي شفيعا
يا حبيب القلوب ذا حلبي
يا حبيب القلوب كن لبنيه
يا حبيب القلوب ألف صلاة
وعلى ألك الكرام وصحب
وقال، كان الله له بمنه:

28

عليك عواطر الصلوات يا من
به ختم النبوة والرسالة

جيسي كم يواعدني وصاله
أحاشي فضله من وضم هجري
قد يطي على صب بوصل
قد اشتمل المحيا منه حسنا
قد اكتملت ملاح في ابتهاج
كم قد أرعدت نفس جلالا
حكاه البدر أنسا وابتهاجا
لقد جرت الشمس بوجه طه
وليل عفاصه من فوق صبح الـ
ومبسم نغره برق نفيس
وقامت كغصن في رياض
له الأنوار تسبق حين يمشي
فما خلق الإله له عدا
وما وطئ الحجاز نظير طه
ولا يسمو اللواء لغير طه
وما شغف المحب سواه حبا
وللرحمن كم ألقى قيادا
جيب خلقه القرآن، أسمى
قد اعتدل الرجاء له وخوف
أمرحاب له خصوا بسبق
لوه بالنفوس وكل غيال
منزاهم ربنا فضلا وخيرا

كدت من كثرة الجرائم أصعق
وبه منه أنت والله أرفق
حيث كانوا، وذاك منك محقق
وسلام عليك ما الطير يزق
وعلى التابعين بالنهج لأصدق [75]

ولكن وعده يقفو دلاله
فكم أسدى إلى مثلي نواله
ليكثر نيل من يهوى جماله
عزيز المثل ما أحلى اشتهاه
ولكن لم تصل قط اكتماله
إذا ما أبصرت يوما جلاله
ولكن لم يحز يوما كماله
كما تجري بأفلاك غزاة
محيّا منه ما أحلى انسداله
يديم لناظر فيه خياله [76]
فما أبهى بقومته اعتداله
على الأكوان، ما أزهى انتقاله
تأمل للنبوة والرسالة
مبارك طلعة يلفى هلاله
وكل الأصفاء تحو ظلاله
وأرسي في حشاشته جباله
وأنهى في عبودته ابتهاه
به في الأنبياء قدرا خصاله
بكل صفاته حاز اعتداله
وقد ثبتت لكلهم العدالة
إذا ما رامت الأعدا قتاله
وأجزل في القيام لهم نواله

كذا الحلبي أعمل فيه مدحا
عليه وآله أزكى سلام

وقال، كان الله له بمنه:

29

صلى عليك الله يا علم الهدى
ما القلب مال إلى لقائك واستكن

وما بلغ المراد ولا خياله [77]
وأصحاب زكوا بالرشد حاله

لك يا حبيباً في الضلوع هو السكن
وإلى سواك وحق وجهك ما ركن
سري عَمَرْتُ بوصف حسنك والعلن
أمتن على صببٍ بالطواف المن
صلني؛ فقلبي بالصباة قد وهن
أنظر لمن في سجن شوقك مرتين
لكن لهيب الدمع من حر الشجن
ما الجمر في قلب المتيم قد كمن
صب إلى الهادي الحبيب قد استكن [78]
ويدار ملك الغرب قد سجن البدن
أقصيت، والإبعاد جسمي قد سجن
لاحق لي يرعى لديهم في السوطن
إذ لم أجد من ذي اللسان سوى اللسن⁽¹⁾
عن محسن أو مانع طول الزمن
فيها، وفيها نوره الزاهي عدن⁽²⁾
وجاهها حتى القيامة قد مدن⁽³⁾
بدر البدور، وليس كالهادي حسن
قد حيرت قلب العشيق المفتن
ويذكره أذكاره الحسنى قرن
ألقي به عن قلب تابعه الدر
من سر طه في القلوب قد استكن
فيها الرغائب والفرائض والسنن [79]

طود المحبة في فؤادي قد سكن
أنت الذي ملك الفؤاد جماله
يا منيتي يا بغيتي يا غيتي
يا محسنا دون الملاح لعاشق
يا واصلا ما مثله من واصل
يا وافيأ بوعوده وعهوده
ضاهى الغنائم دمعته في خده
لم يستطع كتم الصباة والجوى
قد باح بالحب الشريف لأهله
السروح أطلقها إليه دائما
يا غربتاه عن الحبيب وداره
وحُرمت بر معاشر ونجاور
نطق اللسان مخالف لضائر
في المصطفى قطب الكرام كفايتي
جنات عدن طيبة بحلوله
شمس النبوة بالمدينة أشرقت
فمحمد شمس الشمس، ووجهه
وجماله وجلاله وكماله
سبحان من أبداه واحداً حسنه
رحم الإله العالمين به، وقد
قد أبلغ التوحيد كل موحد
ختم النبوة والرسالة شارعا

(1) اللسن: الفصاحة والبيان، والمقصود: كثرة الكلام بما يخالف الواقع.

(2) عدن: أقام.

(3) مدن: أقام.

في وجهه قد كان نورٌ ساطعًا
مستودع الأسرار قلبُ محمد
قد شق عن صدر له جبريلُ من
قلبٍ بعين الله ينظرُ دائما
غوثُ الورى بدرُ السرى قطبُ القرا
بحر الصفا كهف الوفا كنز الشفا
نور الهدى شافي الصدا ماحي الردى
من آخذ بيدي ينادي عنده:
حلبئكم أبواب مدحك لائمٌ
صلى عليك الله جل جلاله

وقال، كان الله له بمنه:

30

عليك عواطر الصلوات يا من
له حوض من الحلواء أطيّب [80]

سطور الحب في الأحشاء تكتب
محوت حروف رسمي في هواكم
هناول مسمعي قلبي حديثا
هناه بكم على أهل المعاني
يقطر طاس الحشا رقص اشتياقي
مريب الحي ذكركم شفائي
وفن لي باجتماع الشمل معكم
سكنتم بالحجاز وكان قلبي
لكل مؤمل أرب، ومالي
لكل مخوف حصن منيع
لكل معطش شرب وري
لكل موجع يلقى دواء
لكل مقتر رزقا يسار
لكل مبعّد قرب يُرجا
لكل مشوق حتما حبيب

يغني اللبيب عن الدليل المؤمن
سرّ الأسامي فيه مولانا اختزن
بالنور والإيمان إيّاه شحن
فلذاك ما ذاق المنام ولا الوسن
أم القرى للائذين من المحن
كم قد شفا ألم الكسير الممتحن
مفني العدا بجيوشه الزهر السنن
يا مصطفى عبد يباع بلا ثمن؟
والعبد بالأبواب نعم المقترن
والآل والأصحاب ما اهتز الفن⁽¹⁾

بأن القلب عنكم لا يقلّب
ومني العقل يذهب كل مذهب
فلبى القلب تلبية المهذب
فكانت منه سكرى الحب تعجب
بأنني عبدكم بالوجد أجذب
بذكركم يكاد الصلد يطرب
ولو أني على الوجنات أسحب؟
لكم مثوى؛ فهذا الأمر أعجب
سواكم يا بدور الحي مأرب
ومالي غيركم والله مهرب
وحبكم لقلبي خير مشرب
ونظرتكم دوا سُقمي المجرب
ولفتنكم عطائي ليس يحسب [81]
وقربي منكم في البعد أقرب
وغير المصطفى مالي محبب

أحب إلي من عيني وقلبي
 نبي الأنبياء أجل هاد
 عروس المملكات بيوم حشر
 وفي دار الجلال له جمال
 فما أحلى البراق بحمّل طه
 وما أسخاه طبعاً عند حوض
 وما أبهى محياه ببشر
 وما أقوى سجيته إذا ما
 وما أجلى مزيته إذا ما
 وما أعلاه إذ يُدعا شهيدا
 وما أسمى كرامته إذا ما
 وما أزهى بشاشته إذا ما
 أرانا الحق بالبرهان جهرا
 وآوانا إلى ركن شديد
 وكان على هدايتنا حريصا
 يحب نجاتنا أبدا حبيب
 برأفته ورحمته سمونا
 وبارزنا نجابتهم عيانا
 حبيب في الجمال وكل مجد
 صبيح الوجه برّاق المحيا
 هو البدر الذي يأي أفولا
 هو البحر الذي قد عم فضلا
 هو الغوث الذي يُنجي محبا
 هو المرجو للحلبي ذخرا
 ويُشغل كل إنسان بنفس
 يقول: أنا لها طه فريدا
 لسان الفضل أحمد يوم حشر
 سيشفع لي وأولادي وأهلي
 عليه وآله أزكى سلام

ومن روعي ومن ولدي المقرب
 حبيب الله أنفس كل مطلب
 سيفرد بالخصائص حين يُطلب
 يؤنس من يحاسب أو يُعذّب
 وما أحلى حيبا حين يركب
 إذا يأتيه من يظما فيشرب
 فمن شمس الضحى في الحشر أغلب
 تصدى ساجدا في الحمد أطيّب
 تقدم للشفاعة في المعذّب
 على الجمع المكذّب للمكذّب
 أتاه مستجيرا كان أذنّب [82]
 أتاه من على نفس تغلب
 وأخبرنا عن الأمر المغيب
 يار شهاد فهذبّ بنا وذرب
 ومنا للهداية كان أطلب
 إلى كل العوالم قد تحبب
 على من قد مضى حسبا ومنسب
 فكان نجيبنا والله أنجب
 به المثل العلى صار يُضرب
 وذري السنا، واللون مُشرب
 وإن باراه بدر التمس سلب
 وللفقراء والكبراء يطلب
 إذا الحسنات في الميزان تغلب
 إذا ما الجسر في النيران يُضرب [83]
 وأوزار مضت والرب يغضب
 وبالتسبيح والتمجيد يُنصب
 هنالك عن مراد الله أعوب
 رسول الله مدوحي المرحب
 ومن قد كان للمختار يصحب

31

قال، كان الله له بمنه:

صلوات الله ذي العرش على
من له وجه به العرش استنار

وارتشف إن جئت سَلْعًا قُرب دار
حُرَّ وجهه بشرى تلك الديار
بانخفاض واحتشام ووقار
هُوَ ممزوج، ولكن كالْبَهَّار
لك في طيبة أضحي خير جار [84]
جاره، والله إن ولي وجار
من يراعي مثله حفظ الجوار؟
في غد يطفئ لنا حر الأوار⁽¹⁾
حُلُو طعم عاطرا جري البحار
وهو يسقي الناس مشدود الإزار
مسرع الغوث لمن بالهول حار
وعليه حُلَّة ذات ازدهار
شامل حتى النيئين الكبار
يوم حر وظماء واقتدار
يوم فقر وانكدار وانكسار
لم يزل فجر هداة في انفجار
باب فضل الله من غير انحصار
واحد الأحاد في أفق الفخار [85]
وجمال وجلال واشتهار
لا ولا بدر إذا وافى فنار
من شريك لمحياء أغار
حل فيه سيد الأكوان غار؟
حين حل المصطفى أكرم غار
وطيء المختار دهر أن يغار
رؤية الهادي وقد شط المزار؟

مسيح المحبوب قلبي كيف دار
تجل ترب ديار ماسحا
ردد بين هاتيك الرُبا
من عينيك دمعاً باليدما
تنب عن كل شيء دون من
يكن يخرج من جورته
حافظ الجيران طه المصطفى
ساحب السلطان والحوض الذي
ساحب الكوثر إذ يجري غدا
تجد أكرم منه في غد
أهر المسهم سهل الملتقى
ترق فوق بُراق وجهه
اللوا في كفه إظلاله
دخل الكل غدا في ظله
يسعهم غير فضل المصطفى
طلع الآيات مصباح الهدى
نهل الإحسان مفتاح الصفا
ساج كل الأنبياء والأصفيا
جهه وتري حُسن وبها
تقل: تحكيه شمس بهجة
أنبي والله يا أهل النهى
ما ترى قلبي من الغار الذي
السماء والأرض طرا غبَطت
حق للخدم من الأرض التي
بيت شعري فأنسي، ما حيلتي

(1) الأوار: الدخان الحار واللهب.

لا أزور الدهرَ خلا صادقا
من جميع الناس قلبي والحجا
وخشيتي منهم أنيس دائم
وحضور المصطفى في مُهَجَّتِي
مدحُه مختار عبدٍ حلبي
صائح: يا مصطفى خذ بيدي
أنت أغنى الخلق يا خير الوري
عيل صبري يا إمام الأنبيا
غربة الدار وفقد الأصدقا
هل لنا من نوبة يا مصطفى
وتناديني بها في عالم الـ
فأنا المعطي بأمر الله من
صلّ يارب عليه وعلى
وقال، كان الله له بمنه:

32

صلوات عليك يا من بسلع
زاهر الوجه مشرق مستنير

وبطبيعة منزل وقصور
غالني الشوق واعتراني القصور
لضريح فيه السراج المنير [87]
في المدينة فاح منه العبير
وبها للورد طيب ونور
وجه طه في رباها ينور؟
من تحياه تشتمد البدور
لا ولا مثل قبر طه قبور
لا ولا مثل ذا الحبيب مزور
لك في الحب قربة وبرور
شيك جمال وبهجة وسرور
سق جميعا، والله نغم الخبير
فاتح خاتم بشير نذير
نعمة الله، خير ربي الكثير

يا حبيباً له بقلبي حضور
كهف نفسي على مسيري إليه
يعلم الله أنني عبد وجد
بأبي أفندي وأمي حبيباً
ما لطيفة للغوالي احتياج
كيف تحتاج للشموس ديار
ما لبدر فيها مجال وطه
ما كأرض الحبيب والله أرض
ما كدار الحبيب والله دار
يا محب الحبيب زد فيه حبا
كلما زدت فيه حبا يُعْش
هو مختار ذي الجلال من الخلق
مصطفى مجتبي صفّي نجي
عاقب حاشر وماحي الخطايا

مِنْ إِلَهِ السَّمَاءِ أَسْمَى الْهَدَايَا
 مِنْ عَلَى الْعَرْشِ وَالْجَنَانِ جَمِيعَا
 قَلَمُ النُّورِ قَدْ جَرَى بِاسْمِ طَه
 بَلْ هُوَ الْأَصْلُ لِلْوُجُودِ جَمِيعَا
 هُوَ قُطْبُ الْجَمَالِ شَمْسُ التَّهَانِي
 سَلَّمَ الضُّبُّ وَالْغَزَالُ عَلَيْهِ
 وَأَنْتَ الْأَشْجَارُ تَسْعَى، وَمِنْهَا
 شَجَرٌ أَبْصَرَ الْحَبِيبَ يَقِينَا
 جَرَى لِلظِّمَاءِ بَيْنَ اضْبُعَيْهِ
 أَلَا أَلَسْتُ الْغَمَامُ إِذْ كَانَ طِفْلَا
 إِلَيْهِ الْأَقْبَارُ وَهُوَ بِمَهْدِ
 أَلَسْتُ أَنْشَقَ فِي السَّمَاءِ هَالَا
 أَلَسْتُ الْمَصْطَفَى طَوِيلَ الْأَيَادِي
 هُوَ حَامِي الْحَمَى مَجِيرُ الْعُبَيْدِ أَلِ
 وَلَوْلَادِهِ وَأَهْلِيهِ طُورَا
 وَعَلَيْهِ وَالْآلُ وَالصَّحْبُ آلا

أَنْتَ يَا مُصْطَفَى، وَفَضْلٌ كَبِيرُ
 اسْمُهُ سَاطِعُ السَّنَا مَسْطُورُ [88]
 حَيْثُ لَا كَوْنٌ كَانٌ وَدَهْوَورُ
 وَإِلَيْهِ كُلُّ الْوُجُودِ فَقِيرُ
 حُسْنُهُ لِلْإِلَاحِ طُورَا أَمِيرُ
 وَالْجَلَامُ مَدَّ كُلِّهَا وَالْبَعِيرُ
 فِي الرِّحَالِ بِحَسْنِ خَطِّ زَبُورُ
 حِينَ أَعْمَى عَنْ هَدَاهِ الْكَفُورُ
 حَيْثُ لَا مَاءَ فِي الْفَلَاءِ النَّمِيرُ
 حَيْثُمَا سَارَ حِينَ يَحْمَى الْهَجِيرُ
 حِينَ نَاقَتُهُ بِالْوُدَادِ تَشِيرُ
 بَيْنَ نَصَفَيْنِ، وَالْأَنَامُ حُضُورُ
 جُودُ كَفِيهِ مَا حَكَاهُ الْبَحُورُ
 حَلَبِيٌّ وَمَنْ بِهِ يَسْتَجِيرُ
 أَحْمَدُ الْمَصْطَفَى مَجِيبُ نَصِيرُ [89]
 فُ سَلَامُ مَا فَاحَ زَهْرُ نَضِيرُ

33

وقال، كان الله له بمنه:

يَا رَبِّي اغْفِرْ لِي وَأَبْلِغْنِي الْمَنَى
 أَنْتَ الْكَرِيمُ، وَبِحَرْفِ فَضْلِكَ أَشْمَلُ

عَبْدٌ بِبَابِكُمْ فَقِيرُ يَسْأَلُ
 فَبِحَقِّ وَحْدَةٍ مَجْدُكُمْ وَكَمَالِكُمْ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ أَمَلِي مَنِيلِي فَضْلَكُمْ
 يَا كَعْبَةَ الْقَصَادِ مَا لِي غَيْرَكُمْ
 يَا عَيْنَ أَعْيَانِ الْوُجُودِ حَقِيقَةُ
 كُونُوا كَمَا شِئْتُمْ، فَلِي عَبْدُكُمْ
 فَبِعَادُكُمْ قَرَبِي وَمَنْعَكُمْ الْعَطَا
 يَا عَمْدَةَ الْفُقَرَاءِ يَا أَصْلَ الْغَنَا
 يَا مَنْ خَزَائِنُ فَضْلِهِ لَا تَنْتَهِي
 يَا مَنْ يَجِيبُ دَعَاءَ مُضْطَرِّ دَعَا
 يَا عَالِمًا مَا فِي السَّرَائِرِ كُلِّهَا

وَبِكُمْ إِلَيْكُمْ سَادَتِي يَتَوَسَّلُ
 بِالْوَصْلِ لِلْعَبْدِ الْحَقِيرِ تَفَضَّلُوا
 فَمَنْ الَّذِي مِنْهُ يُنَالُ الْمَأْمَلُ؟!
 إِنْ هَانَنِي عَمَلِي وَحَارَ الْمُوَجَلُ
 لَوْلَاكُمْ مَا كَانَ شَيْءٌ يَكْمَلُ
 عَنْ بَابِكُمْ وَحَيَاتِكُمْ لَا أَرْحَلُ
 إِنْ لَمْ أَكُنْ عَنْ أَفْقِ حُبِّي أَنْزَلُ
 مَنْ ذَا عَلَيْهِ بَعْدُكُمْ أَتَوَكَّلُ؟
 لِعِبَادِهِ، سَأَلُوهُ أَوْ لَمْ يَسْأَلُوا [90]
 فَيَغِيثُهُ، مِنْهُ السَّنَوَالُ الْأَعْجَلُ
 وَهُوَ الْمَحِيطُ بِهَا إِذَا تَبَدَّلُ

يا من بقبضته القلوبُ جميعُها
يا من له عَنَت الوجوه وسُخَّرَتْ
يا من به الأرواحُ يزهو نورُها
يا من به استغنى الذي أغناه عن
يا من يغار على خصوص عبده
يا من إذا قَصُرَ الرجاءُ عليه، مَن
يُغنيه عن زيد وعن بكر ومَن
يا عالم السر الخفي من الثرى
يا خالق الأشياء كيف يشاؤها
يا خالق الحركات والسكنات، مَن
يا شاهد الخطرات واللحظات والنُ
يا كاشف الكُرُبات عنا وحده
يا مونس الغرباء حالة غربة
يا مغني الفقرا بلا مال نهما
يا قاضي الحاجات مدة كونه
ولقد كفى التلويح من تصريح مَن
بلغه يا رحمنُ كلَّ مؤمل
واقبل سؤالي، واعفُ عني سيدي
أنت الكريم بكل حال محسنُ
عامل بوصفك عبد سوء سيدي
فإذا طردت العبد، من ذا يرتجي
أثرى بماذا يرجع الحلبى من
قد سوّد الصحف الكثيرة بالذي
لكن فضل الله لم يُدرَك لذي
فالله أغنى الأغنياء عن الورى
قد عم بالإحسان قبل سؤالننا
من كان يسأله ولم يك سائلُ

وقال، كان الله له بمنه:

34

وبعلمه ومراده تتحول
وببابه كل الملوك تذللوا
ويأذنه في كل حي تدخل
كل الورى، وله الغناء الأكمل
إن يسألوا يوما سواه ويأملوا
يدعوه، فهو له العطايا مُجَزَلُ
هو رائس في قومه ومبجل
للعرش ينقله إذا يتنقل
منه على وفق المشيئة مُجْعَل
متحرك أو ساكن هو مثقل
نظرات من عبد إذا يتسلل [91]
لا سيما إن طال داء معضل
حتى يطيب لهم معاش أجمل
ولديهم منه المواهب مَنهَلُ
ربا، وحاجات الورى تتسلسل
هو بالثناء أذاك فضلا يسأل
من غير فضلك لا يُنال مؤمل
يا سعد عبد توبه تَنَقَّبَلُ
وأنا اللئيم بفعل خير أبخل
ما العبد مع رب كريم يعدل
ودلته أبدا عليك يعول؟
باب الكريم على المقاصد يحصل؟
يجني من الأثام وهو مُثْقَلُ
عمل بما قد كان حيا يعمل [92]
من غير ما عوض يجود ويشمل
فالفضل منه للبرية أول
أزلا، فتفهم أنه المتفضل

أي قومنا صلوا على أشرف الورى
فذو العرش قد صلى عليه وسلم

بحقك لا تقطع من الوصل مُغَرِّمًا
 فبِاللهِ جُدْ يا ظبي سَلْعَ بِلْفَتَةٍ
 صريع الجوى من بعض قتلاك بالهوى
 إذا غبت عن عيني حبيبي ومشهدي
 أنا العبد مالي غير حبك مَأْرَبٌ
 فقيرٌ على أبواب فضلك سائلٌ
 أيا طالع الأفراح يا مَنْبَعِ الصِّفا
 أبى خاطري إلا اشتياقا ولوْعة
 رأيتُ بدور التَّمِّ تطلعُ في السما
 رأيتُ ملاح الحي أرضا إذا بدا
 فلم يعيش العشاق مثلك في البها
 وصبُّ رأى مرآك لم يلق راحة
 فما رأت الراؤون مثلك منظرا
 لك الثغر أبهى خاتم من عقيقة
 وقدكُ غصنُ البان، لكنَّ ميله
 وجلستكُ الزهراء بين صحابة
 بإطراقهم والطيرُ تعكف فوقهم
 تواضعتُ حقًا لليتامى مواكلا
 وكنتُ إذا يلقاك شخصٌ ترعدت
 ملأتُ قلوبَ الحاضرين جلالَةً
 أناسك روضُ الزهر وجَّهه نشره
 وفي الكسوت الله مع جبروته
 أرى من الآيات أكبر آية
 تسبَّحت مع جبريل لما انتهى إلى
 وخاطبك الرحمنُ فردا بخلوة
 رجعت من الرحمن بالأنس والرضى
 على حليبي جُدْ بعطف ووصلة
 ومن قبل آل مع أصحابِ إلهنا

فأنت الذي بالوصل عطفًا تكرمنا
 على عاشق فيك الغرام تَعَلَّمَا
 فهل آن أن يُخْنَى عليه ويُرحما؟
 فأنت الذي في ساحة القلب خيما
 ولم أري من غير قُربك مغنما
 وأنت كريم تمنح الفضل معدما
 أعد وقت أنسي بالتهاني تقدما [93]
 وركنُ اصطباري بالهياج تهدما
 ووجهك في الألباب يطلع والهما
 محياك يا بدري، وأنت لهم سما
 بنظرتة نارَ المحبة أضرمنا
 فلم يسترح من قد رآك وأحجما
 ولا جبهة تزهو وخدا ومبسمنا
 وأسنانك الدر الذي قد تنظما
 يُميل قلوب العاشقين إلى الظما
 بأنسك تُحيي مستهما متيما
 لقد شبّه الأصحابُ إذ كنت أعظما
 وكنتُ رحيمًا للأرامل مكرما
 فرائضه بالرعب إذ كنت أفخما
 وبالهيبة الأفواء قد كنت مُلجما [94]
 على البعد لما أن رُفعت إلى السما
 رأيتُ الذي قد كان قبلُ مُكتمًا
 وما بصرٌ قد زاغ منك تَكْرُمًا
 نهايته قال: انفرد متقدما
 وخصك بالتقريب، والوحي أبهما
 فكنت أجمل المرسلين وأكرما
 فلم يك من يأوي لبابك محرما
 أيا مصطفى صلي عليك وسلمنا

الصلاة عليك يا خير هاد
ما يُحْيِي النسيم وجه الأزاهر

وكوى الدمع من نواك المحاجر
فيك باكي الدموع ساء وساهر [95]
وبوصلي إليك قاص وقاصر
يا حبيب القلوب واف ووافر
عن سواك على الحقيقة صادر
يا أمير الملاح باه وباهر
تحت ليل الشعور زاه وزاهر
بحر فضل من المهيمن زاخر
كيف يشبه راحتك الأزاهر؟
والثاني أوائل وأواخر
لمه، فيك للعالمين الذخائر
نعممة في موارد ومصاير
طيبة لم يزل على السبل عاطر
وضباب⁽¹⁾ وأيكسة والجادر
صخر في راحتيه بين المحاضر [96]
عند قاب قوسين، والحق ظاهر
وتقدم حيث آب الأكابر
وتقهقر عنه كل محاضر
إليه الرحمن بالأنس ناظر
رأس، والقلب منه يقظان حاضر
ويرى الجبروت من غير سائر
ورأى الحور والحلى والجواهر
روض بالزهر عند نسمة زاهر
قد تكفل بامتثال الأوامر
وبها للمقربين المتأبر

بلغ الروح في هواك الحناجر
كم أبيت أرعى النجوم وطرفي
وأنا الصب عنك يا نور عيني
ومديد شوقي إليك ووجدي
وفؤادي إلى وصالك صاد
نور وجهك إن بدا وتلا
وجيئك إن تجللا بليل
وعطاؤك يا عظيم العطايا
لمس الجسم منك زهر فتيق
عن معانيك أغربت كل وقت
أنت كنز للمرسلين وباب الـ
أنت فينا هدية الله، أعلا
أنت من كان إذ يمر بسبل
أنت من كلمته شاء وذيب
أنت من سبج الطعام وضم الضـ
أنت من كلم الإله جهارا
أنت من قد دناله وتدلى
أنت من كان واحدا في علاه
أنت جلو العروس قد كان يجلى
أنت من قد رأى الإله بعين الرـ
أنت من كان يجتلي نور قدس
أنت من دخل الجنان فريدا
وأناه رضوان يضحك ضحك الرـ
قام بين يديك مثل وصيف
قد رأيت حظيرة القدس فيها

(1) الضباب بالكسر: نوع من الحشرات.

وعلى الكوثر انعطفت كريها
ذاك نهرك يا أجل نبي
سحب في حوضك الشريف رحيقا
الأجلك حين تسقي عطاش الـ
أحمر الأنبياء أنت وفودا
ما أحلى قدوم أمة طه
من يداني الحبيب وهو شفيح
وبه الحلبي يرجو نجاة
وبأولاده وأهل وإخوانا
وعليه والآل أزكى صلاة

وقال، كان الله له بمنه:

36

صل يا ربي وسلم على من
قد أتانا بالهدى والرشاد

عبدكم في بابكم كم ينادي
يا موالى ذي الهوى والتصابي
كم بكى من عينه سُحْبَ دمع
غيركم أهل الصفا ما حلا لي
لم أحل عن حبكم مُذ سباني
ما قطعتم مغرما عن وصال
ما مُرادي غيركم أهل نجد
ليت شعري هل أراكم عيانا
أنتم عين الغنا والأمان
عنكم تروى العقول المعاني
في ربيع وجهكم لاح يُجلى
نوركم قوت القلوب الخوالي
إذ تبدى طالعها في سعود
أشرقى أنواره في النواحي
قد تداعى صرخ كسرى المُعلّى
كل ملك من ملوك عظام
قد تخلّى عن معان جسم

طلق وجهه للأنبياء مزاور
عمقه ألف قامة للمباشر
منه يُروى أكابر وأصاغر [97]
مومنين، وعنه يُطرد كافر
وبهم أنت للعباد مكائر
يوم حشر وقد أتوا بالمآثر
وشفاعته لأهل الكباثر؟
في الشدائد يوم تُبلى السرائر
ن غدا يُرتجى رحيم مبادر
وسلام، والصحب ما طار طائر

قاطعنا في حُبكم كل وادي
عذبوه بالهوى لا السبعاد
وانكوت أجفائه بالسهاد [98]
من حللتهم سادتي في فؤادي
حسنكم، يا خير أهل الوداد
بل لكم بالوصل أسمى الأيادي
أنجدوا مله وفكم بالميزاد
بعد مطل للنوى بالتمادي
أنتم أهل الوفا يا عمادي
يا بحور الفضل أهل السداد
فازدهت منه جميع البلاد
كم عمّرتم مهجة بالرشاد
وجه طه قد زها كل ناد
في مغاني شامة والنبوادي
يوم ميلاد له ذي اتقاد
ذلك اليوم انثنى للقياد [99]
مسلم ملكا له بانقياد

وازدهى البيت الرفيع المباني
مكة قد زانها بالتهاني
طيبة طابست به في ثراها
قد كساها أحمد ثوب حُسن
حلبى قد أتى بالمثاني
راجيا منه الرضى مع قبول
صل يارب وسلم عليه
والرضى عن صحبه أهل رُشد

من جمال المصطفى خير هاد
إذ تجلّى نوره في ازدياد
ريح مسك دائم أو زباد
فاغتدت دار الهنا للعباد
والمعاني المصطفى باجتهاد
واعتصاما شافيا في المعاد
ثم آل حبّهم خير زاد
واتّباع المصطفى خير هاد

وقال، كان الله له بمنه: (عروسة موشحة): 37

طه المليح الأزهر
كالشمس يبدو في البطاح

في الثغر منه جوهر
والريق منه كوثر
وخده مُورَد
والقد غصن أملد
وجسمه الغض الطري
من ريح مسك أذفر
ورشحه كالجوهر
وجيده مُعشَجْد
والزند منه واليد
والتاح منه المِسْمُ
ونطقه المُفَخَّمُ
نادى هُداة الأعظم:
لقد أتاه أحمد
بالقلب منه يشهد

أسنانه تحكي الأقاح [100]
فيه لنا رُوح وراح
ووجهه بدر التمام
إذا مشى هَزَّ القوام
أبهى من الزهر الفتيق
شذاه أذكى في الطريق
وطيبه أسمى عبيق
في أجمل الشكل استقام
زهر وُزْبْدُ للأنام
يزهولنا مثل الصباح
كالدر في جيد الملاح
حيّا على هذا الفلاح
بالدر في رَيّ النظام
حُسنًا به هاج الغرام [101]

38

وقال، كان الله له بمنه:

عليك أزكى صلاة الله طيبة
يا من على العرش قد جلت محامدة

أفدي حبيبا بقلبي منه شاهدة
وكلما غاب عن عيني أشاهده

أكرم بوصل حبيب طول غيبته
لا صبر للقلب عنه، كيف مضطرب
أفنى اشتياقي إليه منتهى جلدي
من حبه والجوى والوجد مع شغفي
فيا لغوثاه مما حل في كبدي
كم ذا أجدد أذكّار الحبيب، عسى
ما خاب قط الذي يرجو الحبيب، ومن
محمد من جميع الناس تحمده
من خاتم النور عند الكتف مرقبة
من قلبه بيت ذي العرش استقل به
من لم يكن خلق إنسان كخلقته
فلا شريك له في حُسن صورته
محمد مجتبي الرحمن صفوته
من نطقه بحر سر الله من حكّم
من كفه كحريّر أو كزهر ربا
من ثغره خاتم كالصبح مبسمه
من كفه بحر فضل لا نفاد له
من كفه الجود عم الخلق قاطبة
ما قال: لا؛ قط يوما للعفت، وكم
وذكره عقب ذكر الله من أزل
وأعلنت بمثانيه منابر
ولا تسل ليلة الإسراء عن شرف
وبالمدينة كم طيب وكم أثر
جبال مكة إذ صارت له ذهابا
فصد عنها صدود الليث عن رمم
عوالم الكون قد دانت لخدمته
عليه في مكة في سيره حَجَر
يا أكرم الخلق يا غوث الورى مددا
كيف الخلاص لمن جلت جرائمه
ما للشجى الحلبى غير مدحك في

دامت لعين محبيه مشاهده
والصبر مُرّ وقلبي لا يساعده؟
من ذاق طعم هواه لا يجالده
الله يعلم ما قلبي يكابده
قد حل فيها لهيب الوجد واقده
يحظى بطلعته في النهر راصده
أم الحبيب فقد نيلت مقاصده
وعند ذي العرش قد جلّت محامده
له، وللوحى قد دامت مراصده [102]
لذاك قد حرمت منه مراقده
للمرء قد كلت بهذا عقائده
كم جددت فيه من صب مواجده
قطب الجمال بديع الحُسن واحده
من الغيوب، ولا تُحصى فوائده
منه المصافح خير الطيب واجده
لله أشنب حلو الريق بارده
كم سائل قد كفت منا عوائده
لديهم نُصبت دهرًا موائده
قد أسرع برضى الراجي مواعده
بذروة العرش قد نيّطت معاقده
كما منابرُه أيضا مساجده
قد ناله، وبه خُصت مصاعده [103]
له، وفيها سمت قدرا معاهده
عن نفسه قد غدت حقا تراوده
طه الحبيب، وقد كانت تعاوده
حتى وحوش الخلا كذا جلامده
قد كان سَلَمَ والهادي يشاهده
ذنبى عظيم وقد حُقت مراصده
والقلب منه عديم الصبر فاقدّه!
يوم الحساب إذا تُحصى قصائده

فاشفع له وبنيه، أنت ذو كرم
عليك أزكى صلاة لا نفاذ لها
والآل والصحب والأتباع كلهم
وقال عروسة في المديح:

39

وجه الحبيب قد لآخ
جمال الوضاح
من حبه العشاق
من شدة الأشواق
لثغره البراق
من طيبه قد فآخ
تجبي به أرواح
الأبيض الأزهر
من خده الأنور
وريقه الكوثر
من خاطب الفتاح
وجاء بالأفراح
من قد سررا بـراً
وقد علا ظهرا
وحُف بالنبشري
وقام للأفراح
وجاء كالمصباح
يا أيها المفضال
يا طلعة الإكمال
أنظر إلى أحوال
قد صاغ في الأمجاد
وفيك لي مفتاح

أنت الحبيب وما قد خاب قاصده
ما حُبُّكَ المذهبي في القلب خالده
ما الروض يهتز بالأزهار مائده

على الأكرام [104]
هـيـج غرامـي
أضحوا سكارى
شدوا الإزارا
صاروا أسارا
فـاشـ ونامـي
كل الكرام
زاهي الجبين
كالياسمين
شافي المئين
بالاحتشام
دون اكتتـام
إلى البطـاق
من البراق [105]
من عند باقي
أسـمـى مـقام
جـوف الظـلام
يا بحر سـيـي
يا كنز غـيـب
هذا الخـيـب
دُر الـنـظـام
بـباب المـرام

40

وقال في أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين: المائة إلا واحداً - على نهج الديباطي رحمه الله:
بدأت بسم الله ببدء مجديلا
وثلاث: صلى الله ذو العرش دائيا
على من به الدولى العوالم أكملا [106]

وعترته والصحب والتابعين من
وبعد؛ فأسماءً لذي العرش من أوى
إذا سامها من عبس الكرب وجهه
بها اختص مولانا تعاظم جدّه
وسيلتنا العظمى إلى الله ذكرها
مددت بها كفي إلى الله طالبا
أخاطبه جل اسمه بصفاته
هو الله جل الله لم أرج غيره
رحيم إلهي لم يدعني لغيره
يقدسني القدوس من كل آفة
فيا مؤمن: الإيمان أسكنه مهجتي
بك اعتز قدري يا عزيزي فلم أجد
أذب ملح أهل الكبر يا متكبر
بتدميرهم يا باريء السقم أبرني
دخلت حمى الغفار، لم أخش من طغي
رجوت من الوهاب أمنا ونصرة
لنا افتح أيا فتاح باب النجاة من
ويا قابض اقض روح مؤذ ومبغض
ويا خافض اخفض قدره طول عمره
يا ظهار حقي يا معز أعزني
أجب لي ندائي يا سميع ودعوتي
ويا حكّم اقصم خصمي الظاهر العمى
بلطفك دارك يا لطيف شدائدي
بحلمك ظني يا حلیم محقق
تقبل متابي يا غفور ورجعتي
أعمل مقامي يا عليّ وكلمتي
أطمني دواما يا حفيظ من العدا
أجل عداي يا حسيب بنقمة
أريتم إلهي أنت، أجزل عطيتي
حبيب دعاء العبد حال اضطراره

تلاهم بإحسان فنال التأصلا
إليها بإحصاء وذكر تنبلا
يرى عندها وجه الهنا متهللا
بحار معانيها تفيض لمن تلا
فما أعظم المذكور فيها وأجملا
سؤالي وسؤلي مجملا ومفصلا
بلثم معانيها فمي قد تجملا
ودمت على الرحمن دهري معولا
هو الملك الأعلى به قدرتي اعتلا
سلام يؤلّيني السلام من القلا
ليبقى جمالي يا مهيمن مجتلا
بغيرك يا جبار عزا ومعقلا
ويا خالق اخلق محوهم والتوجلا [107]
وصور فناهم يا مصور بالجملا
فكم أخذ القهار من فاض وامتلا
أليس هو الرزاق حتما وأولا؟
مكيدة طاغ يا عليم بما خلا
ويا باسط ابسط لي المواهب هطلا
ويا رافع ارفعني على رغم من قلا
وأخلد عدوي يا مُذل مُذلا
فأنت بصير لم يغب عنك مُبتلى
فلم أر عن رحماك يا عدل معدلا
فأنت خير بالذي قد تحصلا
فأعظم نوالي يا عظيم وأجزلا
فأنت شكور كل خير تقبلا
وصغر عوي يا كبير وقللا [108]
ويسر معاشي يا مغيث مُسهلا
وكن لي ببشر يا جليل مجللا
رقيب على من كادني وتحبلا
فيا واسع اغمرني ندَى وتفصلا

بأمرِكَ تجري يا حكيمُ منفعي
 بمجدِكَ مجِّدِ يا مجيدُ عوالمي
 شهيدُ علي من شانني متمردا
 ألسْتُ وكيلِ يا وكيلِ على العدا
 إذا استضعفوني، فالتين مؤيدي
 حمِدْتُ حميداً ناصرَ أضعف قوتي
 ومبدئي كل الخلقِ من عَدَم مضي
 وذكرِي يا محيي بنصرِكَ أحْيِهِ
 ويا حيُّ خولني حياةً هنيئةً
 ويا واجدُ؛ أملائي عطاءً ونُصرةً
 ويا واحدُ؛ انصر واحد الغريبة الذي
 إلى الصمدِ اصمُد يا رجائي محققاً
 ولستُ أخاف الخلقَ عند اقتدارهم
 مُقدِّمُ؛ قدَّمْني على رَغم حاسدي
 ويا أولُ؛ اجعلني لدى القومِ أولاً
 ويا ظاهرُ؛ أظهر براهين نُصرتي
 وليتُك يا والي بحُسن عقيدتي
 ويا بَرُّ؛ فرِّحني ببرِّكَ والعطا
 ومنتقمُ مولاي من كل ظالم
 بعفوك قابل يا عفوُ جرائمِي
 ويا مالك الملكِ؛ المُمْلِكُ واقفُ
 ويا ذا الجلال اكسني الدليل جلاله
 ومقسطُ؛ اجعل لي من القسطِ جُنةً
 وعن عوزِي أنت الغنيُّ، فأغنني
 ويا مانعُ؛ امنع حاسدي من إذايتي
 ويا نافعُ؛ انفعني بتعجيل نُصرتي
 إليَّ اهد يا هادي القلوبِ مُسَخِّراً
 آدم لي أيا باقي سروراً ورفعاً
 وأرشد فؤادي يا رشيدُ إلى الهدى
 وأيِّدْ بصدي يا صبور عزائمي

وفي القلبِ هب لي يا ودودُ التبجُّلا
 ويا باعثُ ابعث لي مُراداً مُكَمِّلاً
 فيا حقُّ خذ ثاري، وقل: همُّكَ انجلي
 فما ذل من والي القويِّ الموكِّلا
 وليَّي وليُّ مغنه لم يُخذل الوَلا
 ومحصي أنفاسي ووالي المُنقِّلا
 مُعيدُهُم بعد الممات من البَلا
 مميتُ؛ أمت مَنْ ضامني وتوغَّلا
 بفضلِكَ يا قيومِ اقتادُ مأملاً [109]
 ويا ماجدُ ارفعني جناباً مُبجَّلاً
 يرى الأحَدَ المولى نصيراً وموئلاً
 من القادرِ النصرِ المبينِ المعجَّلا
 ومقتدرُ مولاي فوقهم علا
 وآخرُ غلاه يا مؤخِّرُ أسفلا
 ويا آخرُ؛ اجعل آخري الدهرِ أولاً
 ويا ماحقُ؛ امحِّق من لُصري توَصِّلا
 فيا مُتعالِي؛ أعل لي القدر في المِلا
 وباسمِكَ يا تَوَّابِ رمتُ التوسُّلا
 فكيف أخاف الحيف من حائف غلا؟
 ودُلَّ خضوعي يا رؤوف تقبَّلا
 ببابِكَ يرجو صيبَ الفضلِ مُهْطَلا
 وألبسُهُ ذا الإكرامِ تاجاً مُكَمَّلًا [110]
 ويا جامعُ؛ اجمع لي من الخيرِ مُجمَلاً
 بفضلِكَ يا مغني غنِّي بي مؤملاً
 ويا ضارُّ؛ خرِّب رُكن من كان مُبْطَلاً
 وأقبل بنور النصرِ يا نورُ مُرْسَلاً
 إلى الكون طُراً يا بديعُ مهرِ ولا
 لتورثني يا وارثُ الفضلِ مُجْزَلاً
 إذا لم تُدقني الرشدَ ظَلَمْتُ مَضَلَّلاً
 فبالصدقِ مُرُّ الصبرِ للعبدِ قد حلا

بأسمائك الحُسنى توسلتُ ضارعًا
 فلا شيء أقوى من صفاتك، إنما
 أمرتُ عبادًا بالدعاء بها، فقد
 وُجِدَ واكفني من سامني بإذابة
 بسوجهك لا تحرم غيبك نصره
 بجاه رسول الله يارب كن لنا
 بجاه أبي بكرٍ أجلٍ خليفه
 بجاه أبي حفصٍ أجلٍ موافق
 بحرمة ذي النورين عثمان ذي الهدى
 بطليحة بحر الجود، ثم زبيرهم
 فهب لي نصرًا يا إلهي على العدى
 بحرمة سعيد مع سعيد وعامر
 بحمزة والعباس أبلغ مقاصدي
 بحرمة أهل البيت طُرًّا ونسْلهم
 بجاه جميع الصحب مع تابعيهم
 بخاتم رسل الله؛ هب لي سعادة
 بكل نبيٍّ أو رسولٍ مبلِّغ
 بنوح وإبراهيم أنجز كرامتي
 بموسى وعيسى والذبيح وصالح
 بيعقوب والأسباط طُرًّا، بيوسف
 بيوشع مع يحيى، وداود وابنه
 بأسية مع مريم وكفيلها
 بسائر رسل الله مع أنبيائه
 بحرمة جبريل الأمين ومن أتى
 بحرمة إسرافيل من قام وحده
 بحرمة ميكائيل من كال قطرنا
 بحرمة عزرائيل من شدَّ أزُرّه
 بجاه الكروبيين والروح في السما
 ومن صام، أو من قام محتسبًا، ومن
 ومن تبع النهج القويم سنة

وجئتُ بها بالإلتجاء مرثلاً
 هي السيف للداعي إذا ما توسلاً
 دعوتُ بها، يارب قصدي كملاً
 وخُذ لي بثأري، لا تدعني مُهملاً
 بنُصرتك القلبُ المقرحُ قد سلا [111]
 وليا نصيرًا في الخطوب، وموثلاً
 سما مع رسول الله في ذروة العلا
 لسر كتاب الله لمَا تنَزَّلاً
 بجاه أبي السبطين من طاب منها
 وبالسابق الزهريّ والزاهر الحُلا
 وحُطني وأولادي وأهلي من البَلا
 أمين ذوي الإسلام؛ هب لي مؤملاً
 ومن منهما من ماجدٍ قد تنسلاً
 بمن ضمَّ طه في العباء وجللاً
 برشد وإحسان، ومن إثرهم تلا
 مع السعدا دنيا وأخرى تفضلاً
 بآدم مع شيث، وإدريس ذي العلا
 وألقِ عدوي تحت نعلي مُجدلاً [112]
 وهود وأيوب الصبور على ابتلا
 ويونس من ذي الكفل فوزي تكفلاً
 سليمان؛ سلّمني وكن لي معقلاً
 الرضى زكرياء المزكى المُفضلاً
 وكلُّ وليٍّ؛ هب لي النصر مُقبلاً
 إليه بوحي كان للحق فيصلاً
 بإحصاء ما في اللوح، فازدان منزلاً
 على قسَمِه ذو العرش إياه وگلاً
 بأسماء قهَرٍ قابضاً ومعجلاً
 ومن سبّح الله الجليلَ وهلاً
 تفكَّر في صنْع القدير وطوّلاً
 وتابعها، ما زال في الناس أفضلًا

وميزانَ أعالي بفضلِكَ أثقلاً [113]
ولا تبق لي ذنباً وكرباً مهوَّلاً
إذا جاء حادي الموت نحوي مهرولاً
بقبري، هب لي من لذنك تفضلاً
إلى وجهك الأعلى مع الصفوة [الألى]
وعترته أهل السيادة والولا
على حلبي، فاستقل مقبلاً

أجِبْ دعوتي وارخ بكائي وغرْبتي
لي التَّبعاتِ اضمْنِ إلهي وسيدي
وأيَّدْ بتبشيتِ إلهي عزائمي
برُوحٍ وريحانٍ وأنسٍ ونفحةٍ
بوجهك لا تُحرِمَ عُبيدَكَ نظرةً
وصل على المختارِ والصَّخبِ كلَّهم
وسلِّمْ عليهم ما تعلَّتْ نعاُهم

41

وقال في مديح الحق تعالى، بمعاني اسم الجلالة، وتكراره ابتداءً وختمًا في كل بيت للتلذذ به:

اللهُ ربي اغفر ذنوبي كلها
يا أرحمَ الرِّحماءِ أنت الله

هو واحد في ملكه الله
أزليَّةٌ أو صافه الله
الله لم يُر كفوّه الله [114]
كُنْها، عن الإدراك جل الله
وبكل شيء قد أحاط الله
فالعرش يَفْنَى إن تجلى الله
وعن السميِّ لقد تعالى الله
تر خَلَقَهُ إلا وقلت: الله
وبذاته قام الغنى الله
حَدَّثَ الحوادثُ والقديم الله
أزلا وختمًا في الوجود الله
لم يخلق الموجد إلا الله
ما من إله جل إلا الله
لم يُلِقَ فيها النور إلا الله
فسيما أراد، وقد قضاه الله
ما حاز هذا الوصف إلا الله [115]
لم يرحم المخلوق إلا الله
لم يرزق الأحياء إلا الله
لم ياتهما بالقوت إلا الله

الله جل جلاله الله
الله قد وجب الوجود لذاته
الله لم يولد كذاك ولم يلد
الله يدركنا ولم ندرك له
الله يعلم ما تكن صدورنا
الله فوق الخلق أعظم قاهر
الله أين سَمِيَهُ جَل اسمُهُ
الله منه له الدليل عليه؛ لم
الله أغنى الأغنياء بذاته
الله كان الله لم يك غيرُه
الله يبقى حيث يفنى خلقه
الله ما في الكون طُرا صنعة
الله قد خلق العباد ليعرفوا
الله قد سكَن القلوب بذكره
الله قَلْبَها بوفوق مشيئة
الله معبود بحق للورى
الله رحمنٌ رحيم دائما
الله يرزق ذا الحياة بفضله
الله قد حفظ الأجنة في الحشا

الله في الأرحام دبّر أمرها
الله أخرجها إلى وسع الفضاء
الله أجرى في الضروع حليبها
الله يغني من يشاء من الوري
الله يُفَقِّرُ مَنْ أَرَادَ بِحُكْمِهِ
الله ربي عُـلـدي في شـلـدي
الله أرجوه لدفع شـلـائدي
الله جابـر كسر قلبي دائـما
الله غوثي منجـدي في لـفـتي
الله حـسـبي مـن سـواه فلم يكن
الله يـقـلب كل شيء، لم أخـف
الله غافر زلتي مع هـفـوتي
الله أنسي عامر قلبي به
الله موجود معي في خلوتي
الله منه خاف بطشا عرشه
الله منه الروح يرعد هـيـبة
الله جبرائيل أعطى قوة
الله إسرافيل أشهد البها
الله ميكائيل أولى عدلـه
الله عزرائيل مد بقهره
الله كم غمر الخلائق فضله
الله يعطينا بلا عـوض، ولم
الله يعطينا بلا عـدد، ولم
الله يغفر كل ذنب رحمة
الله للحبـبي مع أولاده
الله للإخوان طوبى للذي
وعلى النبي وآله وصحابه

ما دبـر الأشياء إلا الله
لم يعط ذا الإخراج إلا الله
لم يجـره في الشـدي إلا الله
لم يعط ذا الإغـناء إلا الله
لم يُفـقـر الفقـراء إلا الله
ما عـلـدي في الخـطـب إلا الله
لا يُرـجـى في الكـرب إلا الله
لم يجـبر المكـسـور إلا الله
لم يـنـجـد المـلـهـوف إلا الله
حسبي إذا خـوـفـت إلا الله [116]
شيئا به أبدا أحاط الله
لم يغفر الـزلـات إلا الله
لم يـعـمـر الأسرار إلا الله
إذ ما معي بالعلم إلا الله
متصا غرا مهـما تجـلى الله
لم يـعـل فوق الـروح إلا الله
لم يُقـو جبرائـيل إلا الله
لم يـدـر ما المشـهود إلا الله
في قـسـمه رزقا حـبـاه الله
لم يـقـبـض الأرواح إلا الله
ما جاد بالإحسان إلا الله
يـمـنـح كذا الفضل إلا الله
يـمـنـح بغير الحصر إلا الله [117]
ما عم بالغفران إلا الله
ما إن لهم والله إلا الله
أبد له مادام كان الله
ما دام مُلك الله صلى الله

وقال في مديح الرب جل جلاله، والتزم اسم ضمير الغيبة في أول كل بيت وآخره مكررا
ذلك للتلذذ بهذا الاسم الأعظم، وفي ذلك للمتلذذ به والواعي لمعانيه هنا غاية الغنى:

هو أنت يا مولى الموالى؛ اغفر لنا
الله أنت وما لنا إلا هو

تالله ما سكن الحشا إلا هو
ما هدر كن قرارهم إلا هو
منهم، وما يُطفي الجوى إلا هو [118]
تالله ما شغف الورى إلا هو
بالكنه، ما سلب النهى إلا هو
هاموا به، ما قصدهم إلا هو
عن كل شيء صدّهم إلا هو
ما مُتتهى مقصودهم إلا هو
ما كنز طُلاب له إلا هو
لم يشهدوا بقلوبهم إلا هو
مهما تجلى لم يروا إلا هو
غابوا به إذ ما هم إلا هو⁽¹⁾
فَصَحَّوْا به، لم يعرفوا إلا هو
لم ينطقوا إن أنطقوا إلا هو
لم يسألوا بخطابهم إلا هو
لم يجر مع أنفاسهم إلا هو [119]
إذ لم يكن شيء لهم إلا هو
لم يعبدوا وحياته إلا هو
وبذاته لهم، فنادوا: يا هو
ما قد تفرّد بالبقا إلا هو
ما بالجمال بدا لهم إلا هو
لم يدرك في توحيدهم إلا هو
لكماله، ما للثنا إلا هو
أزلا عليه، ومن له إلا هو؟
وبها المسمى لم يكن إلا هو
للحامدين، وليس ذا إلا هو

هو ذو الجلال وليس لي إلا هو
هو تيمّ العشاق سرّ جماله
هو هيج الأشواق من نار الجوى
هو إن بدا أفناهم شغفاً به
هو حير الأفكار من أهل النهى
هو ذوق النساك شربة حبه
هو أزعج الزهاد عن دنياهم
هو مطلب العباد حال مسيرهم
هو كنز كل الطالبين من الورى
هو قبلة الألباب من أهل الصفا
هو من أفاد العاشقين وصاله
هو من أباد العارفين كماله
هو من أمد بأنسه أهل البقا
هو مسكت أهل الشهود جلالة
هو سُؤْلهم وسؤالهم وخطابهم
هو دائما حركاتهم سكنتهم
هو قومهم وقعودهم لحظاتهم
هو دينهم هو ربهم معبودهم
هو من تفرّد في الوجود بوصفه
هو في الوجود ولا وجود لغيره
هو قد بدا بجماله لعباده
هو عرّف التوحيد كل موحد
هو علم الإنسان كيفية الثنا
هو دل كل الحامدين بحمده
هو قد جلى أسماءه الحسنى لنا
هو ذاكر للذاكرين، وحامد

(1) إشارة لمقام الفناء الاصطلاحي، لا كما فهمه المخالفون للصوفية بأنه الحلول والاتحاد أو وحدة الوجود..

هو لم يكن كَفُؤْ له من خلقه
هو قد أحاط بكل شيء علمه
هو لم يسعه الكون كلا، إنه
هو مانع الأبصار عن إدراكه
هو للعباد مقلب أنى يشا
هو غافر الذنب العظيم لعبده
هو قاتل التوب الشديد عقابه
هو حافظ الإيمان من آفاته
هو أسعد السعدا وأشقى شاقيا
هو حصننا في موتنا وحياتنا
هو مُثَقِّلٌ ميزان أعمال لنا
هو باليمين يُنِيلنا كُتُبنا لنا
هو عند ظن عبده في فضله
هو لم يخيب راجيا إحسانه
هو من حبا أهل المعاصي فضله
هو مُدْخِلُ الحلبي مع أولاده
هو سائر هو جابر هو ناصر
هو مانح الإخوان كل قُصُودهم
هو ذو الصلاة على النبي وآله

ذاتا ووصفا، ليس ذا إلا هو
والغيب لم يُفَرِّد به إلا هو
خلاقه لم يذر كون أين هو [120]
ويرى الجميع، فليس ذا إلا هو
من ذا يُقَلِّب خلقه إلا هو
والعبد لم يغفر له إلا هو
لم ينج من تعذيبه إلا هو
وهو الحفيظ ومالنا إلا هو
ما قدر الأشياء لنا إلا هو
وبحشرنا ما حصننا إلا هو
وعلى الصراط، فما لنا إلا هو
لم يعطنا هذا العطا إلا هو
في حُسن ظن ما لهم إلا هو
لم يشف قلب المرتجي إلا هو
لم يُعْطِ أهل إساءة إلا هو
في رحمة ما إن لها إلا هو [121]
لهم، وليس لضعفهم إلا هو
والمسلمين، ومارجوا إلا هو
والصخب؛ لم يكرمهم إلا هو

43

وقال كان الله بمنه:

صلوات الله ذي العرش على
من له في القلب ذكرٌ قد خلا

سادتي أهل الوفا جنوا على
أعتقوه من جفا لا من جوى
جيرة البان اسكنوا قلبي الشجي
ومذاق الصبر مرّ دائما
يرتجى بالصبر منكم فرج
كيف لا يرجى نوال المصطفى
جوده: الطوفان قد عم الورى

عبدكم عن رِكم لن يرحلا
فالجوى فيكم شفاء النبلا
تعس القلب الذي منكم خلا
لكن الصبر عليكم قد خلا
لم يُجِد بالفضل إلا الفُضْلا
وهو أهل الفضل طرائولا
أو هو الوبل علينا هَطَلا [122]

من ظلام الشرك قد أخرجنا
نور الأبواب منا نوره
وسقى مشروبه الأحلى الذي
وإلى الحق دعانا المصطفى
صاحب السلطان تاج الأنبيا
حجة الله على كل الورى
فيقول الكل: نفسي؛ فاذهبوا
وله النعلان من نور غدا
ويظل الأتقيا والأصفيا
حوضه الطافح ما أطيبه
دلوله كالعرض، شهر عمقه
وله الكيزان كالنجم ازدهت
طينه مسك حصاه جوهر
وكذا الكوثر نهر المصطفى
منه ميزابان فيه يشسحبا
وبذاك اليوم يكسى حلة
وتراه شافعا في الشفعا
وله يومئذ بشر زهى
واهتمام بنجاة أمته
يسجد الهادي سجودا طائلا
فيقال: ارفع فشفعناك في
إمض في سبعين ألفا وادخلوا
لم يطع رضوان إلا المصطفى
يدخل المختار قبل الأنبيا
لم يدع طه محبا في غد
بل يتجّيه ويرضى ربّه
كيف يخشى الحليبي ذنبه
وعليه الله صلى وعلى الـ

إذ إلينا رحمة قد أرسلنا
فسلكنا رشده المسترسلا
ذاق منا منه حبا قد حلا
وكسانا من بهاء حلا
خيرة الأخيار مصباح الملا
في غد حق يغيث الرسلا
لحبيب الله طه الأكملا
ولواء المصطفى زاهي الحلا
فلتطب نفس لها قد ظللا
طاول المسك وفاق العسلا
مثل ألف قامة قد مثلا
تبتغي للشاربين النّهلا
ويواقيت دواما تجتلا [123]
منه في الحوض الشريف الأمتلا
ن⁽¹⁾ من الجنات زائنا ماصلا
كخليل الله، لكن أجملا
والعصاة الواردين الموجلا
لشموس وبدور أخجلا
كي ينالوا من كريم مأملا
يحمد الرحمن حمدا أكمللا
أهل حشر، وارح فضلنا واسألا
جنة الفردوس طابت مدخلا
يفتح الباب ويهدي المنزلا
وكذا أمته قبل الملا
في حساب وعذاب وابتلا
عنه، لم نعرف كطه موثلا [124]
ورسول الله دهر أمتلا
آل والصحب الكرام الكملا

(1) الشخب: ما يخرج من الضرع.

صلى عليك الله ما هب الصبا
في الروض والتفت به أوراقه

هذا الحبيب ووضله ترياقه
أنى لقلبي بعد ذاك فراقه
تالله يُعَذِّرُ في الهوى عشاقه
والجفن قُرَّح بالبكاء أماقه
لا ينقضي من مهجتي إحراقه
لا صبر يقي للذي يشتاقه
للقلب في هذا العنا أرزاقه
قد مُزقت من صَبِّه أطواقه [125]
بالإنظار وقد وهى حملاقه
لكن فؤادي في النوى مقلّاقه
لكن يدوم بطيبة إشراقه
نفّاخه في أرضها عبّاقه
بدر المحيا مشرق غسّاقه
مهما توجه دائما برّاقه
بالورد في روض حلى إلحاقه
لا ينقضي عن سالتيه عبّاقه
كالجوهر انحدرت به أعراقه
يشفي العليل ككوثر أرياقه
كاس الحواجب قد حلى إرشاقه
كالغصن يمشي لا يُرام لحاقه
يُحيي القلوب نفّاخه وعِناقَه [126]
قد شَرَفَتْهَا إذ سرى أذواقه
كالشهد فيها قد جرت أشداقه
فجليسه لا ينتهي إطرّاقه
فردا؛ فأملأك السماء رفاقه
دنيا وأخرى دائما أخلاقه
في الخلق، أفرد حُسنه خلاقه

هذا الحبيب وفي الحشا أشواقه
هذا الحبيب وفي فؤادي قد ثوا
هذا الحبيب وحسنه يسبي النُهي
هذا الحبيب وفيه أفنى لوعة
هذا الحبيب وحبّه نار الحشا
هذا الحبيب وفيه صبري ذاهب
هذا الحبيب وقُربّه عين الغنا
هذا الحبيب وفي غنمي قربه
هذا الحبيب ولم يُسَوِّف مُغَرّما
هذا الحبيب ولم أحلّ عن حبه
هذا الحبيب ووجهه شمس الضحى
هذا الحبيب وطيبه في طيّبة
هذا الحبيب وشعره ليل على
هذا الحبيب جيّنه صبحا يُرى
هذا الحبيب أسيلُ خد صلتّه
هذا الحبيب ورشحه الطيب الذي
هذا الحبيب وجسمه الزهر الطري
هذا الحبيب مفلّج الأسنان، من
هذا الحبيب فديته من أبلج
هذا الحبيب ورُبّعة في قده
هذا الحبيب بعنقه التبرّ ازدهى
هذا الحبيب فواكه الفردوس كم
هذا الحبيب كجوهر الفاظه
هذا الحبيب إذا تراه جالسا
هذا الحبيب إذا تراه ماشيا
هذا حبيب الله قد وسّع الورى
هذا حبيب الله لم يُبر مثله

هذا أبو بكر خليفته الذي
 هذا أبو بكر أجل خليفة
 هذا أبو بكر تخلل بالعبا
 هذا أبو بكر فداه بنفسه
 هذا أبو بكر أجل صحابه
 هذا أبو بكر رفيق محمد
 هذا أبو بكر الذي حمل الحبي
 هذا أبو بكر أتاه مقبلاً
 هذا أبو بكر الرفيق ودمعه
 هذا أبو بكر بعيد وفاته
 هذا أبو حفص أمير المؤمنين
 هذا أبو حفص أعز نبيه
 هذا أبو حفص إمام الأقويا
 هذا أبو حفص الشديد بدينه
 هذا أبو حفص المكاشف سره
 هذا أبو حفص الموافق دائها
 هذا أبو حفص الصدوق لسانه
 هذا أبو حفص أجل مؤمن
 هذا أبو حفص الهام فكم غزا
 هذا أبو حفص اقتدى بنبيه
 هذا أبو عمر أجل مبارك
 هذا أبو عمر وذو النورين من
 هذا أبو عمر الذي استحييت إذا
 هذا أبو عمر الصبور على البلا
 هذا أبو عمر الحليم على الذي
 هذا أبو عمر الشهيد على الكتا
 هذا أبو عمر القتل بداره
 هذا أبو عمر حبيب حبيباً
 هذا أبو عمر الذي جمع الكتا
 هذا أبو السبطين رابع ماجد

بعد النبي قد استطال سبأقه
 أفشى مزيته لنا إنفاقه
 في حب أحمد بُدِّدَتْ أَعْلَاقُه
 في كل حال، لم يزل إشفاقه
 طراً، وبالإجماع صح وفاقه
 في الهجرة العظمى سَمَتْ أَرْفاقه
 بَ بَ بظهره، يا حبذا إِرْفَاقُه [127]
 لما توفي واندهت حذاقه
 كالجمر فوق حدوده مهراقه
 حَزَنُ الفؤادِ مشوقُه خفاقُه
 من الحق مَنْ ضِدُّ لَنَا فَرَّاقُه
 من حين أسلم، فاستطال رَوَاقُه
 لم يترجع في دينه إحناقه
 حتى على ولد يُشَدُّ وثاقه
 فيرى البعيد وإن نأت أفاقه
 عِلْمُ الكتاب، قد استبان وفاقه
 ثَبَّتُ الجنان وللهدى تَوَاقُه
 بعد العتيق، غزا البلاد عتاقه
 من كافر وبجيده أرباقه
 يا حبذا بعد العتيق مساقه [128]
 خبِرْ وخَلْ في المَعاشِ ذَوَاقُه
 منه الحيا في الخلق طاب مذاقه
 تلقاه منه ملائِكُ طُرَاقُه
 ما لم تَزُلْ عن روحه أَرماقه
 سفهاً عليه قد عدى إرهاقه
 بِ دَمٍ لَهُ يشقى به هَرَّاقُه
 ظلماً عليه قد عدا فُسَاقُه
 كم باطل وافى به إزهاقه
 ب، به تورم في التهجّد ساقه
 في موكب الهيجا سمت أسواقه

هذا أبو الحسن الرضى حامي الحمى
 هذا أبو السبطين زوج بتولنا
 هذا أبو السبطين سيف نبينا
 هذا أبو الحسن الذي كشف الغطا
 هذا أبو الحسن ابن عم المصطفى
 هذا أبو السبطين أزهد زاهد
 هذا الذي باهى به أملاكه
 هذا الجليل أبو تراب خده
 هذا النبي وآله وصحابه
 هذا الشفيع له وأهل وداده
 هذا الذي صلى عليه إلهنا

نَسْجُ الضلال لدى الوغا مزاقه
 أَسْدُ الأسود إذا يُشَدُّ نطاقه
 لم تلف عند مبارز أغواقه⁽¹⁾ [129]
 في الحرب عن كرب علت أطباقه
 بحر العلوم ولم تُقَسَّ أعماقه
 وسخاؤه سقت الورى أغداقه
 ذو العرش لما أن طما إملاقه
 فيه لمولاه اعتدى إلزاقه
 وبهم عن الحلبي انزوت أقلاقه
 وبه إلى دار المننا إطلاقه
 والصحب ما هاج الحشا أشواقه

45

وقال وسيلةً بالحروف المقطعة أوائل السور، وهي هذه: الم. المص. الر. المر. كهيعص.

الم. طسم. طس. يس. حم. ق. ن :

إلهي اغفر ذنوبي واعف عني

فلطفك سيدي لطفٌ خفيّ [130]

إليك لجأت، يا مولاي؛ كن لي
 أرويت عن السوى عتقاً اعتماذي
 مَصَّبٌ بحار فضلك دافقات
 ألا املاً قلبي المكسور فضلاً
 لواء معزتي أرفع فوق ذلي
 ملاذي أنت يا مولاي، غوثاً
 صرفت إليك مسألتني لأعطى
 أويت إليك من فقري لأضحى
 لمحتُ بروق بسطك بانكساري
 رجوتُ سعادتي بك منك فضلاً
 ألسنتُ بمحسن بدءاً وختماً
 لك التوحيدُ منا كل لحظٍ

وحتما من تكون له غني
 وقصدي بأبك الأسمى العلي
 فلم يُحرم من الفضل العصي
 فأنت ولينا نعم الولي
 فمَنك يُباح لي العز الجلي
 للمهوف، فأنت به حفي
 عطايا لا يجود بها سخي
 ثرياً لا يدانيني ثري
 سيغمزني نَدَاك السرمدي
 وما عبدٌ رجا المولى شقي
 لك الكرم العظيم الأقدسي
 ومنك يعمنا اللطف الخفي

مننتَ بذكرك الأهل علىنا
رحمتَ الخلق من عاص وبر
كفاؤك من جميع الناس حسبي
هنائي فيك يا مغني افتقاري
يراك العبد أقرب كل شيء
عليك توكل في كل حال
صباح مسرتي أطلّع إلهي
طويت صحيفة الأسباب طراً
هربت إليك من كرب وعسري
طفقت ببابك العالي أنادي
سأمت سؤال غيرك طول عمري
منالي من سواك الفضل دائي
طحى قلبي بنيلي منك فضلاً
سألتك سيدي فرجاً قريباً
يسبحك الجهاد وكل حي
سعيد من سكنت له فؤاداً
صفا توحيدك استجلاه قلب
حلا في القلب حبك يا إلهي
مثابي اقبل إلهي واعف عني
حمدتك حمد معترف بعجز
منا قلبي مديحك والمثاني
قرعت السن من ندمي بذنبي
نجاتي أبتغي من فضل ربي
حروف مقطعات الذكر تسقي
لها جاء عظيم عند ربي
وفيها الاسم لا عظم للذي لم
سألت بها غنى الدارين فضلاً
بها يارب أنجز لي مرادي
إليك وسيلتي أيضاً حبيبي
حبيب في الهواء وقد ترقى

فذكرك في الحشا نغم السني [131]
كعاص يرتوي منها التقى
بيحر نذاك كم شفي الصدي
وفيك لعبدك العيش الهني
إليه دائها، وهو القصي
وقلبي من سواك هو الخلي
فعقلي بالأسى مني سبي
وجئتك والحشا مني شجي
ومن يدخل حماك هو الحمي
إلهي إنني العاصي الغوي
فهل أنا منك بالجدوى حظي
وفضلك علتني شافي زكي
وعن فضل السوى قلبي أبي
بأن يزهي لي العيش الرخي [132]
فأنت بكل كائنة بدني
وروحاً، ذلك العبد السري
بنورك، ذلك القلب الصفي
وحبك في الفؤاد هو الرضي
فروض العفو منك لنا زهي
وحمذك بالكمال لك الوفي
ومثلي بالثناء هو الحري
لصدري من تنهده دوي
بיום ينزوي فيه الكمي
ثرى عسري سحابها السقي
يدل لذا تقدّمها البهي
يكن يدرى له فينا سمي
فها قلبي بموردها روي [133]
فكم قلبي بحر ماني رحي
وقرة عيني الهادي النبي
له فوق الهوى المشي السوي

لكل الأنبياء هذا الرُّقيُّ
له ربُّ يؤيده قـوـي
سِنْهُضُنِي المَدَادُ الأَحْمَدِيُّ
وأصْحَابُ لَهْم تَهَجُّ رَضِيُّ

رقى فردا، وآتى في المعالي
ضعيفُ أحمد الحلبيُّ، لكن
وعيش محمد دنيا وأخرى
عليه صلاتنا والآل طُرّا

46

وقال في آداب يوم العيد ومواعظه، وفضله، وما ينبغي أن يستحضره فيه العبد المؤمن:

فلباسه في العيد كل جديد
وعلى المناكح من حسان قُدود
متبخترًا بطُروزه وبرود
أَمِنَ الزمانَ وفجأةً التبديد [134]
قَصَرَ النعيم بوقته المعهود
لا ذكْر يُخَطِرُ فيه للمعبود
سجن وأُخْرِجَ منه يوم العيد
ما فاتته من مآثم معدود
ويميل بالأوتار حيلة عود
شنعاء تكسف نور ذي تسديد
ما إن أراك سوى أقل بليد
تمتاز عنها بالتقى المحمود؟
كي لا يكون الصومُ بالمردود
فيفوز بالإحسان كل رشيد
تكون رفيق كل طريد
لا بانهاك حَسَنُ ظن عبيد
في حال غفلته وحال شهود [135]
والعفو عن جُرم حليف وعيد
فضلا عليك بأحسن التعويد
بالنور مُحَضَّرًا بلا تجريد
من غير ما دنس ونقض عهد
ومطابقا للقلب في التردد
من نور طاعة ربك المعبود
أو تشرك السعدا بنيل سعد
أعلى الجنان ليومك المشهود

يا أيها الفرحان يوم العيد
وعلى المطاعم والمشارب مقبل
ويجر ذيل التيه ما بين الوري
وبهاله وبعزه وبجاهه
ولبطنه ولعينه ولجسمه
وعلى المعاصي والملاهي عاكف
فكأنه قد كان في رمضان في
فشداد يعوض ما مضى مستدركا
هـ هـ ساجك الأقران ضحكًا فاحشا
هـ هـ النفس مَزْبَلَةٌ لكل قبيحة
الـ لـ زينة وأفسد قلبه
ساويت في هذا البهائم، هل تُرى
هـ هـ بكيت بيوم عيدك لوعة
يوم الجوائز يوم عيدك للورى
إن القبول مغيبٌ، هـ لا خشيت بأن
إن قلت: حَسَنُ الظن. قلت: مع التقى
لا يأمن المكر الحزيم من الورى
فالعيد: أن تعطى الجوائز والرضى
والعيد: عَوْدُ الله جل جلاله
والعيد: أن يبقى فؤادك روضة
والعيد: أن تبقى مطيعا ظاهرا
والعيد: أن يبقى لسانك ذاكرا
والعيد أن يبقى بوجهك حسنة
والعيد: أن تعطى البراءة من لظى
والعيد: أن يُبنى لك الغُرُفَاتُ في

والعيد: أن تُجلى عليك عرائس الـ
والعيد: أن يثنى عليك بحضرة
والعيد: أن تزهى بك البقعة التي
والعيد: أن ترعى لسانك من ضنا
والعيد: أن يرجى مزيدك للهدى
والعيد: حُسن الخلق منك لكل من
والعيد: تنزيه الصدور لمؤمن
والعيد: وصلك راحما رَحْمًا لها
والعيد: رحمتك العميمة للورى
والعيد: أن تسخى على الفقرا بما
والعيد: أن ترضى بأدنى قسمة
والعيد: هضم النفس بالتعنيف في
والعيد: بر الجار والأبوين والـ
والعيد: شكر الله ثم نبيه
والعيد: أن ينوي التمتع طاعة
والعيد: زُهدك في الوجود وما حوى
والعيد: أن تشتاق عينك رؤية
والعيد: أن تُعطى اليمين كتابها
والعيد: أن تلقى نبيك في غد
والعيد: أن يُشفى فؤادك من ظما
والعيد: إرجاح الموازن في غد
والعيد: أن يلقى الصراط وراءه
والعيد: أن تلقى الأحبة كلهم
والعيد: أن تلقى الحبيب وأنت تح
والعيد: أن تضحى رفيق محمد
والعيد: يا حلبى فوزك بالذي

فردوس بالتزويج يوم ورود
صمدية ميمونة الموعود
تأوي إليها طالبا لسجود
مما أتى فيه من التهديد
قولا وفعلًا، يا أخا تسويد [136]
يلقياك دون ملالة وصدود
من كل ضغن كامن وحقوق
بك عُقَّة ما، يا أجل سعيد
من غير تخصيص ولا تفريد
لك قد تيسر دون ما تحديد
أزلية صدرت بخير وعود
ما قدمت في شهرها المقصود
أشياخ والعلماء وكل رشيد
إذ أُرشدك وكنت أهل جحود
إذ ذاك سنة أحمد المحمود
إذ ما سوى المولى حديث وجود
من وجه مولاك العظيم الجود
ليُمَيِّز الأشقى من المسعود [137]
فستُرّه في موكب لوفود
عند اللقاء من حوضه المورد
في الوزن للحسنات بين شهود
من جازه، إذ جاز كل نكود
كالأمهات ووالد ووليد
ت ظلال نور لوائه المعقود
في رؤية الرحمن يوم مزيد
قد قال أهل المدح والتمجيد

47

وقال في مديح الجناح النبوي، وقد ألقى إليه في النوم المصراع الثاني من البيت الأول،
فاستيقظ وبني عليه قوله، وقد كان فتر عن المديح مدة:

صلى عليك الله ما جُليَتْ لنا

لك في النوادي الطيبات شمائل [138]

الله ما في النوم قال قائل:
 نشرابه الأصفى: بدائع وصفه
 وأغص له فكرا ببحر شمائل
 وأشر جواهر نعته بين الورى
 فأجبتة: إني عبيد مديحه
 فأقول: أحمد خير من وطئ الثرى
 كنز المواهب والفضائل ذاته
 لا ترقى جاز سبق الأنبيا
 أفدي حيبا في الهواء مُسائرا
 طال الأوائل والأواخر عارجا
 جلّوا العروس جلّوه في أفق السما
 في قاب قوسين استقل مخاطبا
 قد سدّد الأقوال وهو وسيلة
 رجع الحبيب من الحبيب مكرّما
 وعن الغيوب أتى يُخبر قومه
 أكبرم به من أحمد ومحمد
 وخاتم الرسل الكرام، إمامهم
 الله تبارك وتعالى بكل فضيلة
 ومما حب السلطان قطب الأنبيا
 الله أكبرمه، فأكرم خلقه
 من مثل أحمد في الكرام الأسخيا
 كم شارف⁽²⁾ مسح الحبيب بكفه
 وذوات قطف كم علاها المصطفى
 بين الأصابع منه حقا قد جرت
 كم فاقية كشف الحبيب عن الورى
 صلى عليه الله جل جلاله

جرّد شراب المصطفى يا غافل
 لمحبه، هذا الشراب الكامل
 ما مثلها في العالمين شمائل
 دهرأ كما نشر الزهور شمائل
 والعبد بالأبواب دهرأ سائل
 ما إن له في العالمين نمائل
 من مثل أحمد للمحاسن شامل؟!
 والمرسلين ومن لطفه واصل
 جبريل، ثم انزج وهو الطائل
 لآدعته للوصال رسائل
 وبه استنار أو آخر وأوائل
 من ذا لأحمد في الخطاب مُشاكل؟!
 أتى لنا مثل الحبيب وسائل؟ [139]
 ولبحر أسرار الخفايا حامل
 وله على تلك الغيوب دلائل
 قد كلّمته بالسلام جنادل⁽¹⁾
 رتب له فوق الجميع جلائل
 من مثله في الفضل وهو الفاضل؟!
 قد عمهم من راحتيه فواضل
 من كفه الطوفان دهرأ سائل
 وببابه للأنبياء مسائل؟
 فضر وعها من بعد ذاك حوافل
 بعدت بسير للرياح يطاول
 للظالمين لدى القفار مناهل
 لاسيما الحلبي وهو السائل
 والآل والصحب الذين تكاملوا [140]

(1) الحجر والصخر.

(2) الشارف: المسن والقديم من كل شيء، ومن الجمال خاصة.

48

وقال كان الله له بمنه:

عليك عواطر الصلوات يا من
غدا يسقي المحب السلسيلا

بإكمال السرور لنا كفيلا
ودادكم بها أضحى جليلا
فصار الكون بالبشرى حفيلا
شفى لمحبكم طربا غليلا
ولولا الوجد فيكم لن يمينا
فجرت في الرياض بكم ذيولا
على حجر؛ لراح بكم قتيلا
نجد في العالمين له مثيلا؟!
وفيه المصطفى اختار الحلولا
وباب الله دام لنا مثيلا [141]
بיום حين ذاق السلسيلا
فمصّا منه ريقا زنجيلا
وقد هجر له هجرا جميلا
فما أعلا وما أغلا البتولا
فللزهرراء لم نعرف عديلا
فلم يك بعد تفلته عليلا
غدا عذبا فراتا لن يجولا
وقد نَحَذَتْ على خد مسيلا
غدا سيفا لدى الهيجا صقيلا
بذاك شفى لأصحاب غليلا
لذاك الشق لم نعرف مثيلا
بلا ساق خَطَّتْ تبغي الرسول
حصى يُسمِعْن للصحب المقولا [142]
يسلم إن رأى طه الجليلا
وفيه المصطفى اختار المقيلا
دعاه لهجرة طه خليلا

ربيعُ جمالكم وافى جميلا
وزهرُ الأنس تقطُفه قلوبُ
وفجر قدومكم عم النواحي
وغنى باسمكم في الروض طيرُ
ومال الغُصْنُ مهتَزًا إليكم
نشرتُم للأزاهر ثوب حسن
فلو عرضت معانيكم عيانا
فكيف القلبُ يحمل حب من لم
فيا لله قلبٌ من محب
حبيبُ الله مفتاح التهانِي
وكم غَدًا بريقته رضيعا
وسبْطِيه لقد أعطى لسانا
بذاك اليوم ما رضعنا حليبا
وقبل نغرفا طمة حبيبُ
يشم بذاك ريح جنان خلد
وكم بالريق أبرأ من سقيم
وكم جرح وكم ماء أجاج
وعين قتادة قد رد فورا
وعذْق⁽¹⁾ عكاشة قد هز أيضا
ومن كفيه أنبع خير عذب
وشقُّ البدرُ نصفين امثالا
دعا الأشجار؛ جاءت مسرعات
وسبَح كالطعام بكف طه
وكان بمكة حَجَرٌ عليه
فقلبي غار يغبط غار ثور
هنيئنا للعتيق، فما سواه

(1) العذق: كل غصن يحمل العشب.

أحاط به أبو بكر يقيه
وجاء المشركون وهم حيارى
فقصوا للخطي أثرا جليلا
وأبصر دونهم سدر ورات
وقد نسج العناكب فيه سجفا⁽¹⁾
وقد باض الحمام بباب غار
فيا بشرى أبي بكر بغار
و"ثاني اثنين" قال الله فيه
كم أفعى تلقى عنه فيه
وقد وافى قباء وهو بذر
أسس مسجد التقوى، وصلى
وقد حملته ناقته وسارت
وقد بركت بموضع دار طه
وأشركت المدينة منه نورا
وأنزل ربنا الأملاك طرا
وفوق بقاع أرض أو سماء
وبالبركات حقت والتهاني
فللحلبى هب يارب فيها
ولي والمسلمين اغفر ذنوبا
وصل على النبي وكل آل
وقال كان الله له بمنه :

49

يا أكرم المرسلين قدرا
عليك من ربك السلام [144]

للدمع في وجتي انسجام
كيف التسلي وناز شوقي
وليس لي راحة تُرجّا
في قلبه للحبيب مثنوى
وللجوى في الحشا ضرام
في جوف قلبي لها اضطرام؟
وكيف يبرتاح مستهام؟
بذاك يحلو له الهيام

(1) السجف: الستر. والمقصود شبكة العنكبوت.

(2) يقصد بصاحبه: أبا بكر الصديق رضي الله عنه. والإشارة إلى الآية: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. [التوبة: 40].

لله من مغرم فؤاد
 تهيجهُ للبكاء حَمَام
 يا عاذلي؛ كُفَّ مِنْ ملامِي
 لو ذقت طعم الغرام يوماً
 إن الحبيب الذي سباني
 بطيبة من شذاه طيب
 وأشرق من سناه نورا
 كأنها والحبيب فيها
 دار لذات الحبيب مشوى
 والعرش والعرش مع جنان
 لِقَاب قوسين قد تعلّى
 أدناه رب العباد منه
 رآه حقاً بعين رأس
 خالاه صافاه وهو فرد
 وراجع الله في السجلى
 ولا بن⁽¹⁾ عمران فيه حظ
 "فلن تراني" له اشتياق
 أملاك ذي العرش قد أتته
 به اقتنوا كل ما ترجوا
 فكل وقت ليوم حشر
 خمسون ألفاً بكل يوم
 تزور طه الحبيب دهر
 من مثل طه عظيم فضل
 زديا حلّيني مدح طه
 صلى عليه الإله ما قد
 والآل والصحب من تجلوا

يعتاده الخفض والكلام
 إذا بكّت شجوها الحمام
 فما على عاشق ملام
 لغالك الوجود والغرام
 للبدر من وجهه التمام
 طابت به البيد والإكام
 فما بأرجائه ظلام
 جنات عدن بها المقام
 كأنها العرش إذ ترام [145]
 لتربة المصطفى غلام
 المجتبي أحمد الإمام
 وزال عن أحمد اللثام
 لما تجلى له السلام
 وحظه الأنس والكلام
 والنور في وجهه يشام
 عظيم خطره هو المرام
 إلى التذاني وهو اغتنام⁽²⁾
 على يديه لها ازدهام
 من الأمان الذي يُسام
 إكرام طه قد استداموا
 منهم عليه لها التزام
 لها على قبره احتشام [146]
 من فضله جادت الكرام؟
 في مدحه يحسن النظام
 يلوح من طيبة الخيام
 بهذي طه ثم استقاموا

(1) يعني نبي الله موسى عليه السلام.

(2) إشارة إلى آية قول موسى عليه السلام وجواب الحق له: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اٰیٰتِكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرٰنِيْ ﴿[الاعراف: 143]، والمقصود: ما نص عليه العارفين رضي الله عنهم أن الله عز وجل ادخر دعوة موسى إلى حين معراج النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يرى الحق تعالى بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك من أسرار كثرة مراجعته له في التوسط للحق تعالى في التخفيف عن الأمة الصلاة.

وقال كان الله له بمنه:

الصلاة عليك يا خير هاد
ما تُسلى أذكرك العاشقينا

بسيوف الدلال كم تقتلوننا
فخطفتم قلوبهم والعيوننا
كم قتلتم بحسنكم عاشقيننا
نشج أكفان عاشق تغزلونا
قام شوقا قيامة الناشجيننا
صار ليلكم صبا حقيقينا [147]
فتراهم من الجوى صائحين
كف معنى أنفاسكم لاثميننا
لهم، فانشئوا لكم خاضعيننا
إذ رأوكم تواجدوا بائحين
إن دنوا من خيامكم وافديننا
فاستداموا سكونهم صامتين
لجلالة سيد المرسلين
ويظل أهل التثقا خاشعيننا
وشذاها قد أسكر الناشقين
له روض الجنان راق العيوننا
ناظرين حبيبهم ناضريننا
بالهدايا من أشرف العالميننا
ويبشرهم بها يفرحونا [148]
ويجرك للعشيق الشجوننا
فاح بالمسك والغوالي يقييننا
وكذا الطيبات، المطييننا
بالسلازم كمنطق الناطقيننا
في الفلاء عليه كالعاقليننا
كسلام الأشجار دام سنيننا
قمر عند محضر المشركيننا
ببال مكة، والعدا حائروننا

يَا مَلُوكَ الْجِبَالِ مَا تَرْمُونَا
كَمْ ظَهَرْتُمْ لِلْعَاشِقِينَ الْحَيَارَى
أَقْتُلُوا الْعَاشِقِينَ بِالْحُبِّ وَجَدَا
كَمْ أَقَمْتُمْ غَزْلَانِ بَسْلَعُ وَنَجْدَا
أَمْ حَسِبْتُمْ عَلَى الْأَبْشِيرِ بَرْقَا
أَمْ تَبْأَيْسْتُمْ عَلَى الْغُورِ لَيْلَا
أَمْ تَبْأَيْسْتُمْ رَوْضَ حِمَاكُمْ
أَمْ تَبْأَيْسْتُمْ أَنْفَاسَكُمْ، فَاسْتَكَانُوا
وَتَسَدَّتْ قُبَابُكُمْ فِي قُبَاءِ
كُتُمُوا فِي الْقُلُوبِ أَسْرَارُ حُبِّ
حُرْمُوا حَسْبَةَ رُكُوبِ الْمَطَايَا
رَعَدَتْ لَهُمُ الْفَرَائِضُ رُغْبًا
أَطْرَقُوا هَيْبَةً رُؤُوسًا وَقَارًا
فَهَنَّاكَ الْفَرَقَابُ تَخَضَّعَ قَسْرًا
وَهَنَّاكَ رِيَاضُ جَنَاتِ عَدْنِ
بَيْنَ قَبْرِ وَمَنْبَرٍ لِرَسُولِ الْـ
أَصْبَحَ الزَّائِرُونَ فِي رَوْضِ قَدَسِ
وَجَمَالَ الْحَبِيبِ يَغْدُو عَلَيْهِمُ
وَيَنَاجِي أَسْرَارَهُمْ بِالْتِهَانِي
وَيَسْتَلِي لِقَاؤُهُ قَلْبَ صَبِّ
لَيْبَةٍ مِنْ شَذَاه طَابَ ثَرَاهَا
طَابَ جَسْمَاهَا وَمَنْزَلَا وَضَرْحَاهَا
نَطَقَتْ عَنْدَهُ الْعَوَالِمُ طُرًّا
وَضَبَابٌ قَدْ سَلِمَتْ وَظَبَاءُ
وَسَلَامُ الْأَحْجَارِ أَيْضًا عَلَيْهِ
وَلَهُ انْشَقَّ فِي السَّمَاءِ بَلْخِيلُ
صَارَ فَلَقَيْنِ ظَاهِرِينَ عَلَى أَجْدِ

وعمّوا بعد ذاك عنه، فقالوا:
 فأراهم بالسيف أكبر بطش
 كلّمته الأقمّار في المهد طفلا
 وأتته الأشجار تسعى إليه
 سيدٌ قد أسال بين أصبغيه
 كالصواعق فاض من ذات طه
 وقتادة منه سالت بخد
 ردها المصطفى بأحسن رد
 وبحرب قدر دّ شقّ حبيب
 حين عاجله الحبيب فولى
 وعكاشة سيفه ضاع كسرا
 هز عزق النخيل فرتد سيفا
 حن جذع النخيل أيضا إليه
 حين فارقه فضج بكاء
 فأتاه فضمه خير بر
 فالجهد يحب طلعة طه
 وبذلك أهل المحبة أولى
 بل من الصدق أن يمونا غراما
 ما على من يحب أحمد من با
 فالسلو على المحب حرام
 كيف يفرح قلب من دام ملقى
 من ذنوب تراكمت صار ملغى
 وطّر القلب هل قضى حليبي
 وتكون له وأهل شفيعا
 بجميل ظني رجوتك تقضي
 فوجاهك فيك ظني جميل
 والسلام عليك والآل طرا

إن هذا من صنعة الساحرين
 يوم بدر كانوا من الهالكين
 بمنّا غاتها له في سنين
 سعيّ واع في هيئة الساجدين
 لصحابته زلا لا معينا [149]
 فشفي الشارين والواردين
 عينه، فعالت بذاك العيون
 فسما حسنّها على السالمين
 حين سال وعُدّ في الهالكين
 لالتهام يطاعن الكافرين
 يوم حرب، فجاءه محزون
 قاطعا يدفع العدا والفتونا
 بعد خطبة سيد المتقين
 وخوّاره رجفة وحنينا
 بالمحبين، فاستحب سكونا
 ويهيم بفقد طه حنوننا
 من كرام جماعة المؤمنين
 فالمحبون بالهوى يقتلوننا [150]
 سي إذا ذاق بالغرام المنونا
 بل يبيت من الفراق حزينا
 في مهاوي النوى ذليلا مهينا؟
 شاكيّا باكيا مع المذنبينا
 منك يا مصطفى مع الفائزين؟
 أنت والله سيد الشافعين
 وتؤدّي عني حبيبي ديونا
 بل ظنوني فيك صارت يقينا
 والصحاب الأعظم السابقين

بشراك يا قلبَ المحب الغريب
 أنت غريبُ الجسم يا عاشقا
 إن كان منك الجسمُ خَلَفَ النوى
 اصبر على أعباء كيد النوى
 لا لباس أن تبكي دموع الدما
 والنوح عندي إن عراك الجوى
 سلّم إلى المحبوب سلّم الحشا
 واخرج عن الأكوان مستحضرا
 وقف ونادي في نوادي الهوى:
 فيا حبيبي أنت في شاهدي
 إني على الأبواب لا أنزوي
 حسبي إذا ما لامني عاذلي
 لعل سلطان القلوب الذي
 أرواح أهل العشق في حكمه
 روحي له أولى، لأنني على
 كنز الصفا المختار، بحر الوفا
 إمام كل الأنبياء، المجتبي
 نعمت لواء الحمد كل له
 نزل تحت العرش في سَجْدَةٍ
 قضي له الرحمن ما يرتجي
 منك أن يكسى حُلَّةً أخرجت
 والكوثر الفيّاض في حوضه
 طوبى لمن قد جاءه واردا
 يُلقي رسول الله مع صحبه
 من ذا يُباري المصطفى في العلى
 في حسنه قد جل عن مُشبهه
 نورا وطيبا ذائمه قد حوت
 في وجهه البدر ازدهى مُشرقاً
 راحته كالزبد في ليلته
 كم صافحت كفا فطابت بها

إعطاؤك الزلفى وعطف الحبيب [151]
 وجه حبيب ماله من مغيب
 فالقلب ممن تبتغيه قريب
 فالصبر مفتاح الحلیم اللبيب
 والدمع في خديك غيث سكيب
 تنفيس ضيق عن فؤاد كئيب
 إن أنت مثلي في التصابي مصيب
 خياله الأدنى، وأنت الجنيب
 دعوتني للحُب؛ إني مجيب
 مصباحٌ روحي حاضر لا يغيب
 عنها، ولا أصغى لقول الرقيب
 نصر من الله وفتح قريب
 همنا بمعناه دعائي يُجيب
 إليه سرّاً بانقياد تنيب [152]
 باب رسول الله عبد منيب
 معطي الشفا قلب الوجيع السليب
 وهو لهم في الحشر أسمى خطيب
 منهم دخول في ظلال عجب
 يُطيلها، والحمدُ منه غريب
 في ذلك الجمع وأهل الكئيب
 من كنز عرش للحبيب الحسيب
 يجري بميزانين طعما يطيب
 في حر يوم ذي خطوب عصيب
 يعطي لكل ماله من نصيب
 والفضل والإحسان يا ذا الأريب؟
 أنشأه فردا عليهم رقيب
 من ذا يوازيه بنور وطيب؟ [153]
 والشمس؛ لكن ماها من مغيب
 بل كحريز بل كروض خصيب
 حسنا وطيبا طيب كف خضيب

بالمسح والريق لبرء الضنا
فيه الشفا والله من كل دا
قد وسع الناس بأخلاقه
كلمه في البر أحجاره
وكان يوم الفتح أسخى الورى
حتى هدى الله به من هدى
وقد أتى البيت وفي كفه
أشار للأصنام؛ خرت على
يا سيد السادات يا مصطفى
نجل ابن عبد الحي عبد لكم
والعبد لم يُحرم ندى سيد
صلى عليك الله ما غردت
والآل والأصحاب أهل الوفا

ما مثل طه المصطفى من طبيب
بالريق وأق كل سُقم يذيب
وحلمه، فالصدر منه رحيب
والأيك والعجم، وضب وذيب
يجود بالعفو لطاغ مُريب
من بعد إطلاق الأسارى العجيب
قضيته الممشوق أحلى قضيب
وجوهها تهدي لكسر الصليب
ويا حبيب الله أعلى حبيب
في الباب، لكن بالخطايا معيب [154]
بل فضل مولاه عليه سكب
قُمريّة من فوق غُصن رطيب
ما قام بالقرآن عبد منيب

وقال: كان الله له بمنه:

52

صلى عليك الله جل جلاله
مادام وجهك زاهراً وجميلاً

إصدع بوجدك بكرة وأصيلاً
واصبر إذا طرخت في سجن الهوى
وإذا جرى الحادي بليل، فانتجب
يا عاشقاً وجه الحبيب فمت جوى
لا خير في الدنيا ولا لذاتها
منه الرضى صلة وأكبر عائد
إن شئت برقاً بالأبريق والحمى
كم سل سيف البرق من وادي قبا
أحنوا ظهورهم لطالع نوره
صاحوا وناحوا حين باحوا بالجوى
وتصاغروا وتضاءلوا لجلاله
أرواحهم سكرت بكاس جلاله
بشارك يا من زار قبر محمد

إن كنت تعشق كاملاً وجميلاً
إذ لم تجد لك للخلاص سبيلاً
واجعل خديك للدموع مَسِيلاً
فالصدق فيه أن تموت قتيلاً
إن لم تجد لك من رضاه قبولا
والصّب يرغب أن يرى موصولا
فاجعل على العين الغطاء مسدولاً [155]
في العاشقين؛ فهللوها تهليلاً
أن سل سيفاً بالعقيق صقيلاً
وكساهم الشوق الشديد ذبولاً
وجسومهم زادت بذاك نحولاً
من مثل أحمد من يكون جليلاً؟
أصبحت للهادي الحبيب نزيلاً

أَفْضَيْتَ جَنَاتِ النِّعِيمِ ضَرْيَحَهُ
وَنَشَقَّتْ طَيْبُ الْمَصْطَفَى فِي طَيْبَةِ
شَاهَدَتْ أَنْوَارَ الرَّسُولِ بِدَارِهِ
وَحَلَلَتْ فِي أَرْضِ نَبِيِّكَ ذُو الْهَدَى
قَدْ طَالَ مَا نَزَلَ الْأَمِينُ بِأَرْضِهَا
وَأَتَاهُ بِالْوَحْيِ الطَّرِيقُ مِنَ الْعَلَا
وَإِنِّي إِلَيْهِ مُفَضَّلًا وَمُنَجَّمًا
الْمَصْطَفَى قَطْبُ الصِّفَا بِحَرِّ الْوَفَا
أَكْرَمَ بِأَمْرٍ مِنْ حَبِيبٍ مَجْتَبَى
وَلَهُ لَوَاءُ الْحَمْدِ فَوْقَ الْأَنْبِيَا
وَمَقَامُهُ الْمَحْمُودِ يَرْفَعُ قَدْرَهُ
يُثْنِي عَلَى الْمَوْلَى بِمَا هُوَ أَهْلُهُ
فَيُقَالُ: قُمْ يَا مَصْطَفَى، فَاشْفَعْ لِمَنْ
بِسْؤَالِكَ اسْتَكْتَرَ نَوَالِي وَالْعَطَا
فَضْلِي عَظِيمٌ لَيْسَ يَنْقُصُهُ الْعَطَا
فَتَرَى الْحَبِيبَ مَشْفَعًا وَمَرْفَعًا
سَبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْحَبِيبَ مَكْرَمًا
كَانَتْ وَحُوشُ الْبِرِّ تَأْلَفُ قَرْبَهُ
وَجَنَادِلُ الْأَحْجَارِ تَنْطِقُ عِنْدَهُ
وَسَعَتْ لَهُ الْأَشْجَارُ سَعْيَ مَوْفَقٍ
جَرَّتْ عُرُوقًا فِي الرِّمَالِ وَسَلَّمَتْ
سَبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْحَبِيبَ مَشْرَفًا
جَعَلَ الْمُحْيَا مِنْهُ بِدْرًا زَاهِرًا
وَالشَّجَرَ فَجَرًا أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ
وَالْخُلْدَ صِلَتَا كَالْجَبِينِ وَجِبْهَةِ
وَالطَّرْفَ أَدْعَجَ أَشْكَالًا كَحُلٍّ بِهِ
وَاللَّحْيَةَ اشْتَمَلَتْ بِرُوضِ رِيَا حَنِ

حَاوَلْتُ فِيهَا بِالْحَبِيبِ دَخُولًا
وَعُرَا وَسَهْلًا لَا يَزَالُ حَفِيلًا
وَالنُّورُ لَمْ يَبْرَحْ عَلَيْهِ دَلِيلًا
إِخْتَارَ فِيهَا لِلْمَقَامِ حَالُولًا
فَاسْتَقْبَلَ الْهَادِيَ بِهَا جَبْرِيلًا
وَأَفَادَ طَهَ الْمَصْطَفَى التَّنْزِيلًا
وَشَفَى مِنَ الْقَلْبِ الْوَجِيعَ غَلِيلًا [156]
مَنْ قَدْ أَتَى لِلْعَالَمِينَ رَسُولًا
فَوْقَ الرُّؤُوسِ غَدَا يُرَى إِكْلِيلًا
وَالْأُولِيَا ظِلًّا يُمَدُّ ظِلِيلًا
فِي الْمُرْسَلِينَ مَفْضَّلًا تَفْضِيلًا
وَيَخْرُجُ تَحْتَ الْعَرْشِ يَسْأَلُ سُولًا
أَحْبَبْتُ؛ قَدْ أُعْطِيتُكَ الْمَأْمُولًا
وَأَقَمَ بِبَابِي سَائِلًا مَسْئُولًا
حَاشَا وَكَلَا أَنْ أَكُونَ بِخِيلًا
فِي الْأَنْبِيَا، وَتَرَى الْكَرِيمَ مُنِيلًا
عِنْدَ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا مَقْبُولًا
وَلَدِيهِ تَبَدَّى لِلسَّلَامِ مَقُولًا
بِسَلَامِهَا، وَتَرِيدُ مِنْهُ قَبُولًا
وَإِنِّي يَهْرُولُ حِينَ جَرَّ ذِيُولًا [157]
جَهْرًا عَلَيْهِ وَبَجَلَتْ تَبْجِيلًا
خَلَقْنَا وَخُلِقْنَا حَائِزًا تَكْمِيلًا
وَالشَّجَرَ لَيْلًا فَوْقَهُ مَسْدُولًا
عِنْدَ ابْتِسَامِ الْوَقَارِ جَمِيلًا
لَكِنْ تَرَاهُ مُوَرَّدًا وَأَسِيلًا
مَنْ غَيْرُ كُحْلٍ لَا يَزَالُ كَحِيلًا
لَكِنْ بِهَا سَبِجٌ⁽¹⁾ يَرُوقُ جَلِيلًا

(1) السَّبِجُ: ثوب كالدرع به سواد وبياض، وكأنه شبه لحية النبي صلى الله عليه وسلم وثافتها بالدرع، وبيعض بياض الثوب، الشعرات البيضاء التي ضمتها لحيته الشريفة صلى الله عليه وسلم، وهي لم تبلغ العشر شعرات (10)، وفي الآثار:

والحاجبان سوابغ من غير ما
الثغر أشنب ريقه فيه الشفا
والقد معتدل سوي رُبْعَةٌ
والراحتان له كروض رياحن
أزكى من المسك الفتيق شذاهما
كم اغتنى ذو فاقه بنداها
ما باب فضل الله إلا المصطفى
أيلم بالحلبي ضيم أو عنا
لا يختشي الحرمان من بحر الندى
حققت شفاعته لأهل وداده
وبعزه عز المحب وقدره
صلى عليه الله جل جلاله
والآل والصحب الكرام الأتقيا

قَرَن، لها بلج حكي قنديلا
يشفي غليلا سره وعليلًا
طال القصيرَ بمشييه وطويلا
لينا وطيبا قد أدام شمولًا
أحيى القلوب وأبرأ المعلولا
فالله أودع فيهما التنويلا [158]
وبغير طه لم يكن مدخولا
وبباب أحمد قد أدام حلولا؟
فكفى بأحمد للنوال كفيلا
أفدي شفيعا راحما ووصولا
حاشا وكلًا أن يكون ذليلا
ما جر زهر في الرياض ذيولا
والتابعين هُدهم المقبولا

53

وقال: كان الله له بمنه:

صلِّ يا رب على خير الوري
باب فضل الله مفتاح الكرم

جيرة الجرعاء⁽¹⁾ من وادي إضم
أشموش أنتم مشرقة
نوركم يجلب للروح الصفا
يا بدور الحي يا غرب النقا
كم أرقت الدمع مُذْ أَرَقْنِي
ويح قلبي ما يقاسي من جوى
لم يكن يسلّم قلب فارغ
كم تَبَدَّى بَارِقٌ مِنْ بَارِقِ
صير الليل صباحا بالسنا
قلت: ما هذا الضياء المزدهى
قلت: ما للطيب قد عم الحمى

حبكم في صفحة القلب ارتسم
أم بدور سافرات في الخميم؟
إن تَبَدَّى هازما جيش الظلم [159]
ذكركم أجرى دموعي كالديم⁽²⁾
شوقكم، والدمع ممزوج بدم
عند ذكر البان وجدا والعلم
إن رأى رُبْعَ الحمى من ذي سلم
طالعًا في السهل ليلا والأكم
فتولى الليل فورًا كالعدم
قيل لي: المحبوب في الدار ابتسم
قيل لي: من تُزِيه طاب الحرم

(1) الجرعاء: المكان الواسع الذي فيه حزنه وخشونه، وكأنه شبه به حرة المدينة المنورة التي تحيط بها، وجيرتها هم أهل المدينة المنورة رضي الله عنهم.
(2) الديم: ج ديمة: السحابة المطيرة.

قلت: لما شاهدوه من أَمَمٍ
 قيل لي: من شدة القرب اضطرم
 قيل لي: في حضرة الهادي اضطلم
 قيل: من هيبة طه المحترم
 قيل: من طول النوى الدمع انسجم [160]
 قيل لي: استخفى حياء واحتشم
 قيل لي: ألجمه رعبُ ألم
 قيل: إجلالاً له الظاهر انقصم
 قيل لي: ينبع من قطب الشيم
 قيل لي: عُرِبَ كثير وعجم
 قيل: بل هم مدة الدهر خدم
 قيل لي: لم يحصه كل الأمم
 شمسه مشرقة فوق الأكم
 قيل لي: لكن مُحَيَّاه أتم
 قيل لي: الإصباح عنها ما انحسم
 قيل لي: كلُّ عليه ملتزم
 أو جميع لونه؟ قيل: نعم
 قيل لي: الجوهر قد يُلقَى بفم [161]
 أو رحيق. قيل: كلُّ مُكْتَتَمٍ
 قيل لي: ما شئت فيه من نعم
 قيل لي: فيها رياض وكرم
 قيل لي: فيها بحار وديم
 قيل: من يحصر أشجار النعم؟
 قيل لي: جاءته من غير قدم
 قيل لي: والصخر أيضا والرمم
 قيل لي: قرب لطفه يُغتَنم
 قيل لي: لكن حشاه لم ينم
 من ليال. قيل لي: الحصر انبهم

قلت: ما للركب يبكي في قبا
 قلت: ما للشوق ثم مزعج
 قلت: ما للعقل ثم غائب
 قلت: ما للقلب ثم خافق
 قلت: ما للدمع يجري بالجمي
 قلت: ما للعبد ثم مطرق
 قلت: ما للصب ثم صامت
 قلت: ما للظهر يُحنى للفتى
 قلت: في طيبة نور ساطع
 قلت: كم وفد أتاه زائرا
 قلت: كم زارته أملاك السما
 قلت: صف لي حسن ذات المصطفى
 قلت: صف لي وجهه، قيل: الضحى
 قلت: قالوا: وجهه بدر الدجأ
 قلت: في جبهته الصبحُ ازدهى
 قلت: ورد خدّه أو سوسن؟
 قلت: تبرّج يده أو فضة
 قلت: دُرّ سنّه أو جوهر؟
 قلت: شهّد ريقه أو كوثر
 قلت: قُوت أو دواء ريقه
 قلت: زُبْد كفه أو روضة
 قلت: هل فيها لظام مَنهَل
 قلت: كم جادت على ذي فاقة
 قلت: أشجار عليه سلمت
 قلت: قد كلمه وحش الفلا
 قلت: قد مالت عليه سرحة⁽¹⁾
 قلت: هل نام الحبيب المصطفى
 قلت: كم واصل صوما وطوى

(1) السرح: ضرب من الشجر عظيم طويل.

قلت: من يُغني الفقيرَ الحلبي
ليس لي والله غير المصطفى
ويحيط الحر بالخلق غدا
وعلى حوضٍ لطفه موقفٌ
ويسليهم بقول طيب
صلّ يارب عليه وعلى

قيل لي: ممدوحه بحر الكرم
عندما يُنصبُ جسر مقترح
ولطفه المجتبى ظلّ العلم [162]
يتلقّى أهل حُبٍّ وحرم
وانبساطٍ مع سرور المتبسّم
آله والصحب أقمار الظلم

54

وقال أيضا: كان الله له بمنه:

عليك عواطر الصلوات ما قد
يفسح بطيبة الزهرا شذاكا

نعم؛ قلبُ المحب أبى سواكا
وكل مُناه أنت، وكل قصيد
وروح الروح أنت وروح قلب
إذا كنت الحياة فكيف يهنا
على وادي العقيق عقيق دمعي
هناك العاشقون صحووا وغابوا
لديك قلوبهم خفقت جلالات
تملكت القلوب ومالكها

ولم يُرد الصفا حتى يراكا
تُرى هل في تذللّه رضاك؟!
وأنت حياةٌ من فيه هواكا
لصّب طيبٌ عيش في نواكا؟!
جری لما تدانا من حماكا
وقد نشقوا وقد شموا ثراكا
جلالته الجليل لقد كساكا [163]
يُصرّف في نواحيها علاكا

إليك عوالم الكونين تصبوا
لأنك رحمة الرحمن كنز الذ
دعاك الله نحو العرش ليلا
وخاطبك الجليل بغير صوت
وأكرمك الكريم بكل فضل
إلى حضراته أدناك فردا
وكنّت مؤيدا بصرا وقلبا
وبالتخفيف أبلغك الأماني
وجئت الكونر الأحلى كريما
وشاهدت الجنان وما أعد الـ
أفضت على العوالم بخرجود
جمعت خصائص التقريب فردا
وكل الحسن ذاتك قد حوته

وتلتمس المواهب من نداكا
ذخائر يُرتجى منها قراك
لزورته، وفردا قد دعاكا
سمعت كلامه الأحلى هناكا
كماه عن سواك وقال: هاكا
ومن آياته الكبرى أراكا
فما وقفت لشيء مقلتك
لأمتك الذين قفوا هداكا
ونور البشر والبشري علاكا
كريم بها لرحوم قفاكا
وليس البحر رشحاً من نداكا
وما نال الأكابر بعض ذاكا [164]
وما أحد بحسنك قد حكاكا

فأنت بليلة المعراج حقا
 وحوَر العين ألبست ابتهاجا
 فوجهك سيدي بدر منير
 بخديك الإسالة فيهما قد
 ولحيتك الكثيفة روض آس
 وجيدك جل مُتصِّباً سويا
 سنا بلج منير راق حُسنا
 بُناياك الجواهر والأفاحي⁽¹⁾
 وريقك كوثر كالمسك ريحا
 وجسمك مترف كالزهر غص
 بنانك سيدي قضبان دُر
 خُصصت بحلتي خلق وخلق
 كملت بنشأتي بدء وختم
 وذاتك روضة تلتاح فيها الذ
 ختمتهما وحزت أجل ختم
 وخصك ذو الجلال بخير دين
 وأمتك اصطفاها الله أيضا
 عروس عرائس الكونين خطب ال
 قطفت زهور أسرار الخفايا
 لأنك خيرة الأخيار فردا
 أتيت بمعجزات واضحات
 بسبب الله أنت أجل هاد
 سائر تلك المصلحة زاهرات
 مدحك أحمد الحلبي أدلى
 أمل فيه أفكارا طوالا
 عليك وآلك الصلوات ترا

كسوت العرش نورا من حُلاكا
 وعطرت الفرادس من شذاكا
 وكالليل البهيم ضفيرتاكا
 زها الورد الطري لمن رآكا
 وكالريحان منها عارضاك
 كإبريز يُرى منه سناكا
 فلم يُجْجَب بشعر حاجباكا
 لها فلج يزين بذاك فاكا
 وفيه ما يؤمل من نحاكا
 ورشحك جوهر، والمسك ذاكا
 وكالزهر المفتق راحتاكا
 فلم يُخلق لغيرك حلثاكا [165]
 وتأبى أن تُضاهيها نشأناكا
 نبوءة والرسالة خطثاكا
 وأُفرد في أمورهما قضاكا
 لأكرم أمة لما اجتباكا
 وذلك بعدما كان اصطفاكا
 عوالم من جنى فيها جناكا
 بروض الغيب يسعد من قفاكا
 وقدرك في العلى يأبى اشتراكا
 دلالتها تلوح بمقتضاكا
 تنهت في محبته ذراكا
 كزهر⁽²⁾ أو كزهر خامراكا
 إلى الرحمن ملتصا راضاكا
 وتأنف عن معانيك انفكاكا [166]
 وصحك، والذين قفوا هداكا

(1) ج أقحوان: وهو ورد شديد الحمرة بهيج.

(2) الزهر: الأبيض من كل شيء، وكأنه يقصد الورد الأبيض، والزهر بفتح الراء: الورد الزهري اللون، بين الحمرة والصفرة والبرتقالي.

55

وقال: كان الله له بمنه:

الصلاة عليك يا خير هادٍ
ما تجلّى الصبايحُ أو لاح كوكبٌ

مذ تجلّى وجه الحبيب المقرَّب
دائماً لمعانئه وهو مُذهب
فيه قد وُلد الحبيب المهذب
من بئرج السعود في القدس كوكب
سد الجليل، ولا يضاهيه مشرب
فيه للعارفين للكشف مطلب
للنبيين والورى الفضل يوهب
ذات في شكلها البديع المحبب
عرش، قلب له بذلك يُقلب [167]
له، قد كان نوره وهو يُطلب
ث، أنت، وفيه للكشف مطلب
قلبه لم ينم، ولكن ترقب
فهو يرغب في الوصول ويرهب
في الهجير من حيث يمشي ويذهب
سيره عظم الحبيب ورخب
نوره للعيون كان تلهب
بل من الروض وجه أحمد أعجب
حبذا لون أحمد وهو مشرب
والثنايا جواهر وهو أشنب
نوره من سنا الأزاهر أغلب
وغدائره⁽¹⁾ بها العقل يسلب
أحمر الورد منهما يترقب [168]
بل أجل من الغصون وأطيب
ورار، أبلج سابغ الحواجب أهدب
منه يذهب عقله كل مذهب

لاح سعد السعود والروح أطرب
وطراز الوجود يُشرق نورا
في ربيع الأفراح شهر شريف
سيد المرسلين قطب المعالي
صاحب المشرب الرفيع بتوحى
نور سر الوجود، مجلى الأسامي
صاحب الفضل والأيادي العوالي
مالك الحسن والجمال، فريد الذ
مهبط الوحي والحقائق من ذي ال
نخبة الكائنات أول خلق ال
كنز علم الغيوب من عالم الغي
قطب سير الشهود منها المرامي
شهد الله يقظة ومنا
ظلمته الغمام مذ كان طفلا
كل شيء من الحبيب به في
وجهه الشمس وهو بدر منير
جمع الحسن جمع روض لزهـر
أزهر اللون أبيض الجسم غص
ريقه كالرحيق ريحا وطعما
جيده سطع به فاق حسنا
شعره الليل فوق صبح المحيا
وبخديه للإسالة حسن
قده الغصن، لا كغصن رياض
أدعج الطرّف أشكل ذو احـ
من رآه بديهة وهو فرد

(1) ج غديرة، أو الغدار: وهو ما سال على وجه الفرس من اللجام، وكأنه يشبه به شعر النبي صلى الله عليه وسلم المسبل على وجهه الشريف، أو يصف به اللحية المطهرة..

عند رؤيته العقول جميعا
كيف يُدرَك بالعقول جمال
ثم نُوزِتْ أخذته رعدة بطش
أمنية مات من سر طعن
أشجع الناس أوقع الناس قدرا
أظهر الناس محبته وأصولا
فاض ماءً بين أصبعيه عيانا
وإبراحته الطعام جهارا
كفّه كم شفت جراحا ودا
وأته الأشجار تبغي امثالا
جلبت بلجام قهر إليه
استزار الإله منه قدوما
هو بدر السرى سرى مع سرة
سيره راكبا زيادة قرب
حجب الأصفاء طرا، وطه
أكرم الله طرفة بشهود
في الهواء مشي الحبيب غريب
مكذا يصطفي الحبيب حبيبا
يرتجي الحلبي منه قبولا
مالأثامه سواء شفيع
والصلاة ثم السلام عليه

تختشى وتُرد عنه وتُغلب
بالجلال من الجليل مُحجَّب
فتقهقر عن أذاه وأضرب!
منه عن سر ذلك الطعن أعرب
أطيب الناس عنصرا، وهو أنسب
ومن النجباء أحمد أنجب
ذاك في المعجزات والله أغرب
سبح الله كالخصي وهو أوجب
إن مسح كف الحبيب مجرب
وتجر عروقها وهي تجذب [169]
لسوى أشرف الورى ليس تجلب
فلذا جيء بالبراق ليركب
من ملائكة، وذاك أنسب
فهو من أقرب الأقارب أقرب
سيد الأصفياء ما كان يُحجب
فرآه، وذاك أشرف مطلب
ثم رؤيته المهيمن أغرب
ويُحسّالا محبوبه ويقرب
وارتواء من حوضه حين يُنصب
والشفيع يُجير من كان أذنب
وعلى آله ومن كان يصحب

56

وقال: كان الله له بمنه وغفر له: [170]

صلاة الله والأمل طرا

على خير الورى قطب الكرام

إليكم قادني بكم غرامي
على أبوابكم وقف اختدامي
ويحلو فيه لي أبدا مقامي
فمن هجري جمالكُم اعتصامي
فحرّم حبكم منه فطامي

بكف هواكُم أبدا لجامي
أنا وحياتكم عبد طريح
أنا الصَّبُّ المتيم في هواكم
أعوذ بحسنكم من مر هجر
سكرت بكأس حبكم رضيعا

قد التزم الفؤادُ لكم ودادا
وإن القلب مستلّم رضاكم
رضى الهادي رسول الله غنم
ومن لي أن أزور له ضريحا
أنكس عنده رأسي حياء
وأمسح شيتي ومصون خدي
حبیب جسمه غص طري
فلم يبرخ به حيا جميلا
يصلي مع ضجيعه⁽¹⁾ ويجني
ويعبد ربه في اللحد حقا
حبیب إن بدا منه المحيا
كأن الشمس طالعة إذا ما
بخديه الإسالة ذات حسن
جبيناه وجهته تراها
ومن شفّيته كان البرق يزهو
له الأسنان در أو أقاح
إذا ينحط من صبيب تراه
إذا يمشي الهويّنا؛ قلت: بدر
إذا تلقاه فردا ذا جلال
جلالته ترد العين عنه
ومن يقوى محقق في عظيم
بآدم نوّره قد كان يزهو
تبارك من أبان له المعالي
نبي الأنبياء أجل هاد
من الحلبي يغشاه دواما
وأهليه وأصحاب كرام

كما التزم الخطيم أخو التزام
عسى أن تجبروا أهل استلام
لمن يأوي إلى أصل اغتنامي
له قدر لدى الرحمن سامي
إذا وافيت من باب السلام
بثرب ضم مصباح الظلام [171]
بقبر قد حكى زهر الإكام
مليح شمائل خلوا ابتسام
زهور الكشف من روض الأسامي
بأنواع العبادة باحتشام
يلخ من وجهه بدر التمام
يلوح له المحيا في الأنام
فريد جل عن درك انقسام
كبرق إن بدا أو كالحسام
إذا فتح الله⁽²⁾ عند الكلام
مفلجة بديعات انتظام
كغصن البان معتدل القوام
وشمس مشرقان بلا غمام
يذوب الجسم منك بالانفخام [172]
إذا نظرت إليه لدى التحام
بعين الله يُلحظ في الدوام؟
وفي إدريس مع نوح وسام
وكان الكون في حجب انعدام
إمام الأسخيا قطب الكرام
سلام قد حكى مسك الختام
وأتباع لهم بالإحترام

(1) يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

(2) الله: زائدة لحمية في سقف الفم، وكأنه يقصد بها الفم جملة أو يشير لخطب النبي صلى الله عليه وسلم ورفعته الصوت عندها.

صلوات الله ذي العرش على
سيد الكونين طه المنتقا

رتعوا في قلب صب عَشِقَا
فارق الجسمَ وبالْقَلْبِ التَقَى
قتلوا من في هواكم صدَقَا [173]
قلْبُهُ بالرعب وَجدا خفَقَا
وجدوا قلبي لديهم سبقَا
قيّد الجسم وروحي أطلقَا
فبكيت الدمع جمرا محرقَا
وثيابُ الصبر شوقي مَزَقَا
أورأيتُ النور أبكى فرَقَا
أن رأى النور بنجد أبرَقَا
واسستكانوا إذ رأوه مُشْرِقَا
إن على أطلال سَلَع أورَقَا
يقتل العشاق صرعا باللقَا
يجذب الأرواح مهما عبقَا
نفحة الفردوس ركبا أنشَقَا
تشرح الصدر وتؤوي المُشْفَقَا [174]
تبسّط الأرواح من أهل التَقَا
وجنّاحُ الأنس فيها أخفَقَا
ورسولُ الله فيها اعتنَقَا
وحده الخلاقُ فينا خلَقَا
كان خير الناس طرا خلُقَا
أفصحُ الناس إذا ما نطقَا
لم يشاركه به من سَبَقَا
نورُه مد ظلالا مطبقَا
أوهو الشمس إذا ما أشرقَا

يا رعى اللهُ ظباءً بالنقى⁽¹⁾
قد عجبنا لنِفَارِ مِنْهُمْ
بأبي سرِّبَا إذا ما التفتوا
وإذا ما قد رآهم عاشق
كلما سارع ركب نحوهم
جل من عنهم لديهم دائِما
بان عند البان صبري عنهم
كيف يبقَى لي اضطبارٌ بالحِما
إن ذكرتُ الغور أبكى شَجْنَا
م بكى ركبٌ لديهم طربَا
م رأوا من بارق في بارق
كم محب مات وجدا وجوى
فهناك اشتد سلطان الجوى
لا تسل عن طيب ذِيَاك الحمى
حبذا طيبٌ ضريح فائح
روضةٌ من جنة فيه لنا
برسول الله طارت جنةٌ
كم لجبرائيل فيها من وطا
طال ما قد زارها مختفيا
جل من أفرده في قدره
جلّ خلَقَا واحدا طه الذي
أكملُ الناس وقارا وحيا
أجملُ العالم حُسْنًا كاملا
إن بدا منه المُحَيَّا بغتة
هو بدرٌ إن تجلى مقبلا

(1) النقا: الكتيب من الرمل.

نورٌ بدر و ضياءُ شمسٍ لقد
 لجبينيه ضياءٌ لا مع
 كحسامٍ مُضِلَّتْ جبهتهُ
 روضةٌ قدسية لحيته
 خَلَّتْهَا للورد والريحان من
 ما أَجَلَّ المصطفى مبتسما
 جنةٌ والله ثغر المصطفى
 جنةُ المأوى حكى منفحاً
 ريقه: الشهدُ شفاءٌ ودوا
 وبه قوتٌ رضيع جائع
 ريقه: الكوثرُ ما أطيبه
 فيه قوتٌ و شرابٌ و شفا
 سلسبيلُ ريقه يشفي الظما
 ثغره الأشنبُ ضاهى خاتما
 قدّه: غصنٌ، ولكن لطفه
 مشيئه: الهون، ولكن سرّه
 مُشربُ اللون، ولكن أزهرُ
 أدعجُ العينين طه أبلجُ
 فاحم⁽¹⁾ الشعر مُثنّى مُرسل
 طيبه الذاتي⁽³⁾ ما أعظمه
 ولأخذ الطيب من جسم له
 أفضل الطيب لقد كان لها
 ناعمُ الكفين رُحْبُ الراحة
 يا هنيئاً للذي صافحه
 يجد الطيبَ عليه عابقاً
 قام كلَّ الليل طه حَسْبُهُ

جُجعا في وجهه إذ أبرقا
 تحت ليل الشعر يحكي الفلقا
 ترسم الأنوار في أهل اللقا
 كل طيب ريحها قد أعبقاً [175]
 خده مع عارضيه طَبَقاً
 عند مجلى بشره في الملتقى
 فَتَحُهُ يُخْرِجُ نوراً مطبقاً
 ووعاء الدر أيضاً مغلقاً
 كل داء عند ثقل محققاً
 قد كفاه عن حليب دَفَقاً
 طَعْمُهُ يحیی الفؤادَ المَحْرَقاً
 ودواءٌ للضُّمنا إن بصقاً
 أو رحيقٌ لمحِب رُوَقاً
 جوهراً الأسنان فيه اتسقا
 من غصون البان أضحى أرشقا
 أبطن الإسراع فيما حققاً
 أبيض صاف مليح منتقا [176]
 سابغ الحاجب، لكن رُقَقاً
 عَقَص⁽²⁾ الشعر، وحيناً فَرَقاً
 عطَّر الأرض وأذكى الأفقاً
 سَلَّتْ⁽⁴⁾ أم سليم عرقاً
 عَرَقُ المختار فيما اتفقاً
 من الغوالي منهما لن تُفَرَقاً
 أطيّب الطيب بكف رُزَقاً
 بعدما ودّع طه الأصداقاً
 من كطه بقيام صدقاً؟!

(1) الفاحم: الشديد السواد مع بريق.

(2) عقص الشعر: أي ضفّره.

(3) يعني أن طيبه نابع من ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم، فضلاً عما كان يتضمن به من العطر.

(4) أي: أخرجت وجمعت.

قَدَمَاهُ وَرَمَاهُ قَدْ شَكْتَا
 سَيِّدُ الْعُبَاد طَهَ الْمُصْطَفَى
 قَدَّمَ الْذَاتَ بِذَاتِ اللَّهِ فِي
 كَمِّ لَهُ فِي غَزَوَاتٍ قَوْمَةٌ
 "لَمْ تَرَاعُوا لَمْ تَرَاعُوا" قَالَ ذَا
 كَانَ لِلْأَصْحَابِ فِي يَوْمِ الْوُغَى
 كَرِيحٌ مَرَسَلَاتٍ فَضْلُهُ
 حَيْثُ مَالُ الْفِيءِ وَافٍ فَوْقَهُ
 فَالْجَاهِدَاتِ لَطَهُ قَدْ صَبَتْ
 كَيْفَ لَا يَصْبُو إِلَيْهِ الْحَلَبِيُّ
 إِنْ ظَنَنْيَ بَلْ يَقِينِي قَدْ قَضَى
 فَوَجَّاهُ الْمُصْطَفَى؛ إِنْ لَفِي
 وَعَلَيْهِ اللَّهُ صَلَّى، وَعَلَى

مَنْ قِيَامٌ فِيهِ لِلْقُرْبِ ارْتَقَى
 حَقَّقَ تَقْوَى اللَّهِ وَاللَّهُ اتَّقَى
 نَصْرَ دِينِ اللَّهِ حَتَّى اتَّسَقَا
 لَمْ يَقُمْ فِيهَا شَجَاعٌ مَتَقَى [177]
 لِأُولَى بِلَدَتِهِ إِذْ سَبَقَا
 وَقَدْ اشْتَدَّ الْوُغَى نَعَمَ الْوَقَا
 كَمْ أَفَاضَ الْجُودَ فَيَمُنْ أَمَلَقَا
 وَلَهُ يَابِسُ عَوْدُ أَوْرَقَا
 وَعَلَيْهِ سَلَّمْتُ عِنْدَ اللَّقَا
 الَّذِي فِي مَدْحِهِ قَدْ أَرَقَا؟!
 بِنَجَاتِي مِنْ هَلَاكِ وَشَقَا
 نَعَمَ لَا يَنْقُضِي مِنْهَا السَّبَقَا
 آلَهُ وَالصَّحْبَ أَرْبَابَ التُّقَا

هـ قال: غفر الله له بمنه، مذيلاً بيت عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وخاتماً به:

إِنَّمَا بِهِ مَنْ بَشَرٌ لَمْ يُلَافَ كَالْبَشَرِ
 يَرِ انْزِلَ النَّاسَ مِنْهُ بَعْضُ ظَاهِرِهِ
 بِأَنَّ حَقِيقَتَهُ عَنْ أَنْ يَحِيطَ بِهَا
 هـ شَكَلَ صُورَتَهُ الْمَخْصُوصُ مِنْ أَزَلٍ
 فِي وَجْهِهِ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْجَمَالِ لَنَا
 فِي وَجْهِهِ قَمَرٌ بِالْأَنْسِ مُشْتَمِلٍ
 خَزَائِنُ الْحَسَنِ فِي أَجْزَاءِ صُورَتِهِ
 فَيَاضَةٌ ذَاتُهُ الْإِحْسَانُ عَنْ مَدَدِ
 اللَّهِ أَوْدَعَهَا سِرُّ الْعُلُومِ بِهِ
 الْوُحُ النَّبَوَّةُ فِيهَا لَاحَ مَتَّقِشَا
 عُرُوسَ مَمْلَكَةِ الْأَمْلَاكِ طَالِمُهَا
 فِي أَحْمَدِيَّتِهَا التَّخْصِيصُ مَقْتَصَرٌ
 آيَاتُهَا فِي مُسَامَاها لَقَدْ ظَهَرَتْ
 أَوَّلُ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مَبِينَةٌ

إِذْ لَيْسَ صُورَتُهُ وَاللَّهُ كَالصُّورِ
 وَكُنْهُ بَاطِنُهُ فِي عِلْمٍ مَقْتَدِرٍ
 أَمْثَالُنَا؛ إِنَّهَا مَطْوِيَّةُ الْأَثَرِ [178]
 أَحَاطَ بِالْحَسَنِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ
 وَالشَّمْسُ تَبُو عَنْ الْإِدْرَاكِ بِالْبَصَرِ
 وَالْأَنْسُ يَحْضُلُ لِلرَّائِي مَعَ الْقَمَرِ
 لَكِنْ مَفَاتِيحُهَا: الْإِمْعَانُ بِالْفِكْرِ
 عَلَى الْعَوَالِمِ فَيَضَاغِيرُ مِنْحَصِرِ
 وَبِاطْنُ السَّيْرِ فِيهَا غَيْرُ مُسْتَرِ
 حُرُوفَ مَخْتُومِهَا مِنْ غَيْرِ مُسْتَطَرِ
 إِنْ الطَّوَالِغُ مِنْهَا جَمَّةُ الْغُرَرِ
 بِأَنَّهَا مَظْهَرُ الْآيَاتِ وَالسُّورِ
 ظُهُورَ شَمْسِ الضُّحَى فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
 لَكِنْ مَنَظَرُهُ يَنْبِيكَ بِالْخَبَرِ

58

وقال: غفر الله له بمنه:

صلى عليك الله يا خير الورى
ما غرد القُمريُّ⁽¹⁾ في الأوراق [179]

فعساك أن تحظى بطيب تلاقي
فالعزم يطوي شقة الآفاق
قد يطلعون لعاشق مشتاق
لهم، وكم نفروا عن العشاق
إن الدلال محرك الأشواق
بالأبرقين مواطن الإبراق
كم مذمّع في حاجر مهراق
فينا ملوك الحسن بالإطلاق
طربا وشوقا بالحشا الخفاق
ملقى على العتبات بالإملاق
ركب ألم بهم بُعيد فراق
هم كعبة القصاد والطراق
لديارهم بالوخذ والإعناق [180]⁽⁵⁾
نور الوجود وصفوة الخلاق
أحيى بذاك مكارم الأخلاق
وبسره أسره في الأذواق
أحد من الكبراء والسُّباق
حضرات جلّوته على الرزاق
أورحة صدرت لذي إشفاق
باب العطاء مُفَتِّح الأغلاق
وبنان أحمد قاسم الأرزاق
سر الخطاب إذا تجلى الباقي
في حضرة جلّت عن الإلحاق

صبرا أخوا التبريح والأشواق
أرقب نجوم الوصل في أفق النوى
فبدور سلّع في الخيام تحجبوا
بل هم ظباء والقلوب مراتع
نفروا دلالا عن عشيق جماله
كم عاشق قتلوا وكم صبّ سبوا
أجروا دماء محاجر في حاجر⁽²⁾
أفنى رسوم العشاقين بقاؤهم
إن قربوا أو أبعدوا صبا؛ بكى
كم عاشق بفناء أبواب لهم
ما انفك مرتشفا جدار حماهم
ما يمم العافون⁽³⁾ مثل ربوعهم
حثوا المطايا في السباب⁽⁴⁾ والرّبا
ما قضدّهم إلا الحبيب المصطفى
محبي رسوم الفضل بعد دروسه
من أطعم التوحيد كلّ موحد
لم يعرف التوحيد قبل المصطفى
بل عرف الأرواح بالتوحيد في
ما قد توجّه للورى من نعمة
إلا بواسطة الجيب، لأجله
الله أعطى خلقه أرزاقهم
كم قد تلقى عنهم من ربه
إذ لم يطبق هذا التلقى غيره

(1) القمري: طائر يشبه الحمام. (2) حاجر: موضع في طريق مكة المكرمة، وكذا الأبرقين.

(3) العافون: طلاب الفضل والمز.

(4) ج سبب: الأرض المستوية الجداء.

(5) الوخذ: الإسراع في الشيء مع اتساع الخطو، كالحماء، الإعناق: المسارعة والسير المنبسط.

من قد رقى السبع الطباق بجسمه
دُعِيَ الحبيبُ إلى الحبيب بزُورَةٍ
فاغْتَبَّ لبدرٍ قد سرى من مكة
جَلَوَ العروس جَلَوُهُ في الأكوان في
وعلى معاريج الكرامة قد سما
حظي الحبيب من الجليل برؤية
ولقد تمناها الكلِّيمُ، فَحُصِّنَتْ
بين الكلام ورؤية الباقي لقد
وذخائر الملكوت والجبروت قد
واللوح للهادي ألح علومه
وأُتِيحَ من أم الكتاب زيادةً
وأُتِيَ الجنان وقد كساها بهجةً
وأُتِيَ يُخَبِّرُ قومه عما رأى
أبدى علاماتٍ على تصديقه
ولصحه أجرى زُلالاً دافقاً
يا حبذا صحبٌ ظمأ في الفلا
وَسَعَتْ له الأشجارُ تخطوا في الثرى
قد ظللت في الهجير غمامة
وعليه سلَّمت الوحوش وأعربت
وإليه مال الفيء حيث يميل من
فاخضر ناخره⁽¹⁾ وأثمر بالجننا
كنزُ الجلالة والمهابة وجهه
يا سيد الكونين يا أوفى الورى
إني على أبواب مدحك واقفٌ
أجاءوا عرائس وصفيكم لمحبيكم
من ينشل الحلبي غير المصطفى
م قد أجار المستجير من العنا
على عليه الله جل جلاله

وبروحهِ؛ أكرم به من راقى
فسما إليه على أجل مراقى
للمسجد الأقصا بظهر براق [181]
ذاك السرى الأسمى أجل رفاق
للعرش أكرم زائر وملاقى
مانالها أحدٌ على الإطلاق
في خذر تخصيص وحكمة باقي
جمع الحبيب وخص بالأعلاق
سيقت له في خلوة وتلاقي
من كنز ساق العرش أكرم ساق
من علم غيب فائض ذفاق
من نور بهجة وجهه البراق
في ليلة المعراج من أعلاق
كانت له من أوضح المصداق
بين اضبعيه كمَنْهَل رَقْرَاق
ولهم رسول الله أكرم ساقى [182]
سغى امريء لحيبه نواق
كانت له في الحر أعظم واقى
عن بعثه كدواجن ونياق
شجر، وأورق يابس الأوراق
سبحان ربي المالك الخلاق!
لم يُسبق للرائين من أحداق
بالعهد والميعاد والميثاق
أستوقف الأبواب من حُذاق
وينظم جوهره شددت نطاقى
من وحل دَيْن جالب الأغلاق؟
وأزال خطب الفقر بالإنفاق
والآل والأصحاب خير رفاق

(1) أي منخور الأوراق وذابلها.

59

وقال: كان الله له بمنه، في الوسيلة بسيدنا [183] معروف الكرخي رضي الله عنه:

والقلبُ من ألم الجوى مخطوفُ
كيف اصطباري والحشا مشغوفُ
وحبيبُ قلبي والحشا: معروفُ
في السابقين له العلى معروفُ
مَن ذكره في العارفين سُنوف⁽¹⁾
أنوارُ قُدسٍ سرّها مكشوفُ
ولله تجلّي بالجمال رؤوفُ
يا حبذا المشهودُ وهو لطيفُ
حتى علا لمقامه التعريفُ
طفلاً كإبراهيم وهو عروفُ
أبدى له التوحيد وهو ضعيفُ
زهرت بتوحيد الجليل حروف [184]
وإنزال رجس عنها وكسوفُ
وافى صغير السن وهو حنيفُ
للكفر منه بادر التزييفُ
سعدت به في العالمين أُلوفُ
وببابه منهم ألم صنوفُ
وعروسُ حضرة كشفها المزفوفُ
مِن ذاك منظره الجليل مخوفُ
مِن ذاك ناظره عرته صروفُ
فلباسها بين البلاد شُفوفُ
فيها؛ لقد قُصرت لنا التكييفُ
وله بهازهرُ الجمال قُطوفُ
في الأولياء الحكم والتصرفُ
وله مقامٌ في القلوب شريف [185]
للواصلين ظلّهم موقوفُ

جفني على سكّب الدما موقوفُ
لا صبر لي عمّن بقلبي حُبُّهُ
إن المحبَّ إلى الحبيب لشائقُ
هو ذلك الكرخي قطبُ الأصفيا
سلطانُ أهل الحق ناجُ رؤوسهم
مَن عينه في عين ذي العرش اجتلت
هَجِيرُهُ أنس الشهود، وذكره
بشهود مولاه اعتلى استغراقه
سبحان من حلاه بين عباده
آتاه ذو العرش المهيمُنُ رشده
ودها معلّمهُ بمكتبه وقد
إذ كلما كتب المعلمُ أحرفا
فبذاك أسلم والداه لأجله
والله أنبته نباتا طيبا
والحكم⁽²⁾ أوتي في صباه كرامة
قطب الطريقة والحقيقة والهدى
شيخ الأكابر قطبهم وإمامهم
شمس المعارف واللطائف كنزها
وله المهابة والجلالة في الوري
مِن ذي الجلال لقد عرّته جلالة
طوبى لبغداد التي عمّرت به
خلواته بحبيب به لا ينقضي
جلواته فيها مشاهدُ ربه
أفدي جمالياً جلالياً له
ملاً الجوارح والقلوب محبة
في الواصلين له معاً قد راية

(1) أي: يشنف السامع ويطر بها.

(2) الحكم بمعنى الحكمة، وبمعنى الحكم والسيطرة، لمكانته في قريش والعرب، والأول أقرب للسياق.

في الزاهدين له شعائر بهجة
 كن لي أبا محفوظ الأعلى لدى
 فبجاه قدرك لا تخيب مقصدي
 وانظر إلى حالي فإني حائر
 قد صرت مَلْعَبَةً لِنَفْسِي والهوى
 السَّيِّئِ مَعْرُوفٌ يَا حَامِي الْحَمَى
 يَا سَادَةَ الْقَصَادِ إِنِّي طَائِفٌ
 أَنِ مِنَ الْعَافِينَ يَا بَحْرَ السَّنْدِ
 إِنِّي وَقَفْتُ بِبَابِ فَضْلِكَ سَيِّدِي
 يَكْفِي مُحِبِّكُمْ صَيَانُهُ حُبِّكُمْ
 وَنَحْبُ أَهْلِ الْفَضْلِ لَمْ يُهْمَلْ وَلَمْ
 بَلْ يَشْفَعُونَ لَهُ وَيُعْطَى فَضْلُهُمْ
 فَهُمْ رَجَالٌ لَا يُضَامُ نَزِيلُهُمْ
 يَا رَبِّ بِالْكَرْخِيِّ وَجَّةٌ لِي الْغِنَا
 هَبْ لِي الْخِلَاصَ بِجَاهِ مَعْرُوفِ الرِّضَا
 يَا رَبِّ وَجَّةٌ وَجْهَ رِزْقِكَ نَحُونَا
 يَا رَبِّ سَخَّرْ لِي الْقُلُوبَ وَأَهْلَهَا
 أَنَا مِنْ ضَيُوفِكَ عِنْدَ وَطْأَةِ فَاقَتِي
 أَنْجِزْ إِلَهِي جَبْرُ كَسْرِي بِأَلْسِنَا
 بِالْمَصْطَفَى وَعَتِيقِهِ فَارُوقِهِ
 وَبِأَلْسِنِهِ وَبِصُحْبِهِ وَبِحُزْبِهِ
 وَعَالِيَهُمْ أَزْكَى السَّلَامِ مَعْطَرَا

وقال: كان الله له بمنه:

60

صلاتك يا رَحْمَنُ يَا رَافِعَ الْعُلَا
 عَلَى مَنْ حَلَى مِنْ حَوْضِهِ لِلْوَرَى شُرْبُ [187]

وكل حشام فيه حُبُّكُمْ؛ جَذْبُ
 وَفِي حُسْنِكُمْ فَلَيَقَنَّ فِي عَشْقِهِ الصَّبُّ
 وَفِي خَدِهِ سُحْبُ الدَّمْعِ لَهَا صَبُّ
 فَنَاحَ وَفِي أَحْشَائِهِ لِلْجَوَى نَهْبُ

إليكم فؤاد الصب يعتاده الجذبُ
 جمالكم المعشوق والصَّبُّ عاشق
 على وصلكم فليبك مَنْ عَيْلَ صَبْرُهُ
 تذكّر منكم ساعة الوصل والرضى

وأنتم كرام الحي لم تخفروا له
لعمركم إني لبالباب واقفٌ
تمكّن من حبات قلبي حبكم
فأنتم وإن غبتم عن العين سادتي
إذا غبتم، فالروح مني أنتم
فلا غيب الرحمن عني خيالكم
إذا شط للصب الغريب مزاركم
ملوك الجمال القلب ملك جمالكم
يُخَيِّل قلبي أن بعضا له معي
فما ذنب جسمي دام محجور بعدكم
فحتى متى كم ذا عسى أرقب اللقا
فيا حسرتي إن لم أفز بوصالكم
فطوبى لركب بالعقيق معرّس
ولما رأى الأنوار منكم على الحما
إذا رأت العينان دار محمد
إذا لم يخط الرحل صب بطيبة
حرام على المشتاق ظهر مطية
وطيب شذاه يملأ الأرض والسماء
ونام بها نوم العروس محمد
فديت حبيبا في ضريح مقدس
فياخذ بالأبصار من كل ناظر
فيخشى على الأشباح من قرّبه الضنا
هنيئا لمن أمسى بطيبة ضيفه
فمن لي أن أسعى إليه ولو على
ومن لي برشفائي جدار ضريحه
فشمّر وسرّ نحو المدينة زائرا
فقد زارت الأشجار وجه محمد
وجهر أناه الذيب يشهد بالهدى

ذمّما ولا عهدا ولا عطفكم ينبو
رقيق، فلم أعتق، أيعتقني الحب؟
كأن علوث⁽¹⁾ الحب في مهجتي حب
فطيفكم للقلب في عينكم نصيب
وإن فراق الروح من بدن صعب
ولا حال دون العين من وجهكم حجب
يضيق عليه بالسنوى الشرق والغرب
عجبت لقلبي ليس منه معي قلب
وللكل منه في منازلكم قلب [188]
وإن عاقه ذنب؛ أما يغفر الذنب؟
فيا هل ترى هل للشجّي عندكم قرب؟
وعيني لها من طيب رؤيتكم كسب
عليكم، إليكم قادم شائق يصبو
بكي طربا من عظم ما قد رأى الركب
فبين الحجا والصبر من شائق حرب
فلا رسل تشفي الغليل ولا كُتُب
ودار رسول الله ما دونها ثرب
وللعقلا طورا بأرجائها وكب⁽²⁾
ودام لأرواح الكرام له جلب
بأسماؤه الحسنى تجلى له الرب
ويخشع من مرآه من قلبه صلب
ويخشى على الأرواح من نوره السلب [189]
فضيف رسول الله زايلاه الكرب
جيني بسحب لا يائله سحب؟
وفي ذاك مني للورى يكثر النذب؟
فدون حبيب الله لم يوضع الجنب
وكانت على رجليه بالغصن تنكب
وأين من الإفصاح يا إخوتي الذيب؟!

(1) العلوث: الأخطا.

(2) الوكب: السواد من الشيء، خاصة التمر والعنب إذا نضج، وربما يقصد هنا من السواد: التجمع والاحتشاد.

وَقَدْ بَهَّتِ الْأَقْوَامَ ضَبُّ بِنَطْقِهِ
لَعَنَ كَاشِيَةً قَدْ هَزَّ عِذْقًا بَغْزَوْه
وَرِيقُ رَسُولِ اللَّهِ فِيهِ شِفَاؤُنَا
وَجِسْمُ رَسُولِ اللَّهِ كَالزَّهْرِ نَاعِمٌ
وَفِي ذِقْنِهِ الرِّيحَانُ، وَالْوَرْدُ خُلْدُهُ
وَفِي قَدِّهِ غَصْنُ النُّبُوَّةِ مَائِسٌ
وَفِي ثَغْرِهِ دُرٌّ وَشَهْدٌ وَكُوْثَرُ
وَفِي صَدْرِهِ الْإِبْرِيْزُ وَالْبَطْنُ وَالْقَفَا
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا غَايَةَ الْمَنَا
عَلَى حَلْبِيَّ جَدَّ بَعْطَفِكَ وَالرَّضَى
أَلَا فَاخْنِي وَالْأَهْلَ طُرًّا وَصِبْيَتِي
فَلِنَايَ مِنْ حَزْبِ الْمَحَبَّةِ وَالثَّنَا
عِوِيٍّ اقْتَضَتْ رَدِّي إِلَيْكَ مِنَ الْوَرَى
إِذَا ضَاقتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِأَسْرَهَا
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ

وبالبعث للمختار قد شهد الضب
فصار له عضبا⁽¹⁾؛ فيا حبذا العضب
وريق رسول الله للرُّضْعَا حَسْبُ
وفي راحتيه اللين والطيب والطب
وفي وجهه شمسٌ وليس لها غرب
إذا ما مشى كالبدر في السَّهْبِ⁽²⁾ ينصبُ
ومن شفّتيه البرق يُكسا به السَّهْبُ [190]
وكالدُّر ما عنه به جُرْدُ الثوب
ويا من صفا من صرف مَخْتومه الشرب
لرؤيتك العظمى متى يحصل الهَبُ
فإن كرام الحي يُحْمَى لهم كلب
وحزبُ رسول الله ما فوقه حزب
وعبد رسول الله يقبلُهُ الرُّبُ
فما ضاق بي والله جانبُكَ الرَّحْبُ
وأهلك طرا والَّذين همُ الصَّحْبُ

61

قال: كان الله له بمنه، في مدح سيدنا العباس رضي الله عنه:

أزكى الصلاة على النبي المصطفى
ثم الرضا عن عمه العباس

أَسْوَدُ الْمَحَبَّةِ فِي الْحُشَّاشَةِ رَاسِي
وَعَلَى انْتِظَارِ طُلُوعِ فَجْرِ وَصَالِهِمْ
فَكَأَنَّهُمْ مُزْجُو بِلْهَمِي وَالدِّمَا
مِنْ كَثْرَةِ اسْتِحْضَارِ سَرِيِّ طَيْفَهُمْ
وَهُمْ حَدِيثُ ضَمَائِرِي وَسَرَائِرِي
وَهُمْ مَلُوكُ الْقَلْبِ حُكَّامُ الْحُشَا
وَهُمْ بَدُورُ الْحَيِّ أَقْمَارُ الدِّجَا
رَجَحْتَ كِرَامَتَهُمْ بِكُلِّ كِرَامَةٍ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبَارِيقِ الصِّفَا

خَفَضْتُ لَدَى ذِكْرِ الْحَبَائِبِ رَاسِي [191]
مَاذَا الْعَشِيقُ مِنَ الْغَرَامِ يَقَاسِي؟
مِثْلُ امْتِزَاجِ النُّورِ بِالْأَغْلَاسِ
صَارُوا كَأَنَّهُمْ مَعِيَ جُلَّاسِي
وَهُمْ إِذَا اسْتَحْضَرْتَهُمْ وَسَوَاسِي
فِي مَلِكٍ أَمْرَهُمْ قُلُوبُ النَّاسِ
كَمْ أَذْكُرُوا بِجَاهِلِهِمْ مِنْ نَاسِي
فِي حَضْرَةِ التَّطْهِيرِ مَنْ أَرْجَاسِ
مَنْ خَالِصُ الْأَلْطَافِ صِرْفُ الْكَاسِي

(1) العضب: السيف القاطع.

(2) السَّهْبُ: الفلاة الواسعة.

رفلوا بأبراد التهانى وحدهم
قطب المكارم والأعظم والقب
كنز الفصاحة والبلاغة نطقه
أسد الجحافل، ما أجل دفاعه
زين المحاضر كم شفا من غلة
كم فاصح الفصحى فأخرسهم أسا
عمر⁽¹⁾ به استسقى بعيد المصطفى
قد ضمه وبنيه تحت رداءه
ودعاه له ولهم بخير واصلا
فبنى بنوه الملك بعد المصطفى
لدعائه الجدران جهرا أمئت
وأرى أبا سفيان يوم الفتح في
وكساه بالوعظ الفصيح هداية
عم الحبيب المصطفى جرثومة الذ
عضب الحبيب ولحمه ودمائه
نصر النبي بنفسه وبآله
والحبر عبد الله مولانا ابنه
عم النبي، ومن يضاهي فخره
في جنة الفردوس قد نصبت له
قبس النبوة والرسالة قد حوى
والله ألبسه بقرب المصطفى
في يوم حرب كف بغلة أحمد
حرس النبي المصطفى في غزوة
فحمى النبي من المكاره وحده
ناداهم العباس: نحوي أقبلوا
يا أهل بيعته هلموا نحوه
فتساقطوا مثل الطيور بوكرها
فشفوا غليلا في محاربة العدا

مع عم طه المصطفى العباس
ئل والشماثل، واحد الأجناس
كم قد أزال مخايل الإلباس
يوم النزال وصدمة الأتراس
وسما بإعراب على الأخماس [192]
بيانه انقادوا إلى الإخراس
فسقى الورى الرحمن بعد الياس
طه، وأمنهم من الأنكاس
رحمهم، من كالحبيب مواسي؟
في كل قطر في أجل أساس
تأمين حي من فصيح أناس
عرض الجيوش عليه أسد الباس
قد أخرجته من دجا الإفلاس
نسب الكريم الساطع الإيناس
مز فخره يا طيب الأنفاس
وأطار عن جفنيه طير نعباس
بحر العلوم يحل عن مقياس
وفخاره للعالمين مراسي؟ [193]
مع مصطفاه منابر وكراس
عم النبي الطيب المقباس
من حلة التشريف خير لباس
عن أن تسير إلى العدو القاسي
من مثله في الحرب من حراس؟
وتفرقت عنه كرام الناس
لا تهربوا من رمية الأقواس
واحموه بالأرماس والأتراس
في معرك قدأمة مدراس
أهل الشقاء العصبية الأنجاس

(1) جمهور النحويين على عدم صرف لفظة "عمر"، والاستثناء هنا لضرورة الشعر، وإن كان الإمام اللغوي محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي المتوفى سنة 1322 بمصر يرى صرفها وينافح عن ذلك.

ببلد الحرام بعدله القسطنطيني
وأجازه من وصمة الأندلسي
شمس البشاشة ليس بالعباس [194]
والعقل، طود بالرزانة راسي
المصطفى بحر النداء والباسي
أرجو من المولى جنى أغراسي
والحظهم والحادثات رواسي
مثل الجواهر لاح في القرطاس
زفت لدى الأفراح والأعراس
ما صاح طير فوق غصن الآس

ولي السقاية والعمارة حافظ الـ
وحماه من فحش الكفور وهجره
علم له العباس، لكن وجهه
حاز الملاحة والحلاوة والبها
يا سيدي العباس يا عم النبي
إني غرست بروض ذاتك مدحتي
فاشفع لعبدك والبنين وأهله
عن أحمد الحلبي يروي مدحك
يُجلى على الأسماك جلوة غادة
وعليكم مني السلام معطرا

62

وقال في مدح سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه:

السلام على النبي وآل
وعلى حمزة الرفيع العلاء

ودع الجسم في غشاء الوراء
فمزار الأحباب بالزوراء [195]
ولتسير بالحفا بالحفيا⁽²⁾
رتعوا في القلوب والأحشاء
قد عشقنا، فتلك غير طبائي
وشموسي لا كشمس الضحاء
مالها في قلوبنا من غطاء
من محبة سيد الشهداء
حمزة عم خاتم الأنبياء
كتب الله مدحه في السماء
رسول في مغرك الهياج
في جموع الكفار عند اللقاء
لحم والجسم والحشا والدماء

رُح بروحي شوقي إلى الروحاء⁽¹⁾
وبربع الزوراء عجب بي مجدا
واسفح الدمع بالعقيق عقيقا
على البان؛ بت سمير ظباء
لا نلظن الظباء غزلان بر
وبدوري لا كالبدور ابتهاجا
تلك تحفى وفي القلب مأوى
ليس قلب من الكرام خليّا
أسد الله والرسول المحابا
حسب مقداره العلي بأن قد
وبسيفين كان يضرب قدام الر
كم له في الوغى أفاعيل فتك
حل من أحمر⁽³⁾ الحبيب محل الـ

(1) الروحاء: موضع بالحجاز.

(2) الحفيا: موضع على أميال من المدينة المنورة.

(3) أي: من أحمد. وهو ترخيم.

عَظَّمَ الرزء فيه يوم وفاءة
حين جاء إلى المدينة ألقى
فبكى المصطفى غراما ووجدا
ما لحمزة ليس يبكيه باك
فبكت حمزة البواكي دهورا
أيها المؤمن ابك دهورا عليه
ولتُح دائما على عم طه
وانعه ساجعا بكل النوادي
جدلوه على التراب صريعا
والمصيبة فيه عمّت وخصت
كل من جال في المصيبة فيه
ليت شعري هل كان يُقدى بأرواح الـ
واحيبا حبيبنا واقتيلا
زفرات المحب فيه رعوذ
من لعيني تبكي البحار عليه
من تذكّره وكان محبا
حزّنا في القلوب دهورا عليه
وددت لو أنني كنت قدما
وتمني المحال ساغ، ولكن
سيد قد وقى الحبيب بنفس
مزّق المشركين ضربا وطعنا
عزمه كالجبال صدعا وصدما
ذو عفاف ونخوة وجلال
يا ملاذي أبا عمارة؛ كن لي
ما برى الحلبي إلا ذنوب
اشفع اشفع لمن أتى مستجيرا
وعليك السلام ما فاح زهر

إذ رآه ممزّق الأعضاء
باقيات القتلى بها من نساء [196]
ثم قال من عظم ذاك البلاء
فعليه يحق نشج⁽¹⁾ البكاء؟
إمتثالا له بكل عزاء
بدموع مزجتها بدماء
ولتكن في النواح كالخنساء
فوق سجع حمامة ورقاء
في فلا أحد مع النجباء
جملة البُعْداء والقرباء
بات حزنا مؤجّع الأمعاء
مُحبين، ياله من فداء؟
ه، وفيه شجاة الأعداء
أخرجتها تنفس الصعداء
لو تساعدها صروف القضاء [197]
كيف يهنا بالعشية الرغداء؟
ذو لهيب وحرقه واصطلاء
بدلا منه في محل ابتلاء
في خلوص النيات نيل الجزاء
يوم بدر، أكرم به من وقاء
بالسيوف وبالقنا كالهباء
كم سبى في البراز من كبراء
ووقار يسمو على العظماء
شافعا عند أكرم الكرماء
والذنوب تذوب بالشفعاء
بك عند الإله من حوباء
في أفانين روضة غناء

(1) النشج من البكاء: هو أشده كبكاء الصبي إذا ردد صوته في صدره ولم يخرج له.

63

وقال - كان الله له - في مدح سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه [198]، وأخيه عقيل، وابنه عبد الله رضي الله عنهم:

الصلاة عليك والآل طُورًا
ما تغنت بأيكها الأطيَّارُ

لبدور في بيتِ سِرِّي ناراوا
كيف تُخلع في الحبيب العذار
إن صبر المحب في البين عار
فبها طار جعفرُ الطيار
بهما حيث ما يشا سيارُ
دانيات قطوفها والثمار
ضجّت الأرض والسما والبحار
من جمال الرسول فيه شعار
وعليه من نوره أنوار
ش، له فيهما مضت أخبار [199]
سَير واللطف والهذى آثار
كلمات سرت لها أسرار
مثل ما زانت السما الأقمار
ثم زالت بعد اليمين اليسار
لم يكن مثل جعفر صبار
وعليه مهابة ووقار
عند ذي العرش؛ طار عنه الغبار
دون ستر، أنى هنا أستار؟!
ش جناحين، إنه الجبار
ومن المسك فيهما أطوار
في الجنان سما له المقدار
كبرعت في بحاره الأظهار
وقفت في أبوابه الأخيار [200]
فوق ما فاح في الغضا الأزهار
ضحكت عنه روضة معطار

ويح قلبي فيه من الشوق نارُ
إذ عصاني صبري؛ علمت يقينا
كيف يُقوى على اصطبار محبٍ
لا تلمني أن طارت الروح مني
ذو الجناحين في الجنان كريمُ
وإليه ما حاز فيها نعima
وبمؤتة حين مات شهيدا
أشبه المصطفى بأوصاف ذات
شبه المصطفى عليه منيرُ
هاجر الهجرتين في ذات ذي العر
للنجاشي بدت له من خبايا الش
أثرت منه في فؤاد النجاشي
زان مجلسه بجوهر لفظ
قُطعت يده اليمين بحرب
ثم ضم اللوا إليه بصدر
طار من مؤتة لجنات عدن
في أجل الحضرات لما أتاها
وتجلى له الجليل بوجه
بدلا من يديه أعطاه ذو العر
بالواقيت والجواهر حفا
ذاك نسوع كرامة لكريم
ابن عم الرسول عنصر فضل
معدن الجود لالتباس نداءه
فاح منه جميل قول وفعل
وجهه ذو بشاشة وسرور

صان ذيلاً كهولةً وشباباً
نال بالنسب المصطفى كمالاً
وابنه عبد الله بحر العطايا
قائم الليل بالكتاب احتساباً
وأخوه: عقيل البحر فضلاً
وبخبين فاز من عند طه
أفصح الفصحاء عند جواب
أسرع البُلغا جواباً بليغاً
في قریش قد كان فخماً جليلاً
علم أنسابهم لديه جلياً
وعلياً أخوهما ذاك قطب الـ
رضي الله عنهم، إنهم لي
يا أبا عبد الله كن لي شفيحاً
وعقيل أبا يزيد أجبرني
سيدي عبد الله أنت جوادٌ
والجواد يجود في كل حين
جد علينا بما طلبناه فوراً
بك مع والد وعمين ضخمي
أنا والأهل والبنون على أب
أنظرونا بالله كي تجربونا
وعليكم آلاف ألف سلام
ويروح على أنامل زهر
ما سبا الحلبي شوق إليكم

وكذا صان صدقة الغفار
بانتساب أسائسه المختار
ليس مثّل نواله أبحار
وبصوم له يمر النهار
وعلوماً تعنوها الأبرار
قد أبان عن ذال له الإخبار
منه يفحّم ناطق مهذار
أذهل العلماء منه اعتبار
وهو بالعرف والهدى أمار
لشموس تحقيقه إظهار
أصفاء ليث الوغا الهصار [201]
شافعون إذا سطا القهار
حين تمّلا صحائف الأوزار
في الصراط، ومن رجاك يجار
والجواد يحلو إليه افتقار
وبه ينجلي لنا الإعصار
إن تأخير ذي السماحة عار
من يُرجّا من العطام مدرار
واب فضلكم وقوف صغار
منكم أهل البيت يرجا انجبار
تتحلّ ببشره الأقطار
لديار لها بقلبي ديار
وتحلّت بمدحه الأفكار

64

وقال - كان الله له - في مدح جبريل عليه السلام: [202]

على جبريل تسليم كريم
بطيب شذاه فاح الياسمين

وفي سجن الهوى قلبي رهين؟!
أيهدأ من يزعه الشجون؟!

أأسكن، كيف يهنا لي السكون
تحركني دواعي الحب قسراً

يميل بكل عاصفة غراما
ويعرب ترجان القلب عما
تراه يُكسِّمُ الأشواق حيناً
إذا رَقَّ الجوى ضَعُفَ التصابي
وكيف يطيق حمل الصبر يوماً
أمين الله للأمناء طرا
كلمح الطرف من عرش لفرش
رسول الأنبياء والرسل طرا
تولى أمرهم حفظاً ونصراً
وأنبأ بالغيوب على ثباتٍ
وما ذاك الظنُّ بعلم غيب
فآدم حاطه خَلَقاً وخُلِقاً
وعَلَّمه الصنائع لاحترافٍ
وإدريس ارتقى معه خُلْدٍ
وكان لهود الأسمى ظهيرا
وكان لصالح وطغت ثمود
وفار بضربه التَّنُورُ ماءً
ونوح منه علم صنع شكل الش
بمرساها ومجراها حماها
على الجودي أنزلها امتثالاً
وكان مع الخليل وقدر موه
فجاز المنجنيق وصار يهوي
فصارت روضة من بعد برد
أشار لأرضها، فعلت زهور
وفي النمروود قد ألقى برأس
وكان مع الخليل لدى ابتلاء
يهون لأمر مولاه امتثالاً
وبالفرح الأمين لقد أتاه

إلى من في حشاه له كمون
تصوِّره الخواطر والظنون
وحيثنا عن صبابته يُبين
وإن قوي الجوى هاج الجنون
فؤاد فيه جبريل الأمين؟!
أمير خبره الخبر اليقين
يجيء بما جرى القلم المصون
قوي في رسالته مكين
ومن مثل الأمين لهم معين؟ [203]
بما قد كان منها أو يكون
كما وصف الجليل ولا الضنين
وكان دليلاً فيما يزين
جميعاً، إذ بذلك يستعين
فكان له بها أبداً عُدون
بصيحته بعباد حين شينوا
سريع الغوث، فارتفع الفتون
لدى الطوفان، وانفجرت عيون
سَفينة إذ جرت معه السفين
وكان غفيرة لها، وهو المتين
لأمر الله، وهو لها ضمين
بنار، والحديد له يلين
به، وخليله فيه رهين [204]
وجبريل له فيها خدين⁽¹⁾
على وجه الثرى ولها غصون
طنيننا لا يحاكيه طنين
بذبح ابن، وذاك له يهون
ورُدَّتْ بالأمين له اليمين
ومعه فداؤه: كبش سمين

وهاجرُ سَرَّها جبريلُ ضربا
 وإسماعيلُ كان له كفيلا
 ويوسفُ قد تلقاه بِجُبِّ
 وألقاه بدلوه عند رفع
 عن امرأة العزيز، وراودته
 ورد أباه بالبشرى بصيرا
 وفي اليمِّ الكليمِ لقد تلقى
 فأخرجه وأكفله عِداه
 وحُرِّمَت المراضعُ عنه طرا
 وقد نفخ الأمينُ بدمع أم الـ
 فكان بلا أبٍ بَشْرًا سَوِيًّا
 وكانت ذرة الهادي بغيب
 لها عَجَنَ الأمينُ بهاء قدس
 تلقى المصطفى من بنت وهب
 أمانة جبرئيلَ أجلُّ هاد
 قد ائْتَمَنَ الأمينُ على حبيب
 وفي الإسراء شاهده عيانا
 تولى شق صدرٍ من حبيب
 وأسرع ختمه بالنور فورا
 وقاتل مع رسول الله حقا
 وقائعه تجل عن التناهي
 أمور المصطفى طُرا تولى
 وأمته له فيهم وداد
 نظير بذكره فرحا وبشرى
 علينا رحمةً والله أضحى
 سينضَّبُ في الصراط لَنَا جناحا
 رعيننا شكره فرضا علينا
 يعظمه الأوائِل والثواني
 وبالإحسان منه قد اعترفنا
 تشفّعنا إليك بجاه طه

بزمزم، فاعتلى: عذبٌ معين
 أمينُ الله وهو بها قطين
 كلمح الطرف، فاندفع المنون
 وهابته الخواطر والعيون
 ببرهان له ردَّ الأمينُ
 وشم قميصه وله أنين
 وتابوت له حصن حصين [205]
 ورُدَّ لأمه وله حنين
 وكان له مع الأعدا شؤون
 مسيح، وللتقى منها ركون
 وفي مهدي له نُطْقٌ مبين
 لها في علم خالقه كمون
 من التسنيم، لا ماء وطين
 وقد وضعته والهادي رزين
 تلقاهما الأمينُ المستبين
 لأنَّ كتابه منه يبين
 بصورته وقد هَجَعَت عيون
 أمينُ الله يُخرج ما يشين
 وأفرغ فيه: إيقانٌ ودينُ
 ببدرٍ، والعدو به مهين [206]
 بها مرَّت على الأمم القرون
 مدا أحيانه، وهو القرين
 بأفئدة لهم منه قطون
 وحدَّ مقامه الأعلى نصون
 وزجرا لليهود ومن يخون
 نجوز عليه والقيالي غبين
 تكاد عليه تنطبق الجفون
 ويعرف فضله حتى الجنين
 وليس يصدنا حتى اللعين
 أنلنا ما تقرُّ به العيون

ولوح الوحي من عرش يُدَلَّى
 فينظر ما قضى الرحمن فيه
 فيخبر جبرئيل بها وعاه
 ففي الملكوت جبريل ينادي
 ويمليه على الكتاب منهم
 ويصرف في مجاري الحكم فورا
 أنيس نبينا أبهى جليس
 نبوءته به قرئت ليقوى
 ثلاث سنين لازمه اختصاصا
 وبالكلمات من حضرات قدس
 ولم ينزل على أحد سواه
 بجبهته رأى اللوح المحابا
 رأى القرآن فيه مستنيرا
 فكان يحرك الشفتين طه
 لقد سبق الملائك في سجود
 فقام من السجود وقد تبدى
 فأكرمته الكريم على ائتمار
 بجبهته كتاب الله يزهر
 على ما فيه من عظم وعلم
 وخص بحمله القرآن أسمى
 كتاب المصطفى أعلى كتاب
 فأتمته أحق بمحض حب
 بإسرافيل قد نلنا التهانى
 بإسرافيل يُرجا نيل فضل
 بإسرافيل يُحفظ كل حي
 بإسرافيل توحيد عظيم
 بإسرافيل ترتفع المعالي
 بإسرافيل تلتاح الأسامي
 بإسرافيل سر الله سار
 بإسرافيل كم مدد عظيم

فيقرع جبهة منه المرور
 فيروى عنه وهو بهذا جدير
 فيرساله، ومنه عليه نور
 به وبمحفل الكبريا يدور
 فينسخ منه بالنور السطور
 بما أمر السميع كذا البصير
 وللوحى الشريف أنى فتور
 على الملكوت إذ يأتي السفير
 له هذا النزول المستنير
 يجيء المصطفى الملك المنير
 فعند ذوي النهى هذا شهير
 بعلم الغيب طالعه البشير
 فحصل له الصدر النضير [210]
 به من هاهنا حصل الحضور
 لأدم، والسجود هو الخور
 بجبهته الكتاب، له حبور
 وكم بالسبق قد فاز الجسور
 لديه وديعة ذكر ينور
 تحمله، وذا فضل كبير
 كتاب كي يشرفه الغفور
 لإسرافيل ذا خير كثير
 له، والحر للنعمى شكور
 به والله تشرح الصدور
 يفيض كأنه فينا البحور
 وتنظم الأوامر والأمور
 به لله ينقاد النفور [211]
 لذي التقوى وتلتمس الأجور
 وطود جلاله فيه يمور
 وسر السر منه لنا يسير
 بأفلاك الوجود غدا يدور

بإسرافيل أسماء السجالي
 بإسرافيل مقياس السجالي
 بإسرافيل نسخة كل كون
 لإسرافيل في الأرواح جذب
 لإسرافيل في الفقراء جود
 لإسرافيل عند الله جاه
 لإسرافيل عند الله قدر
 لإسرافيل عند الله خطر
 لإسرافيل عند الله حظ
 لإسرافيل عند الله علم
 لإسرافيل عند الله رفع
 لإسرافيل عند الله عز
 لإسرافيل عند الله باع
 لإسرافيل في الحلبي حب
 أمين الله إسرافيل كن لي
 إذا ضاقت علينا الأرض يوما
 فحاشا أن نضيع بأرض غرب
 منكم ألف ألف من صلاة

تجلت، والبحور لها تفور
 وما لبچاره يلفى عبور
 بعين الله منظور مَزُور
 إليه روح ذي رشد تطير
 كم استغنى به عبد فقير
 به يُستكشف الخطب العسير
 به يُستتزل الخير الكثير
 به يُستمطر المطر الغزير
 سيظهر في القيام له الوفور [212]
 وليس لغيره فيه شعور
 كأن علاه في العليا أمير
 يعز بعزه منا حقير
 طويل، يستطيل به القصير
 شهير لا تغيره الدهور
 وأولادي إذا كثر الفجور
 فمولانا وأنت لنا نصير
 وأنت مع الحبيب لنا مجير
 من الرحمن ما فتحت زهور

66

هال - كان الله له - في مديح سيدنا ميكائيل عليه السلام:

إن دار الأحباب والله داري
 وديارهم القلوب بغيب
 لم يكن بينهم وبينني ستر
 جمعوا بينهم وبينني وهم نص
 ومعانيهم إذا ما تجللت
 هم مصابيح مهجتي، هم بدوري
 حب جبي ليس يُحصى بكيل
 الموكل في السماء على قسم الذ
 وأمير الأملاك في عالم التس
 ويكيل ماء السحاب بكيل ال
 قطرات الأمطار يحصي جميعا

أيقُر بعد الحبيب قاراري؟
 عند فقد أعيانهم في الديار
 أيسامُ الأحباب بالأستار؟! [213]
 سبُ العيون في عالم الأسرار
 في فؤادي عرائش الأفكار
 عند ليلى، هم شمس نار
 في الرضا ميكائيل بحر البحار
 نبات والسُحب والأمطار
 خير دهرًا بمقتضى الأقدار
 أعلم من ربه على مقدار
 حين يرسلها إلى الأقطار

كل واحدة عليها حفيظٌ
كل قطرة استقلت بكف الـ
حاطها في الأحوال بدءاً وختماً
ثم تُرعى بعين ميكال من بعد
واستوت في قيعانها قائلات
وَتُسَبِّحُ ذا الجلال بتحريك الرُّ
كل ذكر منها عليه حفيظ
كل شيء يسبح الله حقاً
إنَّ رزق العباد في كف ميكا
إن رزق العباد حكمةً إبقا
يُعَبِّد الحق في الوجود برزق
ذو الطفأ مكائيل في ذاك يسعى
ويجبهه إلينا بتكثير الـ
ويذكّرنا بفيض نوال
ويجيبنا إلى الله بالطا
هذه حكمةً عليها مدار الـ
إن هذا بابٌ عظيم بميكا
وبه الأصفياء والرسل قاموا
دخلوا منه حضرة القدس لما
وبه واطبوا الصلاة وصاموا
وبه عرفوا الإله وداموا
وبه استغرقوا فناءً، فكانوا
أصلُّ هذا ميكال قطب المعالي
مَنْ سرى آخذاً ركاب رسول الـ
ورفيق جبريل في شق صدر الـ
أحد الكمين كان لدى دا
خر داودٌ عند ذاك منيباً
فتذكّر عند ذاك عتاباً
وعلى ميكائيل أسماً لطيف
ولدى ميكائيل رزق لجسم

من ملائكة السما الأبرار
ملك المرتضى لها المختار
مثل حوط النبات والأزهار
سد النبات وعالم الإظهار
راكعات يئمنه أو يسار [214]
رؤوس بنسمة معطّار
من ملائك ربنا الغفار
ما خلا أحدٌ من الأذكار
ثيل يُقسم بالقضاء الجاري
الوجود في عالم الأعمار
فهو سر الحياة في العمار
ويبلغنا عطاء السباري
عطايا بالسوابل المدرار
فنقاد به إلى الإقرار
عات والقرب منه والافتقار
كائنات، أعظم به من مدار
ثيل يفتح، يا أولي الأبصار
في ميادين طاعة الجبار [215]
أسلفوا الخير في دجا الأسحار
وبه قد علّوا على الكفار
في بساط الشهود والإكبار
عند مولاهم من الحضار
منبغ الفضل، مطلع الأنوار
له ليلاً، أعظم به من ساري
مصطفى كان في جميع المزار
وود في ذكر قصة الإذكار
بالسجود للواحد القهار
بكريم الخطاب في التذكار
وجمال يزهو، وتاج الوقار
ولروح من كل باد وقاري

إن رزق الأرواح أسبقُ ذكرا
مثل رزق الأعضاء من فعل خير
كأله ميكائيل حُبا ومعنى
لا يزيد وليس ينقص شيئا
ناب ميكال في العباد مناب الـ
عنده بحر فضل ذي العرش يطمو
هو يغرف من بحار نداه
سيدي ميكائيل أنت ملاذي
أحمدُ الحلبيُّ بالمدح وافى
أنت مفتاح باب كل مرادٍ
إن روحى لديك جارةُ حُبِّ
فلتكن لي دنيا وأخرى مغيثا
ولتُفَضِّ خَيْرَك الغزيرَ علينا
فببهجة وجه ذي العرش أذهب
وأجرني والأهل، وانصر وأيد
وعلى ميكائيل ألف صلاة
وعلى المصطفى وآل كرام

واعتناء لدى ذوي الاعتبار [216]
أو سواه، فمنه للناس جاري
بمقادير واحد أثمار
بل قضاء دلالة فيه يُباري
حق، وهو الأمين في الأسرار
في البرايا من غير ما أقدار
وغرفنا من بحره الزخار
وعَيَّاثي في سائر الأكدار
منك يرجو الوصول للأوطار
لغريب ذي لوعة وانكسار
والكريم يرعى ذمام الجوار
ومجيرا من نكبة وبوار
قد رُمينا في منتهى الأمصار
فقرنا بالنوال كالأبحار [217]
في جميع محاضر الأشرار
وسلام من ذي الجلال الباري
وعلى الصَّحْبِ نخبة الأخيار

67

وقال: كان الله له بمنه، في مديح سيدنا عزرائيل عليه السلام:

أزكى الصلاة عليك يا خير الوري

يا من رجا جدواه عزرائيل

كيف السُّلُو وعَقْدُهُ محلول؟
يطغى لهيب في القلوب دخيل؟!
تالله لم يُفْلِح بذاك عَدُوُّ
لِعُلَّاهُ مع فِرْط النُحُول دَبُول
وَتَمَلُّكَ الأحشاء عزرائيل؟
لجنان خُلْد، حبذا المنقول [218]
فَيَعُون ما هو عندهم مجهول
من حيث لا جهة له وحلول
وعليهم من نوره تكميل

سيفُ الغرام على الحشا مسلول
قلبي على نار الجوى يصل، فهل
لا تعذلون في الغرام وحمله
لو ذاق طعم الحب عاذل ذائق
كيف انفلات القلب من أيدي الجوى
ملك كريم ناقل أهل الهدى
ويُقَرَّب البُعْدَا إلى دار البقا
ويرون وجه الله جل جلاله
ويجـاورون الله في جناته

وعليهم حُللَ الجمال عديدةٌ
والزنجبيلُ لهم شرابٌ سائغٌ
والمسك والكافور أنشئَ منهما
وبهم تطير إلى حظيرة قُدسِهِ
والموت للعبد الموفِّقُ مُحفَّةٌ
ذاك القدومُ على الكريمِ وضيْفِهِ
أترى كريهاً أحرمَ الفقراءَ مِن
يدعوك ربُّك للزيارة رحمةً
مَلَكُ كريمٌ قد دعاكَ لداره
وبها جميعُ الأولياءِ أولي التَّقَى
فَلِمَ الإقامةُ بعدهم يا ساكنا
والعمرُ أنفذه متاعٌ زائلٌ
فاجنح بقلبك للمسير وطوله
وارحل عن الدنيا وعن زَهْرَاتِهَا
واجعل كأنك راحلٌ طولَ المدا
مَلَكُ جليلٌ قد هداكَ إلى البقا
فاشكر لعزرائيلَ أكبرَ نعمةٍ
بالقهر عزرائيلَ ردَّكَ للثرى
وأنفَتَ من ردِّ لأصلك، إن ذا
ستعود أيضاً منه تَخْرُجُ للبقا
يا أمة الهادي افرحوا وتبجَّحوا
لكم بعزرائيلَ أجملُ صورةٍ
باللطف يَلْحَظُكُمْ بعين جلالَةٍ
وعليكم يُقرَّ السلامُ إذا أتى
وبذا عليه نبينا خيرُ الوري
مَلَكُ بأنوار الجلال مَكَلَّلٌ
لولاه ما بُدئَ الوجودُ وما بدا
إذ نحنُ قَبَضْتُهُ بعالمِ حِكْمَةٍ
وأراد منه الله قبضةً أصلنا
مَلَكُ شديدُ البأسِ يقبِضُ روحَ من

وبرأس كلِّ منهم إكليلٌ
والسلسبيلُ؛ فهل إليه سبيلٌ؟
ففيها نجائبُهم لها تعجيلٌ
وقلوبُهم نحو الحبيب تميلُ
من ربه، وله به تنويلُ
والله يُكرم، إذ هو المأمولُ
إحسانه، والفضلُ منه جزيلٌ؟
ولقلبك المحجوبُ عنه عُذولُ
وبها حبائبُك الكرام نزلولُ
وبها نبِيٌّ كاملٌ ورسولُ [219]
دار الفناء وقلوبُهم مشغولُ؟
فمتاع كل الحادثات قليلُ
زادُ المسافر في الطويل طويلُ
كم قَرَّبَ الأمدَ البعيدَ رحيلُ
كم من طويل قَصَّرَ التأجيلُ
والقلبُ منك على الخراب نزيلُ
إن أنست تكرهها؛ فأنست جهولُ
وخلقتَ منه، وذاك منك دليلُ
جهلٌ، فكم حاز الفروعَ أصولُ
وهناك يُفَرِّقُ مهتدٍ وضليلُ
لكم بموت قُرْبَةٍ ووصولُ
ولموتكم بكم ألمٌ نزلولُ
والروحُ تَتَّبِعُ لحظةَ فتزولُ [220]
وبالابتسام قدومُهُ موصولُ
أخذَ العهدَ ومَرَّ منه قَبُولُ
بَصَرُ البصيرِ إذا رآه كلَّيلُ
فوجدونا عن قبضه مجمولُ
عنها انزوى من قبل ذاك فحولُ
ليدوم من قَبْضَاتِهِ التحويلُ
وإلى له بزماته الترحيلُ

مَلَكٌ عَظِيمُ الْخَطَرِ أودَعَ قُوَّةَ
 مَلِكٍ مَطَاعٍ فِي السَّمَاءِ، مُصَدِّرٌ
 فَتَطِيرُ مِنْ قَفْصِ الْجُسُومِ لَوْ كَرِهَا
 سَبْحَانُ مَنْ وَلَاهَ خُطَّةَ قَبْضِهِ
 وَعَلَا عَلَى زُمَرِ الْعَوَالِمِ أَمْرُهُ
 مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَقْهُورٌ لَهُ
 سَبْعَانَهُ رَبُّهَا تَفَرَّدَ بِالْبَقَا
 قَدْ مَدَّ عِزْرَائِيلَ بِالْوَصْفِ الَّذِي
 بِهِ يَنْتَالُ الشَّائِقُونَ لِقَاءَهُ
 يَنْتَالِي لِقَاءَهُ حَيِّبُهُ لِمَحَبَّةِ
 وَيَزُولُ عَنْهُ بِالْصِفَا وَخُشُّ الْجَفَا
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ بِوَجْهِ مَنْ
 وَلِعِزُّهُ عَنَتِ الْوُجُوهُ جَمِيعُهَا
 أَزْفَقُ بِرُوحِي عِنْدَ سَاعَةِ قَبْضِهَا
 دَعَهَا تَجَلُّلُ بَعْدِ السَّجُودِ لِرَبِّهَا
 اللَّهُ بَشَّرَهَا بِرَحْمَةِ رَبِّهَا
 وَأَقْبَلَ مِنَ الْحَبِيبِيِّ مَذْحَةَ شَاكِرٍ
 يَارَبِّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ جُنْدِكُمْ
 وَمَدَحَتُهُ طَلَبًا لِحُبِّكَ وَالرَّضَى
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَالْمَخْتَارُ مَعُ
 وَقَالَ: كَانَ اللَّهُ لَهُ بَمْنَةُ:

68

لِلْجِسْمِ عَنْ رُوحٍ بِهَا تَعْطِيلُ
 فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَهُوَ جَلِيلُ
 بِاللَّحْظِ مِنْهُ إِذَا دَنَا التَّنْقِيلُ
 وَيَقْهَرُهُ بِالْفَانِيَّاتِ يَصُولُ
 وَإِلَيْهِ أَمْرُ الدَّائِمَاتِ يَزُولُ
 وَاللَّهُ قَاهِرٌ قَهْرُهُ وَمُزِيلُ [221]
 إِذْ يَسْتَحِيلُ لِدَاثَتِهِ التَّسْبِيلُ
 يُشْفَى بِهِ لِلْعَارِفِينَ غَلِيلُ
 وَالسَّائِلُونَ لَهُمْ بِهِ تَحْصِيلُ
 فَيَزُولُ عَنْهُ حُزْنُهُ الْمَمْلُولُ
 إِنَّ الْمَحَبَّ لَكَ الْحَبِيبُ وَصُولُ
 يُرْجَى لَنَا مِنْ وَجْهِهِ الْمَسْئُولُ
 وَبِأَمْرِهِ قَدْ أَنْزَلَ التَّنْزِيلُ
 وَالطُّفُّ بِهَا، فَاللطْفُ مِنْكَ جَمِيلُ
 فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ حِينَ تَجُولُ
 وَالرُّوحُ وَالرِّيحَانُ حِينَ تَسِيلُ
 لَكَ نِعْمَةٌ فِيهَا لَنَا تَخْوِيلُ
 الْقَابِضُ الْمَقْدَامُ عِزْرَائِيلُ
 وَلَوْجْهَكَ الْمَأْمُولُ ذَا التَّبَجِيلُ [222]
 حَزْبٌ، وَتَسْلِيمٌ يَدُومُ جَلِيلُ

صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى خَيْرِ مَرْسَلٍ
 حَبِيبٌ لَهُ طَيِّبٌ بِطَيْبَةِ عَابِقُ

وَكَيْفَ يَرَى السَّلَوَانُ مَنْ هُوَ عَاشِقٌ؟!
 وَجَفَنِي سَمِيرُ النِّجَمِ، وَالْدَمْعُ دَافِقُ
 كَأَنَّ دَمْعِي فَوْقَ خَدَيَّ عَقَائِقُ
 كَأَنَّ فُؤَادِي بِالْجِرَاحِ شَقَائِقُ⁽¹⁾

أَيْسَلُوكَ يَا كَنْزَ الرِّخَاءِ شَائِقُ
 نَعَمْ؛ قَدْ قَضَى عَشْقِي بِأَنِّي أَسِيرُهُ
 صَبَغْتُ دَمْعِي وَهِيَ جَهْرٌ بَوَجَّتِي
 وَقَلْبِي جَرِيحٌ بِالصَّبَابَةِ وَالْجَوَى

(1) الشقائق: سحب رابية بالأقطار الغدقة، فكأنه شبه الداء المشرشرة من قلبه بالسحاب الممطر. والشقائق كذلك: من شقائق النعمان: ورد شديد الحمرة، وسمي بذلك وأضيف إلى النعمان بن المنذر لأن النعمان بن المنذر نزل على شقائق رمل قد أنبتت الشجر الأحمر، فاستحسنها وأمر أن تحمي، ففيل للشقير شقائق النعمان

دعوني على باب الحبيب، عواذلي
 إذا كنتُ مملوكاً وجبّي مالكي
 فلو كان حبي شافعي، كان محسناً
 حبيبٌ إلى كل القلوب محببٌ
 سما في معاريج الملاحة وحده
 فمن ذا الذي وازاه في شكل خلقه
 مليح الملاح البدر من وجهه ازدهى
 ومن ذا الذي باراه في الصدق والوفا
 حبيبٌ جميع الحسن فيه مصورٌ
 تحياهُ شمسٌ، قطعة البدر خدهُ
 ولحيته الريحان والورد فوقها
 وفي حاجبيه خطٌ مسكٍ وعنبر
 وقدّله باهٍ رشيقٌ وربعةٌ
 ويمشي الهويّنا والملائك خلفه
 يطول إذا ماشى الطويل قوائمه
 ويعلو على جُلاسِه كان كَتْفُهُ
 له انشق بدر الأفق ليلاً بمكة
 وبين اصبعيه سال ماءً لصحيه
 ومن ذات طه كان غنصُرُ نبعه
 أتت نحوه الأشجار طوعاً لأمره
 إذا مر في سبيل فبعده مروره
 وفي طيبة الزهراء طيبٌ، وريحه
 على العرش والكُرسى والأرض والسما
 غدا لرسول الله داراً عظيمةً
 وفيها ديارُ المصطفى وربوعه
 وفيها لأرواح المحبين موردٌ
 وفيها لأملاك السماوات مهبطٌ
 وفيها تجلّى الله في كل لحظة

أسيراً، وقلبي بالتباريح خافق
 فنذلي لإجلال الحبيب مطابق
 حنيفاً لأحكام الملاح يوافق
 وإصباح إيصال المحبين فالق
 وعند ميادين البها هو سابق [223]
 ومن ذالهِ في صورة الحسن لاحق؟
 وفيه لشمس الحسن دامت مشارقُ
 ومن كرسول الله في الخلق صادق؟
 وكل جميل فاق ذا الحسن فائق
 وجهته الإصباح، والثغر بارق
 بوجنته يجنيه بالطرف وامق
 كمسربة، ما خطّه قط ماشق
 ولحظ سهام الرعب في القلب راشق
 وأصحابه قدّامه، هو سائق
 ويظهر للرائين ذا وهو لائق
 وفي وجهه نور البشاشة رائق
 وكلمه مالميس في الخلق ناطق
 فيا حبذا من ذلك الماء ذائق [224]
 لتفجيرهِ صوت حَكْتِه الصواعق
 فلله منها في التراب الطرائق
 عليها شذى رياه قد شمّ ناشق
 مدى الدهر للواعين والله عابق
 سما فخرها إذ ذاك والله لائق
 وفيها لأنوار الغيوب حدائق
 إليها ركاب الصادقين تُسابق
 إليها مدى الأنفاس شوقاً سوابق
 وأجنحة منهم عليها خوافق
 على مصطفاه حيث يُحدّق رامق

= بمنيتها لا أنها اسم للشجرة، وقيل: النعمان اسم الدم، وشقائقه قطعه، فشبهت حررتها بحمرة الدم، وسميت هذه الزهرة "شقائق النعمان" وغلب اسم الشقائق عليها. (لسان العرب: 10 / 182).

وفيهما لأرباب القلوب دقائق
لمن بكرم الوعد بالقرب واثق
وفيهما تجلت للقلوب الحقائق [225]
وفيهما لأسرار الرجال علائق
وفيهما أبو حفص عتيقا معانق
مع المصطفى لله منهم مسابق
لأنواره فيها أديمت شوارق
وما دونها للقاصدين عوائق
وفيهما لإصباح الرسالة فارق
وفيهما لعهد العارفين موائق
يوجه قلبا وهو بالوجد صاعق
وأدغمه فوق الخدود دوافق
وشابت رؤوس اللورى ومفارق
على روضة الأزهار، والتاج بارق
لهم بطريق الحق وهو المصادق

وفيهما لأرباب القلوب مصارع
وفيهما رسول الله غاية مطلب
وفيهما انجلت مرأة فكرة صادق
وفيهما لأبصار الأنام تشوف
وفيهما أبو بكر ضجيع محمد
وفيهما الكرام السابقون إلى العلى
وفيهما جمال المصطفى وجلاله
وفيهما عطاياه تفيض لقاصد
وفيهما لسلطان النبوة موكب
وفيهما لكل العالمين مطامع
وفيهما إليها دائما حلبة
يتوق إلى لقيا الحبيب وقربه
يرجيه إن شبت غدا ناز موقوف
عليه سلام الله ماهيت الصبا
وآل وأصحاب، وكل متابع

وقال: كان الله له بمنه [226]:

69

الصلاة عليك يا خير هاد
ما أتى طيبة الحجيج وزمزم

فيك أحشاؤه جوى تتضرم
أحرقته نار الجوى فتكلم
سر حبك جمرة وهميم
إن تباؤه بالنوى أو تالم
كل صب قيادة لك أسلم
عبدك المشتري وبابك ألزم
لو تداعى جسمي فنى وتقسم
من جميع الملاح، والله أعلم
ليس ينقك عن غرامك مغرم؟
والجميل على العشيق محكم
ولك الأمر في العوالم مبرم [227]
كائنات، وأنت فيها ميمم

كيف كنت كن سيدي للمتميم
لا يطيق كتم الهوى في فؤاد
لو تحمل حبك الصخر أفسى
فيك تسلية لكل مجيب
أنت روح الحياة يا روح روح
إن وصلت أو انفصلت فإني
عنك لا أرعوي على كل حال
يا إمام الملاح أنت نصيبي
كيف أسلوك والغرام غريمي
يا بديع الجمال؛ إني عشيق
في العوالم أنت سلطان ملك
ظاهرا باطنا توليت حكم الـ

حاز بدرُ التمام منك تمامًا
نال يوسفُ شطرَ حسن البرايا
منك حسنٌ منزلةً عن شريك
نعم المرسلون حازوا المعالي
واسعُ الوجه، والجبينُ كدارا
زان خديبه بالأسالة وزد
وترى فمه الكريم جليلا
كم سبى ناظرا وأفنى اصطبارا
وعلى القادام السلام إذا ما
شمسُ بشرٍ في وجهه إن تجلّت
أشكُلُ أدعجٍ، مليحُ لحاظٍ
والصباحُ جبينه، كيف يخفا
والجواهرُ لفظه عند نطق
يسرد القول في المحافل سردا
ويؤثر قولُه في قلوب السـ
رَبْعَةُ قلده وغصنُ تننّى
وحواجبه السوابع يزهو
منبع النور أنفه وهو أقنى
وله العنق عسجدٌ ولُجَيْنُ
عنبرُ ذقنه ومسكٌ وريحاً
راحته كالزبد والزهر لينا
في المصافح أعبقت خير طيب
كم جريح بمسحه وسقيم
كم فقير أغنته بالفضل فيضا
سعيد متواضع لكبير
ذو وقارٍ وهيبةٍ وجلال
استزار الرحمن منه قدوما
جيء في الليل بالبراق إليه
في العوالم كان يُعرض جهرا

وكمال الجاهل منك متمم
دون حسنك، وهو ما ليس يُقسم
ومن الشركاء قدرك يُفطم
لكن القدرُ منك والله أعظم
ت البدور مكمّل لا مكلّم
ليس يفنى من وجتيه ويعدم
حين يُفتح بالوقار ويُختم
إن تكلم للورى أو تبسّم
لاح من وجهه الضياء وعمم
كل راءٍ من حيرة ليس يسلم
ذو حياء، مهذبٌ ومحتم
والذوائبُ ليله، كيف أظلم؟! [228]
أو يواقيتُ حكمه إن تُنظّم
فيعيها معرّبٌ ومعجّم
سامعين تأثيرٍ سرٍّ محكّم
حين يمشي هويننا بخطو منسّم
بينها بلجٌ، وبالعين يُلثم
وأشتم، وهو ارتفاعٌ مفخّم
بهما شبة الحبيب المكرم
ن، خضيرٌ منقصرٌ ومُنعم
بل من الزبد والأزهر أنعم
فيظل دهرًا يتنعم
أبرأته وكان دهرًا تالم
من رياح الأمطار أحمد أكرم
وصغير، وخادم إذ يُكلّم [229]
من رءاه؛ قد كان بالرعب يلجم
نحو قاب قوسين وهو المكرم
والملائك حوله، وهو يُخدم
وهو كالبدور في المسير المنجم⁽¹⁾

(1) كأنه يقصد المسير الواضح المنهاج.

هَيْبَتُ سَجْدَةِ بَيْتِ قُدْسٍ تَصَدَّى
 فِي الْمَسَاءِ الْحَبِيبِ رَامَ غُرُوجَا
 خَاطِبِ اللَّهِ عِنْدَ عَرْشِ مَجِيدِ
 وَتَسَلَّى فِي الْمُنْتَهَى بِنَدَاءِ الْـ
 هَذِهِ حَضْرَتِي وَأَنْتَ حَبِيبِي
 ثُمَّ أَعْطَاهُ مَا أَرَادَ، وَخَالَا
 وَأَصَارَ الْخَمْسِينَ خَمْسًا بِفَضْلِ
 بِهْدَايَا قَدْ جَاءَنَا مِنْ كَرِيمِ
 سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ شَمْسُ التَّهَانِي
 مُوَضِّحِ السَّرِّ مِنْ مَعَانِي الْأَسَامِي
 قَبْلَهُ الْقَلْبُ ذَاتُهُ، وَهِيَ نَوْرُ
 حُسْنِ صُورَتِهِ يَدُلُّ عَلَيْهِ
 سِرُّهُ فَجَاءَهُ يَشْقُ قَلْبُوبَا
 يَا نَبِيَّ الْهُدَى وَيَا صُبْحَ رُشْدِ
 يَا عَمْرُوسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذْ يُسْـ
 يَا مَلَاذِ الْعَصَاةِ فِي يَوْمِ حَشْرِ
 يَا غِيَاثَ الْمَلْهُوفِ عِنْدَ حِسَابِ
 يَا نَجَاةَ الْأَحْبَابِ مِنْ كُلِّ هَوْلِ
 فَبَابِكَ قَدْ أَطَالَ وَقُوفَا
 إِنْ يَكُنْ قَدْ أَسَاءَ مَنْ بِكَ أَدْلَى
 أَذْخَلْنَهُ فِي بَيْتِ عَزْكَ دَهْرَا
 وَعَلَيْكَ فِي ذِي الْعُلَى صَلَوَاتُ
 وَعَلَى الْأَلِّ وَالصَّحَابَةِ طُرًّا

وقال: كان الله له بمنه:

70

لِلْإِمَامَةِ، وَهُوَ نِعَمَ الْمَقْدَمِ
 بِالْيَقِينِ وَقَدْ دَنَا وَتَقَدَّمَ
 وَرَأَهُ كَمَا يَلْسِقُ وَيَفْهَمُ
 حَقٌّ: أَقْبَلَ أَيَا حَبِيبِي لَتُكْرَمِ
 لَيْسَ فِيهَا سِوَاكَ عَبْدٌ يَكْلَمُ
 هُوَ بُوْحَيِّ، وَالْوَحْيُ إِذَا ذَاكَ مُبْهَمُ
 وَعَلَيْنَا هُنَاكَ قَدْ كَانَ سَلَمُ⁽¹⁾
 قَرَّبَ الْمَصْطَفَى إِلَيْهِ وَأَكْرَمِ
 فَاتَّخَذَ قَوْلُ كُلِّ غَيْبٍ مَطْلَسَمِ [230]
 وَمَزِيلٌ عَنْ جَاهِلٍ مَا تَوْهَمِ
 كُلُّ رَأْيٍ مِنْهُ الْكَمَالُ تَوَسَّسَمِ
 وَبِهِ عَنْهُ فِي الشُّهُودِ يَتَرَجَّمِ
 وَيَخْطُ الْوُدَادُ فِيهَا وَيُرْسَمِ
 بَعْدَمَا امْتَدَّ لَيْلِ شَرِّكَ وَأَظْلَمِ
 لِي الْخَلَائِقُ مِنْ مُحَيَّاكَ مَبْسَمِ
 وَهُوَ بِالْفَضْلِ وَالْمَوَاهِبِ يَوْسَمِ
 وَجَوَازِ الصَّرَاطِ إِذْ هُوَ مَفْحَمِ
 وَعَلَيْهِمْ يُقْرَأُ مِنَ الْكُتُبِ مَا نَمِ
 عِنْدَكَ الْحَبِيبُ، وَالْعَبْدُ يُرْحَمِ
 أَمِنْ الْفَضْلِ مِنْكَ بِالذَّنْبِ يُحْرَمِ؟
 بَيْتُ عَزْكَ سَيِّدِي لَيْسَ يُهْدَمِ
 مَا أَتَى الْكَعْبَةَ الْحَجِيجُ وَزَمْزَمِ [231]
 مَا سَعَى مِنْ أَتَى الْحِجَازِ وَأَحْرَمِ

الصلاة عليك يا خير خلق
 ما يُحْيِي النسيمُ بالروض غصنا

حَادِي الشُّوقِ فِي فَوَادِي غَنَى
 فَيُقِيدُ الْحَشَا سُرُورًا وَحُزْنًا

كَلِمَا لَاحِ طَيْفِ جَبِّي وَعَنَّا
 يَتَجَلَّى جَمَالُهُ فِي ضَمِيرِي

(1) يقصد تصوير الصلوات اليومية من خمسين إلى خمسة كما هو في أحاديث المعراج الشريف.

فتراني إذا ذكـرتُ حبيبي
 أتقلَّبُ فوق جمر التصابي
 صائحاً من عظيم الجوى: يا لصحبي
 ما وجدتُ على الغرام نصيراً
 قد تولى الحبيبُ روعي وعقلي
 ليس فيما عشتُ والله شيءٌ
 أنا عبدُ الحبيب إن شاء عتقي
 قد وفقتُ في بابـه بانكسار
 أهـ من لوعة الصدر، عسى أن
 لم أكن للوصال أهلاً، ولكن
 سيد المرسلين كنز التهانـي
 من بنى للتوحيد قولاً وفعلـاً
 سرُّ أسماء ربنا عنه يُروى
 من بأمرته الملا وزنوهُ
 قاب قوسين كان من ذي التعالي
 خاطب الله إذ رآه عيانا
 إشفع اشفع في أمة أهل فضل
 هاك مني مواهباً ليس تُحصى
 وأصرتُ الخمسين خمساً لقوم
 سُبُحات وجه الكريم تجلّت
 وتبدت له خفايا كنوز الـ
 وسواه لو قد رأى ما رآه
 أيُّ طرف يقوى يرى ما رآه
 بعدما قد رأى الإله بعيني
 ريحه كان فوق ريح عروس
 يوم فتح أتى بأعلى كداء⁽¹⁾
 جاء مستسلماً لأمر جليل
 قائلاً كرمًا لأخت علي:

باكياً شاكياً نحولاً ووهنا
 ذاهلاً بالغرام بالاً وذهنا
 أعذروا ذا الشجي الغريب المعنا
 غير أني الأخيذ حساً ومعنى
 وعليّ تذللاً قد تجنّـى
 أنا ملك الحبيب والمـلك يُقنا
 لا أشاء ولا له أتمنى [232]
 فلعلي بعطفه أن أهني
 يجبر الكسر مالكي منه منا
 فضل طه أصاب إنسا وجنا
 صدر كل الصدور في كل مغنى
 في رياض القلوب أرفع مبنـى
 ركن توحيد ذي العلى جل ركنـا
 كان أرجحهم بذلك وزنا
 إذ تدلى كان المقرب أدنا
 حين نودي: يا حبيبي ادن منا
 قد رحمنا جميعهم ورفعنـا
 قد تأنيت، فاز من قد تأنى
 تبعوك وبادروا ما أمرنا
 في محيا الحبيب فازداد حسناً [233]
 ملكوت، فقد رأى ما أكنـا
 من عظيم الآيات؛ لازداد وهنا
 أحمد المصطفى وقد جاء عدنا؟
 رأسه قد رأى نعيمـا وأمنا
 ما أجل طيب الحبيب وأهنا
 يدخل البلد الحرام المهنا
 خاضعاً متواضعاً مطمئنا
 من أجرت يا أم هاني أجـرنا

(1) كداء: جبل بمكة المكرمة.

وَهُمُ الطَّلَقَاءُ فَضْلاً وَمَنَا
رَكَعَتَيْنِ لِدَاخِلِ ذَاكَ سَنَا
إِذْ أَشَارَ؛ خَرَّتْ عَلَى الْوَجْهِ تَفْنَى
وَأَقَامَ لِلْحَقِّ بِالسَّيْفِ رَكْنَا
وَالظُّبَاءَ، وَالشَّاءَ قَالَتْ: شَهِدْنَا [234]
وَتَجَرَّ مِنْهَا عُرُوقاً وَغَصْنَا
فَوْقَ رَأْسِ النَّبِيِّ تَجْعَلُ كِنَاً⁽¹⁾
حَيْثُمَا مَالٌ جَالِسًا مَسْتَكْنَا
مُورِقًا مُثْمِرًا، أَفَادَ وَأَغْنَى
فِي الْفَلَاءِ لَتَرْضَعَ الظَّبْيَةُ ابْنَا
بَعْدَ إِرْضَاعِ خِشْفِهَا⁽²⁾ حِينَ أَتَى
وَالِيهِ جَذَعُ النَّخِيلِ اسْتَحْنَا
سَالِ بَيْنَ أَصْبَعِيهِ، قَدْ فَاقَ مُزْنَا
فَجِئَاذُ لَسِيدِ الرُّشْلِ حَنَا
عَاشِقٌ، وَالْعَشِيقُ مَنْ لَيْسَ يَهْنَا
دَيْدَنَا جَعَلَ الْمَدِيحَ وَفَنَا
شَكَرَ النِّعْمَةَ الَّتِي كَانَ أَتْنَى
وَلَهُ فَيْكَ حَقُّ اللَّهِ ظَنَّا [235]
وَالصِّحَابِ، مَا حَرَّكَ الرِّيحُ غَصْنَا

ثُمَّ مَنْ عَلَى الْبُغَاةِ بَعْفُو
وَأَتَى الْبَيْتَ قَائِمًا، فِيهِ صُلَى
وَأَذَلَّ الْأَصْنَامَ مِنْهُ بَنَانٌ
أَبْطَلَ الْبَاطِلَ الزَّهْوَقَ بِحَقِّ
نَطَقَ الضُّبُّ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ
وَأَتَتْهُ الْأَشْجَارُ تَسْعَى إِلَيْهِ
وَأَظْلَمَتْهُ فِي الْهَجِيرِ غَمَامٌ
وَأَحْيَلُ إِلَيْهِ ظِلُّ وَفِيءٌ
يَابِسُ الْعُودِ كَمْ أَتَاهُ فَأُضْحَى
ظَبْيَةٌ ضَمِنَ الْحَبِيبُ، فَسَارَتْ
ثُمَّ وَقَفَتْ ضَمَانَهُ فِي رَجُوعِ
السَّخَالِ⁽³⁾ قَدْ قَبِلَتْ أَنْخَصِيَّةً
مَسْقِي الْجَيْشِ فِي الْمَفَاوِزِ⁽⁴⁾ عَذْبَا
إِذَا أَحْدَا بِهِ ارْتَجَّ شَوْقَا
فَحَنِينِي إِلَيْهِ أُولَى، لِأَنِّي
لَيْسَ لِلْحَلْبِيِّ غَيْرُ مَدِيحِ
فَتَنَائِي شَكَرُ الْأَيَادِي لَطَهَ
فَتَقَبَّلَ مِنْ عَبْدِكَ الْمَدْحَ فَضْلاً
وَالصَّلَاةُ عَلَيْكَ وَالْآلِ طُورًا
وَقَالَ: كَانَ اللَّهُ لَهُ بِمَنْهُ وَغُفِرَ لَهُ:

71

يَا رَبَّنَا اجْبُرْ كَسْرَنَا وَانْظُرْ إِلَى
أَعْمَالِ عَاصِيْنَا بَعِينَ رِضَاكَ

لَكَ هَبَّ رِيحُ الْفَضْلِ مِنْ مَوْلَاكَ
كَيْمَا تُبَلِّغَ مِنْهُ نَيْلَ مَنَاكَ
قَبْلَ السُّؤَالِ نَوَالَهُ أُعْطَاكَ
بِيَدِ اقْتِدَارٍ مِنْهُ قَدْ سَوَاكَ

بِشْرَاكَ يَا قَلْبِي الشَّجِي بِشْرَاكَ
دُمُ خَاضِعَا فِي بَابِهِ مِتَذَلَّلَا
وَاسْأَلْ كَرِيمَا لَا يَمَلُّ مِنَ الْعَطَا
أَخْرَجْتَ مِنْ عَدَمٍ بِلَحْظَةٍ لُطْفَه

(1) كذا ولم أقف على معنى مناسب لكن، غير أن الكب: بالباء، ضرب من الحمض والشجر، فكانه شبه إظلال الغمام للنبي صلى الله عليه وسلم بشجر الحمض الظلول الطيب الرائحة.

(2) الخشف: الظبي الصغير.

(3) السخال: ولد الغنم ساعة ولادته.

(4) المفاوز: الصحاري والأراضي البعيدة المهلكة.

قد كنت في ظلم المشيئة حائرا
ويحوطك الملك الودود بلطفه
يُنميك في طبقات خلقك مُبلِغاً
سبحان من جعل المهاد لك الحشا
فحَفِظْتَ فيه محرّكا ومسكنا
وخرجت من ضيق إلى سعة الفضيا
ورتعت في روض المعاش والغنى
وفهمت أسرار الحقائق بالحجا
طبقات عينك سبعة مرصوفة
كم ذا عصيت، وكم جنحت عن الهدى
من ذا الذي يَسْعُ البرية فضله
إلا عظيم الفضل مَنّاخ العطا
سبحان من إحسانه لا ينتهي
سبحانه ربّا تعالى أن يُرى
سبحانه هو باطن هو ظاهر
سبحانه قد جلّ عن مثل وعن
سبحانه أسماؤه الحسنى سبّت
للعارفين إذا تجلّى وجهه
سبحان من ملّك النواصي كلّها
نادته ألسنة العوالم بالثنا:
أنت الذي غمر الخلائق فضله
أنت الكريم وليس ينقصه العطا
يا من تجلّى للقلوب جماله
يا من قلوب الأولياء صفت له
يا من ينادى باللسان وبالحشا
يا عالم الأسرار في جَولانها
يا ممسك الأطيّار في طيرانها
يا رازق الحيّتان في إبحارها
يا رازق الديدان في صفوانها⁽¹⁾

لم تدّر فيها أين سُبلُ هداكا
في كل لحظ بالصفاء يرعاكا
في الجوف ربّك من دم وغداكا
وأطال فيه في هنا مشواكا
من كل شيء عارض آذاكا [236]
وطلبت في دار الفنا مسعاكا
من رزق مولاك الذي أغناكا
بدقائق التوحيد، ما أذاكا
لضياء إِبصار غدت أفلاكا
والله يحلّم كي تنال هداكا
جِنّا وإنسار حمة أملاكنا؟
من ليس من إحسانه ينساكا
لم يلحق العقلا له إدراكا
بالعين في الدنيا، وأنت يراكا
وحقائق الوصفين قد أدراكا
كَيْفٍ، وفي مُلك أبى إشراكا
بجمالها العُباد والنسّاكا
شوقا إلى حضراته تنباكا [237]
نَظَمْتَ بوفق مراده الأسلاكا
سبحانك اللهم ما أعلاكا
كم أنفقت للسائلين يداكا
بل مستمرّ الفضل بحر نداكا
لك أذعنت بقيادها تحشاكا
لك وُجّهت وجه الصفا تهواكا
كم قد أجبت مناديا ناداكا
كم قد سمعت مناجيا ناجاكا
أنت السميع بوكرها ذكراكا
إذ كُلت شيء يرتجبي نعماكا
بالرزق أدرك جوفها رحماكا

من في القبور إذا أتوا مَغْنَاكَ
وسواك لم يدفع أذى بلواكا [238]
ما خاب عبدٌ للنوال رجاكا
وأنله مغفرة وطيب رضاكا
والصحب والأتباع نهج هداكا

يا عالما ما في الصدور وراحما
يا كاشف البلوى إذا نزل البلا
انظر إلى الحلبي واجبر كسره
وارزقه نُزْلا في جوارك مكرما
ثم الصلاة على النبي وآله
وقال: كان الله له بمنه:

72

عليك صلاة ربك ما تجلت
لك الأنوار تسطع من ثراكا

ومن صدَّ يؤول إلى جفاكا
على قلب امريء فيه هواكا
ذليلا خاضعا يرجو لقاكا
لما حن الفؤادُ إلى سواكا
فحنَّ وجُدَّ على صب بكاكا
وحَقَّكَ من يُحبك ما سلاكا
وكلي ما يضرك لو أتاكا [239]
تُرى في الدهر عيني هل تراكا؟
فلسْتُ مفارقِي، روعي فداكا
فلاني عائذ بك من جفاكا
وفي الإحسان كم طالت يداكا
قضى الأعمار سعيًا في رضاكا
عساك تجود بالجدوى عساكا
ببابك سائل دهرًا نداكا
يُفيض على العوالم بعض ذاكا
فألبس ثوب حسن من حلاكا
سما فوق الضحى حُسْنًا ضحاكا
محياك الذي فيه بهاكا
بلونها تجلست وجنتاكا
وُبرءًا في الملامس راحتاكا [240]
لدى ضحكٍ ونطقٍ خامراكا

أعوذ بنور وجهك من نواكا⁽¹⁾
فما أحلاك بعد الصد وضلا
أنا الصبُّ الذي بالباب مُلقى
فلو قطعتنني إربًا فإربا
أنا الباكي وإن طال انتظاري
أيسلوك المحبُّ مع ابتعاد
خطفَت القلب مني وهو بعضي
وغبت ولم تغب عن عين قلبي
بأعضائي مُزِجَت وأنت روعي
حببي اجعل وصالك بُرء هجري
أطلت ببابك العالي وقوفا
بوجهك سيدي أقبل على من
عَبَيْدُكَ بالفناء له انكباب
مُسَيِّكِينَ مُمَيْلِيكَ غريب
نوالك يا رسول الله بحر
بمالك قد سرى في كل شيء
الراز الكون وجهك إذ تجلى
فلا قمر ولا شمس يضاهي
وفي خلدك نسرين وورد
وكم قد أعقبت بردا وطيبا
وثغرك خاتم الأنوار يزهو

(1) نواك: بُعدك.

مُفْلَجُ سِنَّكَ الْبَرَّاقُ دُرٌّ
 وَرَيْقُكَ أَشْنَبُ⁽¹⁾ يَحْكِي رَحِيقًا
 وَسَابِغٌ حَاجِبِيكَ مَلِيحٌ رَصْفٌ
 وَيَبْنِيهِمَا مِنَ الْبَلَجِ ازْدِهَاءُ
 وَجَبْدُكَ فَاقَ حَسَنًا وَانْتِصَابًا
 وَقَدْكَ يَا بَدِيعَ الْحُسْنِ غَضَنٌ
 تَبَارَكَ مِنْ كَسَاكَ الْحُسْنَ فَرْدًا
 سَرَى بِكَ بِالْبَرَّاقِ إِلَيْهِ لَيْلًا
 وَنَادَاكَ: اِدْنِ مِنِّي يَا حَبِيبِي
 كَقَابِي قَوْسٍ اسْتَعْلَيْتَ مِنْهُ
 وَخَصَّكَ بِانْفِرَادٍ فِي السُّتْدَانِي
 رَأَيْتَ مِنَ الْجَلِيلِ بِكُلِّ خَيْرٍ
 وَأَيْدِكَ الْكَرِيمُ هُنَاكَ، كَيْ لَا
 وَأَبْصُرْتَ الْعَجَائِبَ مِنْ جَنَانٍ
 وَجِئْتَ بِمَكَّةَ ضُبْحًا قَرِيشًا
 فَصَدَقَكَ الْمَوْفِقُ عِنْدَ جَمْعٍ
 وَصَدَقَكَ الْجَمَادُ وَكُلُّ حَيٍّ
 دَعَاكَ بِأَمْرِكَ الْأَشْجَارَ؛ لَبَّتْ
 عَلَى أَحَدٍ صَعِدَتْ، فَهَامَ وَجَدًا
 أَقْرَ الضَّبِّ بَيْنَ يَدَيْكَ جَهْرًا
 وَذَيْبٌ شَاهِدٌ بِالسَّبْعِ حَقًّا
 بِرَاحَتِكَ الْحَصَى سَبَّخُنْ نُطْقًا
 تَبَارَكَ مِنْ أَسَالِ الْمَاءِ يَجْرِي
 فَمَنْ يَأْوِي إِلَيْكَ فَلَيْسَ يَظْلَمُ
 كَذَلِكَ أَحْمَدُ الْحَلَبِيُّ يُرْوَى
 وَيَرْجُو أَنْ يَظْلَلَهُ لَوَاءُ
 عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا تَوَالَى
 وَآلِكَ وَالصَّحَابَةُ أَهْلُ فَضْلِ

وَفِي الشَّفَتَيْنِ يَاقُوتُ هُنَاكَ
 وَفِيهِ دَوَاءٌ دَاءٍ مِنْ شَفَاكَ
 لَقَدْ حَازَ الْمَلَا حَةَ حَاجِبَاكَ
 يَسُوقُ عَلَى التَّوَاجِدِ مَنْ رَاكَ
 وَمَا فِي النَّاسِ مِنْ فِيهِ حَكَكَ
 بِمِيلٍ كَالنَّسِيمِ لَقَدْ عَرَاكَ
 وَمَا أَحَدٌ يَشَارَكَ مَا كَسَاكَ
 لَزُورَتِهِ يَا كَرَامَ دَعَاكَ
 وَذَاتَا قَدْ سَتَّ جَهْرًا أَرَاكَ
 فَأَعْظَمَ عِنْدَ سِدْرَتِهِ قِرَاكَ
 وَفَوْقَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ اجْتَبَاكَ
 وَأَبْهَمَ رُبُّنَا وَخِيَا حَبَاكَ [241]
 يَزِيغُ لَدَى التَّجَلِّي نَاطِرَاكَ
 وَمِنْ نَارٍ، وَذَلِكَ مِنْ قَوَاكَ
 وَأَخْبَرْتَ الْجَمِيعَ بِمَا وَرَاكَ
 وَكَذَبَكَ الْمَزْهَقُ عَنْ هَدَاكَ
 مِنَ الْحَيَوَانِ، إِذْ لَبَّى دَعَاكَ
 وَقَدْ أَغْنَتْ خَطَايَا عَنْ خَطَاكَ
 وَهَاجَ كَمَا يَهِيحُ أَخُو هَوَاكَ
 بِمَا أَعْطَاكَ رُبُّكَ وَارْتَضَاكَ
 فَصِيحُ النُّطْقِ [قَوْلُهُ] إِذْ رَاكَ
 كَتَسْبِيحِ الطَّعَامِ، وَذَا كَفَاكَ
 بِكَفِّكَ لِلَّذِي وَافَى حَمَاكَ
 أَيُظْمَأُ مِنْ يَحْبُكَ وَاقْتِفَاكَ؟!
 مِنَ الْحَوْضِ الَّذِي فِيهِ شَفَاكَ [242]
 غَدَا فِي الْحَشْرِ إِذْ يَسْمُو لَوَاكَ
 بِطَيْبَةِ نَشْرِ طَيْبٍ مِنْ شَذَاكَ
 وَمِنْ بِالرَّشْدِ وَالتَّقْوَى قَفَاكَ

(1) الشَّنْبُ: رقة وبرد يجري في الفم، وهو من علامات النظافة والطهر.

73

وقال: كان الله له بمنه:

صل يا رب على خير الورى
ما شذى الطير على دوح الشجر

بالجوى قلبى تداعى وانفطر
عن نواحى، ناح فى دوح الشجر
عند نفحات النسيم المعتبر
فوق صفحات خدود الزهر
وترى الرعد كحاد قد زجر
وكلا هذين برق ومطر
بطروز الزهر مرآها ازدهر [243]
بصنوف الحسن تلقى من خطر
من بأيديه تصاريف القدر
رحمة تهدى لجن وبشر
كنز أسرار الفلاح المنتظر
ملا الكون جمالا وانتشر
شاهد الأنوار من كان حضر⁽²⁾
ولد المختار وانزاح الكدر
بنبي لكم اليوم ظهر
كامل الخلق نقيا من قذر
أمه، والقلب منه ما صبر
صدره، والشوق عنه ما صدر
كل باد للورى حتى اشتهر
أرسلت منها بأملاك زمر [244]
كل راء بجمال قد بهر
نوره يمحو الدياجي إن زهر
قيل: لاح البرق أوفاح الزهر
منهما نور إلى الجو ازدهر

كاسها هبت نسيمات السحر
إذا غشى القماري⁽¹⁾ بالغضا
يسر كع الغصن لسلطان الهوى
ويصوغ الطل ذرا زاهرا
وترى البرق كسيف لامع
يضحك الجو ويكي عجباً
وترى خضرة روض سندسا
وترى تيجان أزهار الفلا
بلسان الحال دلتنا على
باعث المختار طه المصطفى
نخبة الكونين مفتاح الصفا
طالع النور الذي عم الفضا
وعلى الكعبة منه والجمى
ومنادي السعد نادى في الورى:
أبشروا يا أمة مرحومة
ولد المختار أسمى طاهر
فستلقاه أمين الله من
ضمه من بعد تقبيل إلى
وبه طاف على الأكوان في
وعليه حلل من جنة
عرفوا الهادي بنعت باهر
وجهه شمس وبدر زاهر
وإذا يفتح ثغرا باسمها
وإذا يفتح عينيه سما

(1) القماري: من أفخر أنواع العود، منسوب إلى موضع بالهند.

(2) في الأصل: من كان قد حضر، وبه ينكر البيت.

قَسَمَ الدَّرَّ بَعْدَ بَيْنِهِ
 صَدْرُهُ شُقَّ لِإِخْرَاجِ الْأَذَى
 مَلَأُوهُ حَكْمَةً مَفْرُوعَةً
 وَضَعُوا خَاتَمَ قَدَسٍ طَابَعَا
 أَوْدَعُوهُ قُوَّةَ كَيْمِيَا يَرَى
 مَا تَرَاهُ أَبْصَرَ الْآيَاتِ فِي
 بَلِّ رَأَى اللَّهُ بَعِينِي رَأْسَهُ
 وَلِهَذَا لَمْ يَنْلِ مُوسَى الَّذِي
 لِلْكَلِيمِ الْمَاءُ مِنْ صَخْرٍ جَرَى
 وَلِمُوسَى بِحَرُّهُ مَنَفْلَقُ
 أَقْبَلَتْ تَسْعَى إِلَى خِدْمَتِهِ
 سَبَّحَتْ فِي كَفِّهِ صَمُّ الْحَصَى
 وَكَذَا سَلَّمَ بِالْجَهْرِ عَلَى
 أَبْلَغِ الْوَحْيِ طَرِيًّا لِلْوَرَى
 لِسْتِمَامِ الْكَوْنِ وَافِي رَحْمَةً
 وَبِذَاتِ اللَّهِ وَافِي نَاهِضًا
 قَائِمًا بِالْقِسْطِ أَمَّارًا بِمَا
 حَقَّقَ تَقْوَى اللَّهِ وَاللَّهُ اتَّقَى
 وَاصِلَ الصَّوْمِ، وَعَنْ ذَا قَدْنَهَى
 مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ
 كُلِّ حُسْنٍ وَجْهًا جَمَعَتْ
 أَكْمَلَتْ صُورَتَهُ حَتَّى انْتَهَتْ
 آيَةُ اللَّهِ لَنَا تَتْلَى عَلَى
 مَا رَأَى السَّارِعُونَ إِلَّا ظَلَمَهُ
 رَدًّا إِبْصَارَ لَبِيبٍ حُسْنُهُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَوَّارَ الْهَدَى
 يَا إِمَامَ الْمُرْسَلِينَ؛ انْظُرْ إِلَى
 وَأَجْرِهِ مَنْ قُتُونُ وَعَنَا
 وَاجْبِرْ اجْبِرْ كَسْرَ قَلْبِي سَيِّدِي
 يَا حَبِيبَ اللَّهِ يَا أَغْنَى الْوَرَى

وأخيه، وعلى الشدي اقتصر
 بعد غسالات ثلاث تُغْتَبَرُ
 ثم خاطوه وللفعّل الأثر
 بين كِتْفَيْهِ، له النور انتشر
 ملكوت الله من غير ضرر
 ليلة الإسرا وما زاغ البصر؟
 وبهذا عنه قد صح الخبر
 ناله هذا الحبيب المعتبر
 وجرى من ذات طه وانهمر [245]
 ولطه في السما انشق القمر
 بعد تكليم له دوح الشجر
 قطعام قد وعاه من حضر
 أحميد في مكة ذاك الحجّر
 مثلما بشر فوزا ونذر
 وبدين الله بالسيف جَهَرُ
 حازما في كل ورد وصدر
 يقتضي النهي وما الله أمر
 من على حالة طه قد قدر؟
 صَحْبُهُ خَوْفا عليهم من خطر
 ما حكى قدرة طه من قدر
 ذات طه ذات نور وخفّر
 وسمت شكلا على كل الصور [246]
 وجهه الأبهى كما تلى السور
 سرّ حسن المصطفى عنا استتر
 هيبة عنه عيوننا قد قهر
 يا مליح الوجه يا أبهى قمر
 حلبي بك في الكرب انتصر
 واكفه كل مهم يُتَنَظَّرُ
 فضلك الممنوح كم كسر جبر
 لغناك العبد يا طه افتقر

فوق جسر رق حدا كالشعر⁽¹⁾
عملي الصالح، يا مجلي الكدر
إن سطا للسنار في الخلق الشر
وعلى آل وأصحاب غرر

لا تدعني سيدي جلف الأسى
ولدى الميزان كن لي مرجحا
أنت نعم الغوث يا حامي الحمى
وعليك الله صلى دائما

وقال كان الله له بمنه: [247]

74

صلاة وتسليم على أشرف الورى
محمد المحمود في خير مشهد

والثم منها معهدا بعد معهد؟
وأوقف قلبي وقفة المتردد
معاني طه مشهدا بعد مشهد
فما خاب من طه جميل تردد
وأخني ظهري من جلاله أحمد
وأرسلها في مرصد بعد مرصد
وأشكو له شوقي ووجدي ومبغدي
وألقي به شبيبي بحسن تردد
لدى قبر طه المصطفى خير مرشد
ويرحمني الجلمود⁽²⁾ من عظم مفقدي
وغالية مع عنبر متصعد [248]
به قد أتى المختار من خير مصعد
فيا عين من حسن الحبيب تزودي
عسى لحظة يشفى بها قلبي الصدى
فوقتك هذا اليوم يرحل في غد
وإن يزدهر نور الحمى؛ فتجلدي؟!
بها أغتني عن كل شيء وأهتدي
وفيك كفاء العبد، والعبد مجتدي
ببابك مقصوص الجناح كمقعد
ومن أحد أبلغت أشرف مقصد

تري هل ترى عيني ديار محمد
وأطرق رأسي هيبة وتذلا
وأذنو بروحي دون جسمي مشاهدا
وألزم سيري بالفناء تردددا
وأنضم جسمنا من تجلي جماله
وأملأ عيني من ضياء ضريحه
وأشر ذر الدمع في صحن وجنتي
ه أسبح وجهي في جدار مقامه
ه أسبح حتى لا أرى لحقارتي
ه أنشوق حتى أبكي الأرض والسما
ه أنشوق أنفسي من عبير ومسكة
ألميب روعي من روائح طيبه
أقول لعيني إذ رأت حسن أحمد:
أديمي بأرجاء الحبيب لواحظا
لعلك بعد اليوم لا تنظرينه
ألا أحرزي نهب التمتع بالحمى
ألا يا رسول الله؛ هب لي التفاتة
ففيك شفاء السقم، والسقم معضل
ألا يا رسول الله عطفًا على امرئ
عطفًا على جذع النخيل وقد بكى

(1) الشعر: النبات والشجر، وكذلك يطلق على الشق الضيق جدا، وكأنه الأولى.

(2) الجلمود: الصخر.

إذا كنت أوليت الجهاد كرامةً
 يحبك حبا لم يُحبَّ به سوى
 فما قصَدَ القُصَادَ مثلك في الورى
 بك الأرض فخرا شُرِّفت دون ما السما
 ومن غار ثور غار قلبي، فلم يكن
 فياليت عيني كانت الغار إذ أتى
 لأعطيه عيني وقلبي وقاية
 ولكن قضاء الله سابق منيتي
 وإني وأمثالي من الناس غابط
 هنيئا وبشرى بالحبيب ونُزله
 أتتك به الخيرات من كل جانب
 أتتك من الغيب السعادة صدفة
 فإن فاتنا هذا النعيم فإننا
 ونأتي رسول الله والخوض طافح
 وهذا بحسن الظن في أشرف الورى
 بدنسها وأخرى لم يُضغ حليته
 ويشفع فيه والبنين وأهله
 عليه صلاة الله ما هبت الصبا
 وآل وأصحاب، وكل متابع

فكيف بعبد مؤمن وموحد؟
 جنابك، يا أسمى حبيبٍ ممجَّد
 سخيا كريها، كفه خيرٌ مورد
 بسكنائك فيها والوطا والتردد [249]
 لذاتك مئوى عند مهجة معتدي
 إليه مع الصديق أعظم مهتدي
 له ولصديق أجل مسدد
 وليس التمني مانعا قرب مبعد
 به كل سهل في المغاني ومُصعد
 عليك بوجه السعد يا أم معبد
 فقليلي: مع الهادي وربك فاحمد
 وكم فجأ الإسعاد قلبا لمُسعد
 لنرجوه في الأخرى بأكرم مشهد
 فما أحد منا لدى حوضه صدي
 فحُسْنُ ظنون العبد ينفع في غد
 أقلَّ عبيد للمديح مردد
 وإخوانه طه أجل مؤيد [250]
 بروض نضير مُخْضَلٍ زاهر ندي
 رشيد بتوفيق منير ومرشد

75

وقال - كان الله له بمنه - قصيدة تشتمل على أسمائه المباركة صلى الله عليه وسلم، وجعله وسيلة لنيل المآرب الدنيوية والأخروية، متوسلا بها إلى الله تعالى له ولغيره من المسلمين في خير الدنيا والآخرة:

صلاة من الرحمن في كل لحظة
 على من له حوض لوارده حلا

صريع الهوى مازال فيك مجذلا
 لقد خلت أن السحب في الجو وحده
 فؤادي جناح الطير أو بضعة، فكم
 وروحي توالى صحوها ومغيها
 إذا ما قتلت الصب في الحب عجلا
 فما لي أراها فوق خدي هطلا
 يرفرف خفقا مزعجا ومقلقا⁽¹⁾
 فتبقى وتبقى فيك يا أشرف الملا

(1) القلقلة: تحريك الشيء حتى يضطرب، ويأتي بمعنى: مزلزا.

إذا غبَّتْ عن عين المحب فلم تَغِبْ
 فنَادَيْتُ مَنْ وَجَدِي وشوقي ولوعتي
 وقد جُلِّيتْ أَسْمَاءُ وَجْهَكَ فِي الْحِشَا
 حنانيك صلني يا «محمد» رحمة
 ويا «حامد» احمدي لدى الله في غد
 «أحيدٌ» «وحيدٌ» الحسن «ماح» و«حاشر»
 «أعاقِبُ» كم أعقبت بالرشد تابعاً
 وذاتاً ووصفا أنت أظهر «طاهر»
 فديستك فينا «طيِّباً» و«مطهِّراً»
 «مقفٌ» «رسولٌ رحمة» «خيرٌ مقتفٍ»
 «وكاملٌ» «أوصافٍ» «رسولٌ ملاحمٍ»
 وأنت «حبيبُ الله»؛ فاشفع لمن عصي
 فإنك «عبدُ الله» حقاً «مُدَّثِّرٌ»
 بسترِكَ زملني فأنْتَ «مُزَمِّلٌ»
 وأنت «كليمُ الله»، «خاتمُ رسله»
 بنورك يا «محيي» فؤادي أحياه
 جنابك «منصور» ولي أنت «ناصر»
 وأنت «نبيُّ التوبة» العبدُ تائبٌ
 «شهير» و«معلوم» لأنْتَ و«شاهد»
 «بشير» «نذير» «منذرٌ» و«مبشِّرٌ»
 «هُدًى» خير «مهديٌّ» «منيرٌ» قلوبنا
 «مجابٌ» «حفيٌّ» بالعباد «عفوهم»
 «قويٌّ» و«مأمونٌ»، «أمينٌ» «مكرمٌ»
 «متينٌ» «مبينٌ» للعباد «مؤملٌ»
 و«ذوق قوة» «ذو حرمة» «ذو مكانة»
 «مطاع» «مطيع» «رحمةٌ» ناده وقل:
 و«بشرى» و«غوثٌ»، أنت «غيثٌ» «غياثنا»
 «بنا» «عروةٌ وثقى» «هدية ربنا»
 «أنسٌ» «صراطٌ مستقيم» لرشدنا
 «إنك» «سيفُ الله»، والله «حزبه»
 «فيا» «مصطفى» يا «مجتبى» «متقى»؛ أقل

عن القلب ذكراً مُجْمَلاً ومُفَصَّلاً [251]
 وما بفؤادي من هواك تنزلاً
 بأذكارها قلبي اكتسى أشرف الحلا
 ويا «أحمد» انظمني بسلك أولي الولا
 فقدرك «محمودٌ» وقولك قد علا
 ونورك يا «طه» و«ياسين» يجتلا
 فلم ير عن حسن العواقب معدلاً
 وعرضاً وجذات وجداً تَكَمَّلاً
 «نبيا» «رسولا» «سيداً» «قيماً» حلا
 لأنْتَ «رسول الراحة»، القلبُ قد جلا
 «واكليلٌ» سعد لاح بالأنس مقبلاً
 شفاعتك الرحمن فينا تقبلاً
 وأنت «صفي الله»، كربي بك انجلا
 وأنت «نجيُّ الله» مُنْجٍ من البَلا [252]
 «وخاتم كل الأنبياء» قد اعتلا
 وذكَر فؤادي يا «مذكَّر» ما سلا
 وأنت «نبيُّ الرحمة» ازدانَ مرسلاً
 «حريص عليك» أنت تُولى مَأمَلاً
 «شهيد» و«مشهود» علينا لنا جلا
 «سراج» و«مصباح»، و«نور» تهلا
 و«داع» و«مدعوٌ» «مجيَّبٌ» مؤملاً
 «وليٌّ» و«حَقٌّ»، والأباطيل أبطلا
 «كريمٌ» «مكينٌ» قدره الله بجلا
 «وصول»؛ فكم أرضى شريداً وأوصلاً
 و«عزٌّ» و«فضل» للورى، كم تفضلاً
 فيا «قدم الصدق» اشف للقلب موجلاً
 فيا «نعمة الله»؛ انظر القلب واصقلاً [253]
 فأنْتَ «صراط الله» بالحق مُثلاً
 كذلك «ذكر الله» أنْتَ لمن تلا
 ونورك «نجم ثاقبٌ» قد تشعلاً
 عثاري غدا والذنبُ ظهري أنقلاً

إذا كنت «أميا» فعلمك معجز
 «أجير» أجار المستجير بجاهه
 فإنك «مختار» «أبا القاسم» الذي
 «أبو الطاهر» الأسمى، «أبو الطيب» الرضى
 «شفيع» البرايا، «صالح» «مصلح» لهم
 «مصدق» أخبار، «وصدق» و«صادق»
 و«سيد كل المرسلين» محمد
 «وقائد غر» في القيامة حُجلوا
 وأنت «خليل الله» يا «أشرف الورى»
 و«بر» «مبر» أنت أيضا و«ناصح»
 فإزلت يا طه «كفيلًا» بفوزنا
 وصار «مقيم السنة» اسمك بالهدى
 بقدسك «روح القدس» طهر قلوبنا
 ويا «روح قسط» أنت «كافي» و«مكتفي»
 كما طُلت فوق الرسل في الوصل «بالغا»
 بنورك يا «شافي» اشف ضر قلوبنا
 ويا خير «موصول»؛ صل العبد بالرضى
 و«مُهدي» لنا الإحسان أنت «مقدم»
 و«مفتاحُ باب الله» أنت و«فاتح»
 وأنت لنا «مفتاح رحمة» ربنا
 فيا «علم الإيمان»؛ ضن كنز ديننا
 فللحسنات «الغر» أنت «مصحح»
 «مقيل ذوي العثرات» من أهل دينه
 ويا «ذا الشفاعات»؛ اشفع اشفع لمن عصى
 لك «القدم العليا» وسابقة الهدى
 أيا من هو «المخصوص بالعز» خُصنا
 ويا من هو «المخصوص بالشرف» الجلي
 ويا «ذا التعالي» والوسيلة في غد
 ويا «صاحب السيف» الذي سُل في العدى
 ويا «ذا الإزار»؛ اشدُّ إزارى بنظرة
 ويا «صاحب السلطان» و«الحجة» التي

وللأنبيا والرسل قد دام مَنهلاً
 «وجبار» استعلى على من تضللاً
 لنا قسَم التوحيد في القلب منزلاً
 «أبو - البدر» إبراهيم نرجوه معقلاً
 «مشفع» رب منه قولاً نُقبلاً
 «مهيمن» من يأتي من الناس أو خلا
 عنيت «إمام المتقين» المفضلاً
 فما أجمل العبد الأغر «المحجلاً»
 مسالك روح منك حقاً تخللاً [254]
 «وجية» «نصيح»، و«الوكيل» «الموكلاً»
 «شفيقا» بنا مستسلماً «متوكلاً»
 مقدّس ذات مغ صفات تكملاً
 فإنك «روح الحق» تهدي المضللاً
 معجلاً امنحن الكفا ومؤجلاً
 «مبلغ» وحي طلّت وصلاً موصلًا
 ويا «واصلًا» هبنا إليك التوصلًا
 فإنك «هاد» «سائق» «سابق» العلا
 ودمت «عزيزًا» «فاضلاً» و«مفضلاً»
 و«مفتاح جنات» إذا جئت مُقبلاً
 كذلك إياك المهيمُنُ أرسلاً
 ويا «علم الإيقان»؛ قُدننا لنعملاً
 «دليلٌ لخيرات» بها قد تكفلاً [255]
 «صفوح» عن الزلات ممن تجهلاً
 ويا «ذا المقام»؛ ارفع مقامى المسفلاً
 بذاك غدا تُدعى إذا زُنت محفلاً
 بعز ذوي التوفيق كني لا تُسبلاً
 و«بالمجد مخصوص»؛ لنا انظر تفضلاً
 بها العبدُ يا طه إليك توسلاً
 فضيلتك العظمى بها كنت أفضلًا
 لتنقلني من وحل ذنبى وتنشلاً
 بدت مثل صبح في ظلام؛ فأرحلاً

بحقك فاجعلني لبشر مجللاً
 لأنت، و«ذو تاج» بذّر تكللاً
 ويا «صاحب المعراج»؛ قل لي: ارقّ منزلاً
 نبوءة» حقاً والعلامة؛ لي أقبلًا [256]
 «فصيح اللسان»؛ سُدت من كان ذا عللاً
 جنان» من الأدناس ختماً وأولاً
 فأنت «صحيح الدين» أكمل من عللاً
 مهيمن، يا «عين النعيم»؛ لي اشملاً
 كأنك «سعد الله» تُعلي المذللاً
 ببابك رام السعد لم يبق مهملاً
 مواكب فضل الله؛ إذ كنت أكمللاً
 ويا «كاشف الكرب» الذي جاء بالبلا
 تقاصر عنها المرسلون ومن تلا
 وذو الفرج الملهوف وافي مظللاً
 بها كل مرغوب لداعيك كملاً
 ووجه لنا روض المواهب مخضلاً
 نجاهً وغفرانا ورزقا مسهلًا [257]
 ورشداً وتوفيقاً، وفتحاً مسللاً
 وتخرجَ صديقي أعطناه ومذخلاً
 وأعمالنا يارب فضلاً تقبلاً
 ومن بعده أولى بأن تتفضلاً
 به في جنان الخلد شملاً مكمللاً
 أتاك يرى الوجة الكريم المهللاً
 فأبلغهما والمسلمين المؤمنلاً
 رداً الفضل بعد الأنبياء تسربلاً
 بجاه عليّ كاشف الكرب في الملا

وفي الخلق ما أعلاك يا «صاحب الردا»
 و«ذو درجات» في القيام «رفيعة»
 و«ذا المغفر» الأسمى، ويا «صاحب اللوا»
 ويا «ذا القضيبي» و«البراق» و«خاتم الذ»
 ويا «صاحب البرهان» يا «ذا البيان» يا
 «رؤوف» «رحيم» أنت أيضاً «مظهر ال»
 ويا «أذن خير» قد إلى الخير مهجتي
 ويا «سيد الكونين» يا «عين نعمة» ال
 «سرك» «عين العز» أعزز مذلتي
 «سعد الخلق» أنت، فكل من
 «الأسم الواعين أنت «الخطيب» في
 إلى التفت بالغوث يا «علم الهدى»
 فأنت «رفيع» في العلى الرتب التي
 لأنك «عز القرب والعرب» دائماً
 بأسمائه قد جئت يارب داعياً
 بجاه المسمى يا إلهي استجب لنا
 وهب لي وإخواني وأهلي وجيرتي
 وعلماً وحليماً، ثم نوراً وحكمة
 وحرزاً وحصناً، واعتصاماً ومأمناً
 جميعاً مهماتي بداري فاقضها
 فأعطيتنا يارب قبل سؤالنا
 بجاه المسمى؛ اجمع إلهي شملنا
 وواصل لنا مغة الزيارة كلما
 مع الحلبي قد دعا ابن عطية⁽¹⁾
 بجاه أبي بكر أجل خليفة
 بجاه أبي حفص وعثمان ذي الحيا

(1) كأنه يقصد معاصره العلامة المؤرخ المشارك أبا العباس أحمد بن محمد الحارثي ابن الإمام المفسر محمد بن عطية الأندلسي الفاسي المتوفى عام 1129 بفاس، صاحب كتابي: "كتاب التفكير والاعتبار، في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار، ومن اتبعهم من العلماء السادات الصوفية الأبرار"، و"كتاب التفكير والاعتبار، في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار، ومن اتبعهم من العلماء السادات الصوفية الأبرار". انظر ترجمته في "سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس"، لجدنا الإمام محمد بن جعفر الكتاني رضي الله عنه، (1/ 421) بتحقيقنا.

بسعد سعيد والزبير وعامر
بحمزة والعباس عمي نبينا
بعائشة العظمى بجاه خديجة
بصحب رسول الله طُرا، بتابع
وصل وسلم يا إلهي دائماً
وأصحابه والآل ما هبت الصبا

قال ناظمه: هذه الأسماء الشريفة نظمتها على وفق عدد الأسماء النبوية في «دلائل الخيرات»⁽¹⁾، تبركا وتفاؤلا بنيل الداعي بها أنواع الخيرات والبركات، نفع الله بها القاري والسامع، والساعي في طلبها والكاظم والكاسب، وأفاض علينا وعليهم دنيا وأخرى من بحار فضله والمواهب، آمين آمين آمين يا رب العالمين.

ونسأل المذكورين الدعاء الصالح لناظمها، جعلها الله من أشرف العمل المتقبل الصالح الناجح. والحمد لله أولاً وآخراً، أهد الأبددين، ودهر الداهرين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. [259]

76

وقال: كان الله له بمنه:

صلاة الله عاطرة دواما على المهادي محمد الحبيب

صباح الأنس لاح على القلوب
ومد الغصن أعناق التصابي
وباح النهار بالأشواق جهرا
وتيجان العائم من زهور
وفي مطلولة الأغصان دُر
وبين الخافقين أتاح أنس
ومال الشائقون لوجه طه
وكيف يليق صبر عن حبيب
حبيب جاءه جبريل ليلا
وشدركأبه ميكال لما
يبشرها بميلاد الحبيب
وقام الطير فيه كالخطيب
وصاح كصيحة الصب الكئيب
تُهيّج مهجة الرائي الطروب
تلوح على النواظر في الركوب
وللبشرى سرى طيب الهبوب
من العلم كميلات القضيب
تملك حُبه سر القلوب؟!
وهيا للعلى أبهى ركوب
سرى ليلا لعلام الغيوب [260]

(1) يشير إلى كتاب "دلائل الخيرات" في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، تأليف الإمام المربي محمد بن سليمان الجزولي الشهير من أئمة الشاذلية، والمتوفى نهاية القرن التاسع الهجري. والكتاب مطبوع مرارا ومشرح، ومن أهم شروحه كتاب "مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات"، للعلامة المهدي بن أحمد الفاسي الفهري، والذي طبع حديثا بدار الكتب العلمية، ودار الرشاد.

بيت المقدس السامي الكوب
كما يمشي البرايا في السهب
وراجعه بتخفيف الخطوب
لنا، وأزال عنا من كرب
ورجائنا برحمات المجيب
وأندر من مقارفة الذنوب
بوعيد صادق للمستجيب
وبالتضعيف فزنا من قريب
فلنا المكرمات بلا رقيب
فأنقانا الحبيب من العيوب
فإن المصطفى ماحي الذنوب
وصحب ما تجلوا في القلوب [261]

وصلّى بالأوائل والثواني
مشى فوق الهوى مشيا سويا
وكلّم ربه أبهى كلام
فكم منه قضى أربا عظيما
وكم خاف الردى حرصا علينا
وكم بشرى لنا أبدى حنانا
وكم أزهى لنا وجه التهاني
وكم قد خفف الأثقال عنا
وكم قد أعظم الحسنات منا
وكم ألقى كمالا علينا
فيا حلبي لا تجزع بذنوب
وصلّ على الحبيب وكلّ آل

وقال: كان الله له بمنه:

77

الصلاة عليك يا خير خلق
ما يُشدُّ إلى حماك الركابُ

ماله غير باب فضلك باب؟
لم يكن في سواه يخلو الطلاب
ليس يعذب في سواك العذاب
ما عليك بذاك مني حساب
بل خديدي إذا وطئت ثراب
ويُزال عن الشهود الحجاب؟
أن يصحّ إليك مني اقتراب
أنبياء، إليك حُق انتساب
كالصواعق منه كان انسكاب
في الجنان يحكيه هذا الشراب
والظباء في قفرها والضباب [262]
بعد تسليمها، كذاك الذياب
وقلوب الكفار فيها اكتئاب
ق، وراق لديه منها الخطاب
ن يسبح قد وعى ذا الصحاب

سيدي هل لذي الغرام جواب
منتهى الطالبين وضلك يا من
فيك كأس مرارة الصبر تحلو
يسا ملىح الملاح عذب محبّا
الك في حبة القلوب وطاء
من لعيني تراك يا نور عيني
فمنهاية مقصدي وسروري
أنت كنز كنوز ذي العرش، قطب الـ
قد أسلت بين الأصابع ماء
لم يكن ماء كوثر ورقيق
وبعير عليه سلم جهرا
والسحّال قد قبلت أخصّصه
وله انشق في السما البدر حقا
كم دعا شجرا؛ أته بلا سا
وطعام بكفه كالخصى كا

ما يجرد عنه منه الثياب
صدر، والكف لمسه مستطاب
خدد، فضته بتير ثياب
لك والدمع فوق خدي سحاب
وفؤاد لم تثنوه فخراب
قد أصيبوا بمثل ذا لم يصابوا
وأناها بعد المشيب الشباب
سح على القفر بعد جذب عباب
قد تولاه ريحها والتراب [263]
والدعاء بهاللداع مجاب
كل يوم، بذاقضى الوهاب
ولهم فوق قبر طه اضطراب
وبكل شئ لطفه حباب
سيما في السنوى يراه الحجاب؟!
والصحابة من لطفه استجابوا

كالجواهر والجثمان المصفى
أبيض الوجه أزهر اللون رحب الص
أبلغ سابغ الحواجب، سهل ال
يا رسول الإله إني مشوق
كل قلب ثويته فرياض
ومصيبة فقدك الناس طرا
عم طيبة إذ قدمت جمال
وبها البركات سحت كما سح
وعليها الإله أعبق طيبا
والغبار يطفى الجذام لديها
وعليها أملاك ربي نزول
يلثمون ضريحه وثره
كل شيء يحب أشرف خلق
كيف لا يعتني به حلي
وعليه والآل ألف صلاة

78

وقال: كان الله له بمنه:

صلى عليك الله يا قطب البها
ما زادت العشاق فيك غراما

وحبيبه أود السبعاد أقاما
وفؤاده وجد الشفاء سقاما!
خذ من فؤادي بالجمال زماما
واقصد على وادي العقيق⁽¹⁾ خياما [264]
لا تخش في خلع العذار ملاما
فابعث إليه فؤادك العواما
فالشم لليلي بالجدار لثاما
لك شية بترابه استعظاما
واترك لديه الطيش والتهياما
تالله ما أحلى هناك سلاما

قلبي على العهد القديم أقاما
عجبا لصب كيف يسقمه الجوى
ياناصبا شرك الجمال حباله
وارحل إلى الروحا بروحي والحشا
واخلع عذارك عند هاتيك الربا
وإذا طغت عينك في ذاك الضيا
وإذا دخلت ديار أكرم مرسل
واطرح خديك بالفناء معفرا
واصدع بوجدك عنده متملقا
واخضع لدى باب السلام مسلما

(1) وادي العقيق: واد بالحجاز مشهور.

واعلم بأنك ضيفُ أكرم مرسل
وسل الشفاعة عند أعظم شافع
يا داخلا حرم الحبيب محمد
العرش لم يلحق مقام مقامه
فيه رسول الله تاج الأنبيا
كالبدر أو كالفجر فوق بُراقه
ومشى سويا في الهواء إلى العلى
ناداه ذو العرش: ادنُ يا خير الورى
حللت يا طه الحلال، فهأكه
أكرمت بالتخفيف أكرم أمة
وبقاب قوسين اصطفاه ربه
وبمكة لما أتى البيت الحرا
فأشار رمزا بالقضيب، فبادرت
وبدا بمكة دينُ أحمدَ جهرة
أفدي حبيباً ربّه قد حاطه
فقل عيوب الجاهلية كلها
إن نامت العينان منه بغفوة
أينام قلبُ ذو الجلال جليسه
الله شرفه وأكمل خلقه
الله أعطاه فأعطى خلقه
من ذا يباري فضله أو جوده
لجنابه الحلبيّ وجّة قصده
قسماً بعيش محمد لا أختشي
حاشاه أن يلقي محب جنابه
صلى عليه الله جل جلاله
والصحب والأتباع أهل هداية

حقّق إذا ما زرتّه إكراما
وأدم به متلذا إكماما
بشراك نلت من الحبيب مراما
أكرم بذّيّك المقام مقاماً
وختامهم مسكٌ يحل ختاماً
لما استرى⁽¹⁾ وافى يشق ظلاماً
كم شق من حجب الجلال غماماً [265]
مني لثمنح رؤية وكلاماً
وكذاك صيرت الخبيث حراماً
لك كي تنال لنعمتي إتماماً
وليه أتم بقربه الإنعاماً
م، فنكس الأوثان والأصناماً
نحو السقوط على الثرى إرغاماً
لله ما أعلى بها الإسلاماً
كهلاً ووقت رضاعه وغلاماً
وعلى خلافهم غداً مقدماً
ففؤاده يأبى الدهور مناماً
دون القلوب سما به إعظاماً؟
فترى التمام به يجوز تماماً
بعطائه جعل الكرام لثاماً [266]
وغداً لكل المرسلين إماماً؟
ويبابه قد أوقف الأنظاماً
كدراً ولا فقراً ولا إعداماً
محروم فضل إذ جنسى إجراماً
والآل من حازوا به إكراماً
ما يفجأ الفجر المبين ظلاماً

(1) في الأصل: لما أسرى. ولا يستقيم وزنا.

عليك صلاة ربك يا حبيباً
لنا الله المواهب منه أهدي

بصدق قد أذقت القلب شهدا
فذاب فؤاده شوقاً ووجدا
فليتك قد رضيت الصبَّ عبدا
وروحى سيدي لهواك جندا [267]
بكفك سيدي ختاً ومبدا
ودمعي قد كوى جفنا وخدا
فما أذكاه في الأحشاء زندا
وقد صمّن الجوى للجفن شهدا؟
وأبرم حُبّه للأسر عقدا؟
فأسرى الحبّ فيه ليس تفدا
له حُب، فصار له الأودا
له تسعى، تحوز بذاك ودا
بذا تَحَذّت لدى الرحمن عهدا
وسدّر قد غدت بالفور جندا
قفأ أثر الـه إذ قد تعدا
أنال الغار إيناسا وسعدا
فحازت بالحبيب هُدًى ورفدا [268]
إليها المصطفى من جل حمدا
ببقاع حبيبته المختار أهدي
فطلنا فوق كل الخلق رُشدا
ولم يدر البليغ لذاك عدا
رداء جلالته المولى تردى
وما أسناهما نورا ووقدا
وجسما فائحا طيبا وقدا
يفوق مُباريا طولا وحدا

حبیب القلب ما أحلاك صدّا
تمنى صبُّك المضىنى التفاتا
عُبَيْدُك في فناء الحب أمسى
وجدتُ جوارحي والقلب مني
إليك أخذتني مني، فكلي
فما في الناس من ييكى بكائي
ونار الشوق [تضرم] ⁽¹⁾زند قلبي
وأى كرى يذوق الجفن يوما
وأى شج يُباح له انفكاك
لقد أسر المحبّ جمال طه
حبیب قد سرى في روح صب
دعا الأشجار؛ لبّته وقامت
له شهدت بإرسال وصدق
له كالعنكبوت حمام غار
وقته من عدو ذي ضلال
ألا أكرم بطه من حبیب
ومر بأم معبّد في قُدَيْد
وأشرقّت المدينة حين وافى
تبارك من إليها دون كل الـ
وأهداه إلينا الله فضلا
محاسن ذاته ما ليس يحصى
محياه يفوق البدر حسنا
وما أحلى جبينيه وأبهى
وجلّ المصطفى عُنقا سويا
له مني على الماشين يسمو

(1) سقط في الأصل جبرناه بها ذكر.

على بلّار خد جلّ خدا
بلطف حيائه الأرواح غدى
وفوق البحر منها الجود مُدا
بسه الأرواح للأمموات ردا
فما الحلبي يُدرك منه عدا [269]
وها أنا عبده ذا الفرض أدى
بذلك بوصفه وسعا وجهدا
بأن أرضى، ومدحي لن يُردا
وأحبابي إذا جئناه وفدا
صلاةً من إله جلّ فردا

كان بوجتية الورد يزهو
كحيل الطرف من غير اکتحال
له كف ملامسها كزهر
ومبسّمه الشريف لدى ابتسام
مديح محمد ما ليس يُنهى
ولكن شكره فرض علينا
جعلت مديحه ما عشت شغلي
يقيني فيه حقّ لي رجائي
ويشفع لي وأولادي وأهلي
عليه وآله والصحب طرا

80

وقال: كان الله له بمنه:

عليك عواطر الصلوات يا من
يفوق الأنبياء عزا وجاها

وأجفاني لظي دمعي كواها
وعيشك قلب صب ما سلاها
تلا آيات حسنك من تلاها
ولطفك في الشمائل ما تناهى
خلاصة أهلها تجلى علاها [270]
ببابك خوّلّت أقصى مناها
بك الأملاك والأرسال باهى
جلال جمالك الأسمى طواها
شديد الرعب منك لقد عراها
وذّل، ونفسه ذهبّت قواها
وكان له الشجاعة لا تضاهها
بأكرم طعنة يابى سواها
به في الحرب إذ دارت رحاها
فشرد عصبة منهم أتاها
عصابتهم، فأعماها قذاها
فأوصل رميه لما رماها

لهيب هواك أضلاعي ثواها
وطلعتك التي أحييت فؤادي
وذاتك يا أجل الناس حسنا
شمائلك المليحة ما تناهت
لأنت عروس مملكة المعالي
إليك قد انتهت رتب الأعالى
لأنك صفوة الرحمن فرد
فكم عين إذا تلقاك يوما
وكم نفس رأتك بلا توان
بذلك غورث ييست يدها
كذاك أبو ركانة طاح صرعا
كذاك أمية قدم مات رعبا
وكانت تُنتقى الأبطال طرا
ببدر واجة الكفاز فردا
ويوم حنين استقوت ضلالا
رمى لما رمى، والله رام

فَفَرُّوا بِالْحَصَى مِنْ كَفِّ طَه
 أَلَا أَكْرَمُ بِكَفٍّ مِنْ حَبِيبِ
 قُلُوبٍ لِلْوَثْقَى صَدَّتْ قَدِيمَا
 وَطَهَّرَهَا مِنَ الْأَدْنَسِ طُورَا
 وَحَلَاهَا بِتَوْحِيدٍ وَرَشْدٍ
 وَصُورَتِهِ الْعَظِيمَةُ كُنْزُ حُسْنِ
 وَرَكَّبَهَا الْجَلِيلُ أَجَلَّ ذَاتِ
 وَسَالِ الْمَاءُ مِنْهَا سَيْلٌ وَإِ
 سَقَى الْأَرْوَاحَ وَالْأَجْسَادَ طَه
 وَصَارَ مُرَكَّبُ الرَّحْمَنِ ذَاتَا
 تَنْوُرٍ عَلَى الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي
 بِدَارَةِ وَجْهِهِ بَدْرٌ وَشَمْسٌ
 نَعَمَ أَنْوَارُ طَلْعَتِهِ انْفِخَامَا
 فَذَاكَ لِيَعْرِفُوهُ بِخَيْرِ نَعْتِ
 أَلَا أَكْرَمُ بِذَاتٍ مِنْ حَبِيبِ
 وَقَامَتُهَا كَغَصْنِ الْبَانِ، لَكِنْ
 جَبِينَا وَجْهَهَا صَبِيحٌ مَبِينِ
 بِخَدِيدِهَا الْأَسْوَالَةَ ذَاتُ وَرْدِ
 لَهَا ثَغَرٌ شَنِيبُ الرِّيقِ عَذْبٌ
 وَأَبْرَأُ كُلِّ ذِي جُحْرٍ وَسَقَمِ
 بِصَاعٍ مِنْ شَعِيرِ أَلْفِ نَفْسِ
 فَمَا الْبَرَكَاتُ إِلَّا مِنْ يَدَيْهِ
 حَبَاهُ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ دِينَا
 وَأَحْمَدُ قَاسِمُ فَضْلَا وَجُودَا
 فَطَبَّ يَا أَحْمَدُ الْحَلَبِيَّ نَفْسَا
 سَيَغْمُرُهَا بِيَحْرُ الْجُودِ فَضْلَا
 وَأَهْلُكَ وَالْبَنِينَ يَسُرُّ حَتْمَا
 عَلَيْهِ وَآلَهُ وَالصَّحْبَ مِنْي

كَذَا الْأَحْزَابُ فَرَّقَهَا صَبَاهَا
 يَسْبِيحُ كَالطَّعَامِ بِهَا حَصَاهَا [271]
 فَكَمْ مِنْ مَهْجَةٍ ظَمَأَ شَفَاهَا
 فَيَا بُشْرَى لَهَا مِمَّا سَقَاهَا
 أَزَالُ بِنُورِهِ عَنْهَا صَدَاهَا
 وَمِنْ مَلْبُوسِهِ الْأَسْنَى كَسَاهَا
 فَيَا لِلَّهِ مَا أَحْلَى حُلَاهَا
 تَبَارَكَ مَنْ عَلَى الصُّورِ اجْتَبَاهَا
 تَقْدَسَ عَنْ شَرِيكِ فِي بِهَاهَا
 لِأَكْرَمِ مَرْسَلٍ قَدَرَا وَجَاهَا
 مَعَانِيهَا كَشَمْسٍ فِي ضَحَاهَا
 فَمَا أَحَدٌ حَقِيقَتُهَا دَرَاهَا
 عَلَى الْأَكْوَانِ بَارِيهَا جَلَاهَا
 لِأَشْرَفِ طَلْعَةٍ يَزْهُو سَنَاهَا
 كَمَسْكَ أَوْ كَبَحْرٍ رَاحَتَاهَا [272]
 مَوَارِدَ خَيْرِ سَيْرٍ قَدْ تَنَاهَى
 وَكَالسَّيْحِ⁽¹⁾ الْمَلِيحِ ضَفِيرَتَاهِ
 وَنَسْرِيْنِ، فَكَمْ بِصُرٍّ جَنَانَاهِ
 فَلَلُّرُضْعَاءَ مِنْهُ كَفَى غِذَاهِ
 فَكَمْ ذَاتٌ بِهِ فَقَدَتْ ضَنَانَهُ
 كَمَا رَوَى بِهِ أَيْضًا كِفَاهَهُ
 لِكُلِّ الْخَلْقِ مَوْلَانَا حَبَاهِ
 وَأَكْمَلَهَا لَنَا وَقَدَارَ تَضَاهِ
 لِأُمَّتِهِ التِّي الْمَوْلَى اصْطَفَاهِ
 نَبِيُّكَ حَطَّ عَنْ نَفْسِ عَنَاهِ
 وَيُؤَبِّلُهَا بِبَدَارِئِهَا مُنَادِ
 فَتَنْفُسُ الْمُصْطَفَى حَتْمٌ سَخَادِ
 صَلَاةُ عَمَّتِ الْغُبْرَا شَذَاهَا [273]

(1) السَّيْحُ: الماء الجاري على ظهر الأرض، وعباءة مخططة، وقيل: ضرب من البرود. وكله يستقيم..

الصلاة عليك والآل طرا
والصحاب الكرام والتابعينا

طباب صرف هـواك للعاشقين
مثل العاشقين بالحب وجدا
فيك قتل الهوى حياة لصب
فيك دمعي جواهر فوق خدي
ما بكيتُ دمعا، ولكن بكيت الـ
ما ذكرتك يا حبيبي إلا
وتداعى صديري برغد زفيري
صحت في قفص النوى فيك وحدي
مارثى لي على نواحي عذول
اعقلوا لوعتي وفرط غرامي
واستووا عندهم: سكوتي ونطقي
ولو استشعر الخلو فؤادي
فسلامي على العوالم طرا
كل شيء إذا حصلت لصب
ما بهذي الدنيا سواك أنيس
إن يغيب شخصك المكرم عنا
رؤية القلب فوق رؤية عين
أنت في القلب قد حططت رحال الذ
أنت والله غاية السؤل للعبد الـ
بمحياك ألف شمس وبدر
كم به من سيوف حسن ونور
وقوامك ربعة في اعتدال
إن مشيت المشي الهويننا تراه
خذلك الزاهر المورّد وردا
ما ابتسام الحبيب مثل ابتسام الز
خاتم الثغر منه يصدر برق
أفلج سنه يُباري الأفاحي

لمحياك ما انثنوا شائقين
ما عليك إذا قضوا واجدين
رُب حي هو القليل يقينا
كم أثارت عند البكاء شجوننا
جمر قرّح باللهيب جفونا
وابتدرت النحيب فيك فنونا
وفؤادي غدا لخصق رهينا
ليس لي مُسعّد من النائحينا
لا ولا واحد من المنصفين
وتواروا في مكمن الغافليننا [274]
وخلوّي ولوعتي مذكسنا
لم أكن للهوى من البائحينا
بعد وجهك يا مئى الطالبينا
هين إذ يفوت للقاصدين
أنت مُذهب وحشة الحائرين
فالقلوب تراك كالشاهدين
فالقلوب فاقت بذاك العيوننا
مذكر والصلوات للذاكرين
محب، يا خاتم المرسلينا
أكسب الراسخين عقلا جنونا
أصلت بغتة على الناظرين
هو غصن وليس يحكي الغصونا
سابقا للمشاة والراكبيننا [275]
قد أبان للعين والياسميننا
زهر في الروض إذ يروق العيوننا
عند نطق، فيطرب السامعينا
كوثر الريق فيه يبري الجنونا

أعجز الرضعا عن القوت فضلا
 ما أجل الحبيب عند احتباء
 والصحابة مطرقون رؤوسا
 ويعون الذي يقول، وإن يسكت
 وإذا يأمر الحبيب تراهم
 قدموا دونَه النفوس وقاء
 موتهم كالزلال بين يديه
 كالجبال تراهم فوق خيل
 تتداعى الجبال دون قواهم
 أهم الأشد أم نسور أغارت
 قطعوا دجلة رجالا وركبا
 برسوخ يقيهم قطعوها
 حبهم واجب على كل عبد
 بهم الحبيب يبدل إلى الله
 وبطه الحبيب خاتم رسل الله
 كن لي يارب البنين وأهلي
 والصلاة على الحبيب وآل

كم شفى سقم من أتاه حزينا
 طائلا كتفه على الجالسين
 عنده، ولقوله منصتوا
 تجدهم كجامد ساكنين
 لا تمثال نبينهم طائرين
 وفأوه بهلهم والبنين
 في الجهاد قتلا من الكافرين
 وعليها تخالهم نابتين
 إن تصدوا يوم الوغى ثابتينا [276]
 إن أتوا أرض كافر واثينا
 ومشوا فوق مائها مسرعين
 بل لديها زادوا هدى وقي
 رضي الله عنهم أجمعين
 به الكريم وأرحم الراحمين
 به ذاك الشافع في المذنبين
 شافيا واقيا ولينا معين
 والصحاب والأتقيا التابعين

82

وقال: كان الله له بمنه:

صلى عليك الله يا قطب الهدى
 ما غرد القمري في الأوراق

صلني؛ تقضت سيدي أشواقي
 يا محرقا قلبي بنار صدوده
 يا سالبا صبري وروحي والحشا
 يا مورثا عيني دماء مدامع
 يا ساكنا قلبي؛ فما لي لم أجد
 يا مانعا طرقي شهود جماله
 يا مزعجا سيري وقلبي والحجا
 يا سالكا روعي بروح وداده
 يا مالكا كلي وجزئي بالهوى

لمتى أسوف مهجتي لتلاق
 الله يعلم ما بذاك الأقي [277]
 أفنيتني شغفا، وحسبك باق
 ما إذا قضيت بدمعي المهرام
 قلبي سوى متوهج خفا
 قرحت من مرصاده آفاق
 عطفنا على مملوكك المش
 أسرغ إلى مغنى الوصال مس
 بالله لا تجنح إلى إعتاق

دعني على أبواب حبك دائما
 دعني لديك صريع حسنك والبها
 أنا صريع الروح يا خير الوري
 أنت الكريم وليس ينقص فضله
 وإليك أرواح الحبايب دائما
 وإليك جذع النخل من وقد رقي
 كم أيكية يست جلس بظلالها
 ودعوت أشجارا؛ أنتك مطيعة
 لك أنطق المولى الجهاد كرامة
 عليك كان مسلما ومكلما
 وأسلت من بين الأصابع منهلها
 ولأجلك انشق الهلال بمكة
 فلقين وافي فالقبا بيانه
 الله أفرده بباهر حكمة
 الله خصصه بوجه زاهر
 ما شئت من بحر ومن برق ومن
 قد أضحك الأزهار ثغر محمد
 قد حاز ختم فم لطيف أشنب
 يطوي الليالي كان أشرف مرسل
 من جنة الفردوس كم جاء الحبيب
 يسقي ويطعم روحه دون الوري
 كم قد علا من ذات قطب أسرع
 سبق السوابق واللواحق رتبة
 جليت شمائله على حلبه
 فسعى إلى باب المديح مشمرا
 والفكر أخدم واللسان نعوتها
 فاشفع له وبنيه يا خير الوري
 صلى عليك الله جل جلاله

عبدا بلا ثمن أخا إشفافي
 فحلا لديك مصارع العشاق
 في بابك الأعلى على إملاقي
 ما قد حبا من بحر الدفاق
 حنت موهنة حنين نياق
 كالعجل بين عشائر ورفاق [278]
 فاخضوضرت بالثمر والأوراق
 تسعى بخير خطأ وأجل ساق
 من غير أهلية إلى الإنطاق
 ما قد مررت به من الآفاق
 عند الظما لصحابة خذاق
 فرآه ذو عقل على الإطلاق
 بالربع أفئدة لأهل شقاق
 دون الوري بمكارم الأخلاق
 كالبدر أو كالشمس في الإشراق
 نور بدت بجبينه البراق
 عند ابتسام للبصائر راق
 فيه الحياة وكوثر الأرياق⁽¹⁾
 ومواصلا للصوم للخلاق [279]
 ب المصطفى جبريل بالأرزاق
 سبحان ربى المالك الرزاق
 بالخطو كالأرياح عند سباق
 سبحان من أسماه في السباق
 فسما بها ذوقا على الأذواق
 عن ساق جد؛ يالها من ساق
 والكف بالتساطر كالأحداق
 يا باب فضل جل عن إغلاق
 والآل والأصحاب خير رفاق

(1) الأرياق: ج ريق: اللعاب.

صلاة الله والأملاك طرا
على من حقه نور وطيب

ويكي كالدم الدمع السكيب [280]
وهل يكي من العين اللهيب؟
إلى من قد صبا قلبي الكئيب
ولكن بالنوى قلبي يذوب
ومن عقلي الرجيع أنا السليب
ومن لي أن يواصكني الحبيب؟
يجود بوصفه وهو الحسيب
فعن عيني لا غاب الرقيب
أراقبه إذا عظم النصيب
بروحي في الشهود أنا القريب
فعن عيني به قلبي ينوب
فقد عُمِرَتْ به منا القلوب
ومن مثل الحبيب لنا طيب؟
له يبقى به نور وطيب [281]
فيدري ذلك العبد الكئيب
بسفرته، وسار به النجيب
وللأصنام قد أردى القضيب
وفي تنكيسها سر عجب
حبيب ليس يشبهه حبيب
بوعد الصدق، وانفضح المريب
بنصر الله، وانخفض الحريب⁽¹⁾
بذات الله كان له الحروب
فما عَسَرَتْ على الهادي الصعوب
ومن كمحمد فينا مصيب؟

حبيبي فيك يلتمس النحيب
إخال الدمع من عيني لهيبا
تقوم قيامتي إن هاج شوقي
ويعذب لي النوى إن زار قلبي
فكم صير أقاسي كل لحظ
تمنيت الوصال ولو بطيف
نعم هو وصفه، والقطع وصفي
يراقب لي العذول أو أن قُربي
فلم يكن الرقيب بلا وصال
أنا الصبُّ البعيد الجسم، لكن
رسول الله في قلبي تجلى
إذا حُجبت لنا عنه عيون
شفى أمراض أفئدة البرايا
حبيب حيثما يمشي بفتح
بدا يُدرى له فيها مرور
فما أحلاه سبقا في المطايا
وعند البيت ما أقواه عزما
هوت منكوسةً بجلال طه
عن البيت الشريف أزال رجسا
وصار الدين أوضح من نهار
وطال المصطفى فوق الأعادي
وكم للمصطفى في الشرك حرب
وسهل كل صعب بانتصاب
أبان الحق وحيًا واجتهادًا

(1) الحريب بمعنى المحارب، أو الكثير الحرب من المبالغة، وكذا هو مسلوب المتاع، فإنه شبه الأعداء بأن اندحروا مسلوب السلاح، أذلاء مهانين.

وملمَسَ جسمه رَوْضُ خَضِيبٍ
كَأَنَّ قِوَامَهَا الْغَصْنُ الرُّطِيبُ
ولكن ماله أبداً مَغِيبُ [282]
مَحَبٌّ؛ مُزَقَّتْ مِنْهُ الْجُيُوبُ
فليس كأحمد الهادي مَهْيبُ
ومنها ما عسى يدري النَجِيبُ
ويسره له المولى المَجِيبُ
وآلٍ، ما بهم لهج الأريبُ
وما يصبو إلى الوطن الغريبُ

براحته الشريفة كنز طيب
وقامته تناهت في اعتدال
وحلَّ بوجهه بدر منير
وسرَّ جلاله ما لوراءه
ذوو الألباب ترعد منه رعباً
فضائله أبست حدَّ انتهاء
جنى الحلبيُّ منها خيرَ مجنى
ودام مصلياً أبداً عليه
وأصحابٍ وأتباعٍ كرامٍ

84

وقال: كان الله له بمنه:

صلواتٌ من ذي العلى طيبات
للنبيِّ الأميِّ أكملِ كاملُ

كلَّ لحظٍ إلى المدينة راحلُ
ويسير إلى الحبيب المواصل
والخزامى ذات الشذى والخمائل
طيب من غير آلة الشم حاصل [283]
سرُّ معنى الجمال في البُعْدِ واصلُ
إنَّ قَرَبَ الأرواح أكبرُ طائلُ
سَلَّ عن البدر في أجلِّ المنازل
بين تلك الرُّبا وتلك المعازل؟
يا حبيب القلوب بالله واصل
عند بابك، يا عظيم الفواضل
دُنْ لنيل الرحمات لا غير داخل
ه المهيمن، يا أجلِّ الوسائل
مُفْلَقَاتِ عن النفوس الكوامل
وعلى قلبك الغيوبُ نَوازلُ
وشربت من صافيات المناهل
سٍ ولا ثالثُ هناك يُدَاخِلُ
فيه بينكما وأنت المخالِل [284]

ويح قلبي فما هو الدهر حاملُ
يترك الجسمَ في الديار صريعا
ويموز على أثيلات نجد
ما غريبٌ له عَبِيق أريج الطُّف
وإليه من غير إدراك عين
ليس يوصف بالبعد محب
حادي العيس إن أنخت بسَلْع
ليت شعري؛ فهل أَعْقُرُ وجهي
وأنادي بخير نادٍ حييلاً:
واصل الصَّبَّ قد أطال وقوفا
أنت بابُ الرحمن من بابك العبد
أنت واسطة العباد إلى الله
أنت مفتاح كشفِ سرِّ المعاني الـ
أنت كنز أنوارِ سرِّ الأسامي
قد رُفعت لقاب قوسين فردا
وسمعت الخطاب في حضرة القُد
أنهم الوحي كي يكون سرّاً

وإليك الأملاك من كل فجٍ
وبك استأنسوا ونالو أماننا
واقتمدوا بك كالنبيين طُرا
ثم قمت تُثني على الله بعد الـ
وتجلت لك الحقائق طُرا
أنت سرُّ الوجود كنزُ التهاني
طالعُ الحسن والجمال، بديع الشـ
جل من أفرد الحبيب بحسن
يا مشبه وجهه ببدر
أي شمس وأي بدر بحسن
آيةُ الحُسن في تحياه تُتلى
ليس يقرأ سطرها غير صَبٍّ
وضع الله فيه مرآة حسن
صورُ الكائنات فيه تجلت
فضلُ أكرم مرسل ليس يُحصى
لكن المدح من نتائج حُبِّ
أحمد الحلبي يمدح طه
ويحرِّك نارَ قلب محب
وعليك والآل ألف صلاةٍ
وعلى الصَّحْب ما تغنَّت حمام

وقال: كان الله له بمنه:

85

أقبلوا يلثمون منك الأنامل
وإليك توجهوا بالمسائل
في صلاةٍ كانت أجل النوافل
أنبياء، وكنت أفضل فاضل
فرأيت الأسرار من غير حائل
معدن المكرمات بحر [النوائل]⁽¹⁾
شَكل في ذاته، مليح الشـ
ماله في الجمال شخصٌ مماثل
وشموسٍ؛ تحقيقه لم يطاول
يشبهان من لاله من معادل؟
للأواخر تُجتلَى والأوائِل
للفنيسة والحُشاشة باذل
شخصه فيه كم رآه مقابل [285]
بحقائقها إِبْوَاع وعاقِل
ليس تُحصى الرمالُ يوماً لناقل
قد سرى من مُحبته في المفاصل
ليبت ثناءه في المحافل
ويُدكِّرُ من عن الحُب غافل
ما بدت هُداك فينا الدلائل
في البُكور بوكرها والأصائل

عليك عواطر الصلوات يا من
لكل الأنبياء والرسل خاتم

ومالك في الملاحه من مُقاسم
أمير فوقهم عالٍ وحاك
وحقك لم تجانسك العوالم [286]
فأنت أبوه في المعنى الملائـ
وأصل وجود ألوان المعالـ

جمالُك في الملاح الحسن قاسم
رعاياك الملاح وأنت قطب
فريد الحسن أنت بغير شك
نعم أنت ابن آدم في وجود
وأنت خلاصة الكونين طُرا

(1) فراغ في الأصل نتيجة الأرضة، جبرناه بها ذكر.

قد استُنِيَتْ في أزلٍ رسولاً
وكنْتَ عروسَ مملكة المعاني
وأجزاء النبوءات استقرت
ختمت الأنبياء والرُّسل، لكن
فديتُك من حبيب جل قدراً
منيرٍ الثغر برّاق الثنايا
إذا ما افترَّ عن زهر الأقاحي
شريقُ البشرِ مأنوسُ المحيّا
بهي القدِّ معتدلٌ كغصن
حبيبٍ حيثما يمشي عياناً
له نَسَجَتْ كما باضت بغار
له الأصنام خَرَّتْ بامتثال
هوت منكوسة لما أشارت
به زهقت بواطل أهل كفر
بفضل كفّه كفّت البرايا
محيّاه تجلّى يوم بدر
وما شاكي⁽²⁾ سلاح مثل طه
بطه تتقي الأبطال طرا
تراه في الوغى ليثاً عظيماً
أمية مات رعباً قبل طعن
وزل أبوركانة بادعاء
كريم البعث أكرمنا هداه
وأخرجنا من الظلمات حقاً
عالميه وآله أزكى سلام

وقال: كان الله له بمنه:

86

ونورُك بالثنا لله قائم
بحضرة ذي الجلال سناك حائم
بذاتك، إنها كنز الأعظم
كم استولى على المختوم خاتم
وأحى للورى جسّد المكارم
مليح المتقى حلّو المباسم
تقول: افترّ عن حبّ الغنائم
لأملاك السما فيه مغانم
وراحت كزهرة في الكنائم
له سجد الحجارة والبهائم
سعيدات العناكب والحمام
من البيت العتيق بوجه راغم
لها من أكرم الرُّسل البراجم⁽¹⁾
وجاء الحق من قضب العزائم
على العرب استطالت والأعاجم
كبدت تحت سيدة العائيم
مليح السمّت محمود الشكائم
إذا اشتدت من القوم الملاحم
بتفليته تموت ذوو الجرائم
لأشرف قاتل وأجل حازم
فما للمصطفى الهادي مقاوم
فحزنا السبق في الأمم الكرائم
وحط الإصر عنا والمآثم
وأصحاب هم أهل المكارم [288]

صلاة الله طيبة دواماً
على من فيه للقلب الشفاء

(1) البراجم: جبرجة: وهي مفاصل الأصابع التي تلي ظهر الكف، رؤوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض القابض كفّه نشزت وارتفعت.

(2) شاكي السلاح: ذو شوكة وحيد في سلاحه.

بقلبي نافذُ منك القضاء
وما بالحالتين لي ارعواء
فبين هواك والروح الإخاء
فشيّب به من الحرق الدماء
فلولا ذاك ما بكيت السماء
بروحني يُشترى منه اللقاء؟
ووحش البر طُرا والظباء
سجودُ الشكر ليس له خفاء
فأدر كيت الذي فيه الشفاء
إلى أصل، وحق لها انثناء [289]
ففي قرب الحبيب لها دواء
وأصل هياجه: حاء وباء
بحضرة صاحبه جمّل وشاء
تروى في القفار به الظماء
فلا ليل هناك ولا مساء
إلى يوم القيام له ازدهاء
وفيه لم يخب قط الرجاء
بأحمد من له يحلو الثناء
بوجه محمد رُفِعَ الشقاء
وعند الشكر يُلتمس العطاء
أتحجب قلب ذاكرك الغطاء؟
إلى القبر الكريم له التجاء

أمير المهجة افعل ما تشاء
إليك إشارتي بدءاً وعوداً
ألفت هواك في هجر ووصل
أنا الباكي سقيت الخد دمعاً
أعرت السحب من جفني ماء
أبيكي غير جفني في حبيب
أجابته الجلاهد مذعنات
أنته الأييك تسعى ساجدات
أراها المصطفى سرا بديعا
أطاعت أمره بالعود تمثي
أبت إلا الدنو إلى حبيب
أتى أحدا فهاج به سرورا
أكب مقبلاً قدمي حبيب
أسال من أصبعه الماء تجري
أضياء تهامة طولا وعرضا
أدام على المدينة منه نورا
أجار المستجير بكل حال
أرى الحلبي محروسا مصونا
أيشقى من يليه الدهر كُلا
إليك وسائلي: مدحي وشكري
أزل عن قلبي اللاهي غطاء
إليك سلام مشتاق محب

صلوات الله ذي العرش على من كفانا جوذه والكرم

إرحموا عبد هواكم تُرحموا
وبكم قلبي المعنى مغرم
ليس بعد الذكر إلا أنت
وروى أنس التسلي بك
فبنار الشوق قلبي يضر

يابدورا في الحشا قد خيموا
قد غرمت العمر في أذكاركم
إنما التذكار منشور اللقا
ذكركم أوهى اصطباري والقوى
ذكركم هيّج شوقي والضنا

هـ بحر الحب باحت أدعني
 نالها علالت عيني بالبكاء
 نالها نادى منادى حبكم
 الباع الحب لكم في روح من
 تسكنكم معشوقه من أزل
 حسنكم خامر أرواح الورى
 أخذ الميثاق ذو العرش على
 صفوة الصفوة أنتم، أمركم
 كيف لا والمصطفى بحر الصفا
 بل جميع الأصفيا والأتقيا
 ذرة الأكوان قطب الأنبيا
 دوحه الرشيد وينبوع الهدى
 معدن الأصل الكريم المتقى
 مستقر الحسن دهر، وجهه
 تغره خاتم نور زاهر
 ذقنه الريحان في ورد على
 جيده إبريق تبر شابه
 كفه الديباج زهر مترف
 قدّه سلطان أغصان له
 كل عضو منه قد حاز البها
 سيد الأرسال تاج الأنبيا
 مهبط الأسرار من رب العلى
 مجمع الأنوار معراج النهى
 قبلة الأفكار مفتاح الرضى
 حلبي الدار يرجو فضله
 هو بحر الجود إلا أنه
 وعليه الله صلى وعلى

بالبكاء، فالحب لا ينكتم
 ساعد القلب لعيني والفم
 لبّت الروح امتثالاً لكم
 رسخت في الفوز منه القدم
 وهو فيكم عائق مصطلم
 والورى في الغيب طراً عدّم [291]
 نافذ فيما أردتم مبرم
 قدره من كل قدر أعظم؟
 لرسول الله حقاً خدّم
 وبه قد كملوا إذ ختموا
 من به الله بذكر يقسم
 عنصر المجد، الحبيب الأكرم
 منه للعالم حسن يقسم
 يجذب الأرواح منه المبسم
 خده المبيض فيما يعلم
 فضة صافية لا تعدّم
 كم شفا منها الشفاء الملثم
 سرّ ميل نبوي يلزم [292]
 كل ذي روح لكم كي تكرموا
 وهو في الرسل طراز معلّم
 نخبة الكونين طه الأفخم
 سره من غير طه مبهم
 ملّمع البشرى [البهى] (1) الملزم
 مانح الجدوى، مفيد منعم
 أي صب من نداء محرم؟
 ماله حد لواع يفهم
 آل والصحب الكرام الأنجم

(1) في الأصل: الملزم، فجزناه به: البهي الملزم.

صلى عليك الله يا خير الورى
ما دام قلبك في المعارف يرتقي

يا هل تُرى هل بعد هذا نلتقي؟
فارقتُ من فَرَقِي سواد المَفرق [293]
قد سار، والأحشاء حُلْفُ تمزُق
شَرَّ الدُموع على الحُدَيْد المحرق
يا راحلين خذوا زِمَامَ تَمَلُّقِي
عن مَغْرَمِ ناءٍ غريبٍ مشفق
أَمسى أسير تَمَلُّمِل وتَشوق
كَمسائه في نار شوق مفلِق
عشق المحبُّ سنا النبي الأصدق
فستأدي؛ لا تشرُّقِي في المشرق
لولا في أفق العُلى لم تشرقي
لولا شهودك وجهه لم تبرق
إن فاح طيبُ المصطفى لا تعبق
لولا نعومة كفه لم تُفَتِّقِ
في حضرة الأصحاب أكرمَ مَنْطِقِ [294]
لَقِي المصافحُ من شذاها ما لقي
مثل الصواعق نبعها بتدفق
فزهد نفوسهم كغصن مُورِق
لولا كلُّ مكوّن لم يُخلَقِ
وعُلاه أسبقُ سابق لم يُلَخِّقِ
إلا الحبيبُ سَما بفضل مُطلَقِ
فزكا بأصل في القبائل مُعْرِقِ
بكريم وصفٍ في المديح مُروِّقِ
وصفُ الحبيبِ حياة أهل العُشُقِ
والصخب ما لاحت شمس المشرق

بالله يا حادي النياق ترفق
دعني أودّع من بَخْطُب وداعهم
ساروا فشاهدتُ الوجودَ بأسره
زَفوا الرواحل والجفونُ سواكبُ
ناديت من أسفي وفرط تولهي:
وقِفوا على باب السلام وسلّموا
ولقد عصاه الصبرُ حتى إنه
فمساؤه كصباحه، وصباحه
إنَّ التَّصَبُّرَ غيرُ محمود إذا
يا شمسُ إن لمحتُ أسره وجهه
وجه الحبيب أجَلُ منك ملاحه
يا بدرُ بادر لثَم وجه محمد
يا مسكُ لا تنفخ لدى نَفحاته
بالله يا زهر البساتين احتشم
كفُ بها نَطَقَ الطعامُ مع الحصا
من طيبها الذائقُ طابَتْ أنفُسُ
منها تَفَجَّرَتِ العيونُ لوارد
سُقِي الصحابة من ينباع ذاته
منه جميع الكائنات تَكُونَتْ
قَصَبَاتُ سَبْق في النبوة حازها
ما فاضلُ إلا وقُيِّد فضله
أزكى البرية محتدا وأرومة
قف أحمدَ الحلبِيَّ في أبوابه
وأذر كؤوس الوصف في عُشاقه
صلى عليه ذو الجلال وإليه

صلاة الله تترأ كل حين
على خير الورى عالي الجنباب [295]

إليك، ولم تزل ذات ارتقاب
قريح القلب مأسور الحباب⁽¹⁾
على خديه تجري بالتهاب
فنال الشيب في زمن الشباب
بعادي سيدي سبب اقترابي
فحسبي منك يا أملي انتسابي
إلى مغناك يا قمري انجذابي
لقائك، إنني أذهي⁽²⁾ مصاب
لبعد عن ضريحك في اغترابي
أضاع العمر في سجع⁽³⁾ الحجاب
من الرحمن عن قبح ارتكابي
فظهري من همومي في انحداب
بك الحيران يهدي للصواب [296]
وأنت البدر مع خير الصحاب
وأمتعت المسامع بالخطاب
من المبدأ إلى يوم الحساب
من المكنون في أم الكتاب
من الملكوت في وقت الإياب
به، والفرد مرفوع الجنباب
وأنت البحر منأخ الثواب
رحيم أنت لا ترضى عذابي

بواعث سر قلبي في انقلاب
ببوابك عاشق ملقى طريح
بوادد دمعته في الخلد جمر
براه الشوق والتبريح جسما
بعدت وأنت روعي يا مريح
بعادك مع رضى عني اقتراب
بلا بل نار وجدي قد أدامت
بكيث دما على ما فاتني من
بلائي ليس يشبهه بلاء
بوجهك سيدي أقبل على من
بشير أنت بشرني بعفو
بديلك لم أجد والله غوثا
بقيت موثها، كن لي دليلا
برأفك كان أسرع من رياح
بلغت بقاب قوسين الأماني
بدالك كل ما في اللوح جهرا
بحار علوم غيب زنت حقا
بهيج النور كان عليك يبدو
بديع الحسن كنت، وكنت فردا
بعثت إليك تسليمي ومدحي
برورك لي: الشفاعة في ذنوبي

(1) الحباب بالكسر: المحابة والموادة، وكأنه كنى بذلك عن محل الحب وهو القلب، فكانه يقول: قلبي مأسور عندكم.

(2) أذهي: إذا تكبر، فكانه يقول: إنني أكبر مصابي وأستعظمه، وأعده حادثا جللا.

(3) السجع: الستر والخباء.

من النيران في يوم العقاب
وأنت لدى الكريم أجل باب
بيوم الحشر مرهون الطلّاب
بدار الخلد يا أعلى مجاب
فجودك فائق قصر السحاب [297]
ضريحك كالغوالي في انتساب
كمل بحمد الله تعالى وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبدّه [298].

براءة أحمد الحلبي حَقَّقْ
بك الأحباب تنجو من عذاب
بحقك لا تدعني في حساب
بنيت بمدحك الأعلى قصورا
بجنب عظيم فضلك ذا قليل
بعوث غواضي الصلوات تغشى

ملحق بأشعار أخرى للإمام الحلبي في المدح النبوي

ومن كلام العالم العلامة، الحبر البحر الفهامة، خادم الجناح النبوي؛ سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي، رحمه الله تعالى ونفعنا به، أمين:

90

فطيبة: أين الدُّجَا والقمر؟
سلامٌ يفوح كنش الزهر؟
فأين الرياحين أين الزهر؟
فأين الغصون بدوح الشجر؟
يفوق غزالا إذا ما خطر
مُباريه في المشي خلف الحفر
ويمشي الهويناء إذا ما خطر
تمام الوجود به يُعْتَبَر
فأين البحار وأين المطر؟
فأين جمال جميع الصور؟
وسبحان من خصه بالخفر
إذا ما تذلّت عقاصُ الشعر
وللنون من بينها مزدهر
فأين اللاّلي وأين الدرر؟
فأين الصباح إذا ما انتشر؟
فذاك الشفاء الذي يُنتظر
ومن ريقه الشهد يشفي الضرر
وورد طريّ جناه النظر

إذا أنت شمس الضحى والقمر
عليك من الله يا مصطفى
إذا أنت روض يطيب شذى
إذا كان قدك غصن النقا
فديت حبيباً غدا ربعة
يطول الطويل إذا ما مشا
وتطوى له الأرض في سيره
عروس العوالم قطب النهى
إذا فاض من كفه فضلة
وصورته إن تجلّت لنا
فسبحان من خصه بالبها
على البدر من وجهه قد حلت
تنسى ومُرسل مع فرقها
إذا افتر عن جوهر ثغره
إذا يخرج البرق من ثغره
وإن ذاق من ريقه ذائق
فمن ريقه للورى كوثر
ومن خده سوسن زاهر

وَمَنْ طَرَفَهُ أَدْعَجُ حَسَنُ
 سَوَابِغُ أَهْدَابِهَا قَدْ حَكَتْ
 لَهُ بَيْنَهَا فَلَجُ مَشْرِقُ
 لَهُ طَرَّةٌ هِيَ جِبْهَتُهُ
 وَمَنْ جِيدُهُ سَاطِعٌ إِنْ بَدَا
 وَمَنْ ذَاتُهُ كَوَكْبٌ طَالَعَ
 وَمَنْ ذِقْنُهُ رَوْضٌ رِيحَانِيَّةٌ
 وَمَنْ جِسْمُهُ نَاعِمُ الزَّهْرِ فِي
 وَمَنْ عَرَقُ الْمَصْطَفَى جَوْهَرُ
 فَمَا كَانَ أَذْكَاهُ فِينَا شَذَا
 وَمِنْ تَحْتِ إِبْطِيهِ مَسْكٌ ثَوَى
 وَمِنْ لَوْنِهِ أَزْهَرُ مَشْرَبِ
 نَبِيٍّ أَتَى بِالْهَدَى رَحْمَةً
 وَأَرْسَى جِبَالَ الْهَدَى فِي الْوَرَى
 وَدَلَّ عَلَى صِدْقِهِ وَجْهُهُ
 وَلَوْ لَا بَدَتْ مِنْهُ آيَاتُهُ
 وَمِنْهُ عَلَيْهِ لَهُ شَاهِدُ
 فَفِي وَجْهِهِ مَعْجَزٌ نَائِبِ
 فَأَهْدَى السَّلَامَ لَهُ جَهْرَةً
 وَرَدَّتْ لَهُ الشَّمْسُ فِي مَغْرَبِ
 وَقَدْ صَارَ نَصَفَيْنِ فِي مَكَّةِ
 فَلَدَيْتُ حَيْبًا لِأَصْحَابِهِ
 فَعَنْصَرُهُ ذَاتُ خَيْرِ الْوَرَى
 فَبِهَا مَاءٌ زَمْزَمٌ يَعْدِلُهُ
 فَبِهَا شَارِبًا مِنْهُ؛ نَلْتِ الْمُنَى
 فَكَمْ أَقْرَعُ مَسَحَ الْمَصْطَفَى
 وَكَمْ سَقَمٌ قَدْ شَفَى رِيقُهُ
 وَكَمْ مَعْدَمٌ أَكْسَبَ الْمَصْطَفَى
 فَمَنْ ذَا يَوَازِيهِ فِي فَضْلِهِ
 بَلِ الْخَلْقُ طَرٌّ عِيَالٌ عَلَى

مَعَ الشَّكْلِ إِزْدَانٌ فِيهَا الْحَوَزُ
 حَوَاجِبُهُ الزَّهْرَاتُ الْغُرُرُ
 كَقَبْضَةِ عَاجٍ إِذَا مَا ظَهَرَ
 يَلِيهَا الْجَبِينُ كَصَبْحِ زَهَرٍ
 لَهُ التَّبَرُّ مِثْلُ الْجَمَانِ اعْتَدَزُ
 إِذَا مَا تَبَدَّتْ خِلَالِ الشَّعْرِ
 مَسْبَحَةٌ طَيِّبُهَا مَعْتَبَرُ
 نَفَاحٌ وَزَهْوٌ بِطَوْلِ الدَّهْرِ
 إِذَا سَأَلَ؛ يَحْيِي الْحَشَا وَالْبَصَرَ
 وَمَا كَانَ أَحْلَاهُ حِينَ انْتَشَرَ
 يَفُوحُ، وَعَنْ نَفْجِهِ مَا فُتِرَ
 عَلَى جِسْمِ طِهِ الْحَبِيبِ أَزْدَهَرُ
 وَجَاهِدَ بِالسَّيْفِ مَنْ قَدْ كَفَرَ
 كَمَا قَدْ مَحَا لِلضَّلَالِ الْأَثَرَ
 إِذَا مَا رَأَى نَقْيُ الْفِكَرِ
 لِأَنْبَاءَنَا وَجْهُهُ بِالْخَبَرِ
 وَذَلِكَ وَجْهُ الْحَبِيبِ الْأَغْرَ
 عَلَى الْمَعْجَزَاتِ ذَوَاتِ السُّورِ
 عَلَيْهِ بِمَكَّةِ ضُمُّ الْحَجَرِ
 وَمَنْ أَجْلَهُ انشَقَّ جَرَمُ الْقَمَرِ
 وَفِي ذَاكَ لِلْغَافِلِينَ الْعَبَرِ
 جَرَى الْمَاءُ مِنْ كَفِّهِ وَانْهَمَرَ
 وَمِنْ ذَاتِهِ قَدْ جَرَى وَانْفَجَرَ
 وَلَا كَوْثَرٌ فِي الْجَنَانِ الْقَرَرُ
 وَنَلْتِ الْمَعَانِي وَنَلْتِ الْفَخْرُ
 مَعَ الطَّيِّبِ أَعْقَبَ نَبْتُ الشَّعْرِ
 وَأَبْرَأُ ذَا عَاهَةِ وَجَبَرِ
 وَأَغْنَاهُ بِالْوَصْلِ حَتَّى انْغَمَرَ
 وَقَدْ عَمَّ بِالْفَضْلِ كُلُّ الْبَشَرِ
 نَوَالِ الْحَبِيبِ الْكَرِيمِ الْأَغْرَ

كذا الحلبي المحبُّ قضي
فما خاب والله من يرتجي
عليه وعترته الأصفيا
وأصحابه السادة الأتقيا
كملت بحمد الله تعالى، وله رحمه الله تعالى:

91

عليك وآلك الصلوات تبرا
وصحيك مَنْ لهم قدز رفيعُ

هلالُ السعد لاح له الطلوعُ
وثغر البشر ضاء له ابتسامُ
وزهر الزهو آن له ازدهاءُ
فمولد أحمد الهادي المحابي
إليه حُق للقلب اشتياقُ
من الأفراح قد يبكي محبُّ
أيام من قلبه كنز المعاني
فقم واشطخ، وتَه زهوا وبشري
أذغ طربا به وحبا
تفكر في جلالته تجده
إمام المرسلين حبيب ربي
وسيفُ الله مسلولا دوا
أذاع الحق والتوحيد جهرا
وأهض للمعارف والمعالي
وأخرج كل ذي شرك وشك
وأدخل حصن حرمة سعيدا
أسال من اصبعيه الماء يجري
وجذع النخل حن له جهازا
دعا الأشجار؛ لبته سريعا
فيا حُسن الذي كتبتَه رقما
عليه سلّمت تسليم حي
له قمر السماء انشق ليلا

فأشرق المراسم والربوعُ
وفخر الأنس راق له نُصوعُ
وعيدُ المومنين له رجوعُ
تجدد منه في القلب الولوعُ
وللعينين بالفرح الدموعُ
دنا لحبيبه الوصل المريعُ
ومن حُب الرسول له رُتوعُ
بأحمد، ولتطر منك الضلوعُ
متى يُشد له تجري الدموعُ
عظيما في القلوب له خضوعُ
شفيع المرتجي، نغم الشفيع
على من حاد؛ فهو به صريع
ولم يوجد سوى الهادي مُذيعُ
نفوسا كان عطلها الخُموعُ
إلى التوحيد وهول له دروعُ
فحضنُ المصطفى حصن منيع
على وجه الصعيد له نبوعُ
فما لسواه قد حنّ الجذوعُ
وبين يديه حُق له الركوعُ
على وجه التراب لها الفروعُ
لها نُطقٌ لأسرار مُشيع
وكان به لأعداء دفعوعُ

وبدر الأفق كلمه جهازًا
وما الحلبي محصي مدح طه
عليه وآله التسليم مني
فأنطقه له الملك السميع
فبحر مديحه بحر وسيع
وأصحاب لهم قنر رفيع
كملت بحمد الله تعالى وتوفيقه، وله رحمه الله تعالى:

92

صلى عليك إله العرش ما سجدت
ورق، وما نفحت في الروض أزهار

قف بالركاب؛ فهذا الرُبْع والدار
بشراك بشراك؛ قد لاحت قباهم
هذا المَحْصَبُ هذا الخيفُ خيفُ مني
هذي قباب قبا آثار وطئهم
هذا النبي الحجازي الذي شهدت
هذا الحبيب الذي أسرى لخالقه
هذا الرسول الذي من أجله شهدا
هذا الشريف الذي سادت به مُضَرُّ
هذا الشفيع الذي تُرجى شفاعته
بأدر وسلم على أنوار روضته
إن لم تعاین تراه العين يا أسفا
يا أهل طيبة لي في ربكم قمر
وأشغلتنى ذنوب عنك مؤلة
يا خيرة الرسل يا أعلى الورى شرفا
فكن شفيعي لما قدمت من زلل
صلى عليك إله العرش ما سجدت
وآله وعلى أصحابه الكرام
كملت بحمد الله وحسن عون، وله أيضا رحمه الله تعالى:

93

الصلاة عليك ما سار ركب
عاهدا للبيت العتيق وزمزم

يا هاماً على الأراك؛ ترنم
هل بكيت مع العشيق المتيم؟

أنت تبكي الأوطان فوق غصون
 أنت خالي الحشا من الوعد دهرًا
 أنت تكتحل الكرا جوف وكر
 أنت تفرح حيث تمضي وتلهو
 أنت قلبك عندك الدهر باق
 أنت إن مالت الغصون فصيح
 أنت تأكل ما أردت وتسقى
 أنت لا حرج عليك ولا اثم
 أنت ما حل قلبك الدهر حب
 أنت قلبك ما استرق رسول الـ
 من إليه الأرواح يجذب منا
 يا هنيئًا لمن أناخ المطايا
 وبواد الأراك عرس ليلا
 ثم طاف بالبيت سبعا وسبعا
 ثم صلى عند المقام احتسابًا
 وتشفع بالنبي رسول الـ
 ومناسك حجه قد أتاها
 واستطاب الوقوف في عرفات
 واغتنى لمنى؛ فنال مناه
 حاز مغفرة لذنوب وجرم
 تلك أسوتنا بأعلى نبي
 أمره نافذ بفعل وترك
 ما علمت بأنهم عنه نابوا
 نسخ الحكم كله غير توحى
 خصه الله بالغيوب، فطه
 من تأخر عند جبريل لما
 قال جبريل: لو تقدمت شبرا
 ولتجز للجلال سبعين ألفا
 فتقم رفرف لرسول الـ
 سار فيه الحبيب سير أمير

والعشيق يبكي الحبيب المكرم
 والعشيق مُبلى الجوانح مغرم
 والعشيق الكرا على العين حرم
 والعشيق في قلبه النار تُضرم
 والعشيق القلب منه مُضرم
 والعشيق مع الصباة مُلجم
 والعشيق ريح الحبيب تنسم
 والعشيق فيه الحبيب مُحكم
 والعشيق في قلبه الحب خيم
 له بالحب، وهو للصَّب مغنم
 جاذب الروح للحطيم وزمزم
 في تهامة حين لبي وأحرم
 وتوخى البيت العتيق ويَمم
 وأتى الحجر السعيد فيلثم
 ودنا للميزاب يدعو ويغنم
 له عند الإله في غفر مآثم
 باقتفاء آثار طه المكرم
 شاكرًا ما عليه ذو العرش أنعم
 ورمى الجمرات، والهدي قدّم
 ما تأخر منه أو ما تقدم
 وهو قدوتنا الإمام المقدم
 بل له الأمر في النبيين مُبرم
 وقت حكمهم، وأحمد أحكم؟
 عد لكل الأنام بالحكم عمم
 عن سواه كنز الغيوب مطلسم
 بلغ المستوى وطه تقدم
 لا حترقت بالنور، فاصعد لتكرم
 من حجاب، لم يغشها قبل مكرم
 له يحملها فريداً مفخم
 والملائك خلفه كالعرمرم

إذ دنا من رحمانه فتدلى
 هذه جلوتي وأنت حبيبي
 فتشاهد أنوار وجهي بقلب
 أدن مني؛ فأنت خيرة خلقي
 هاك خلعة وُصّلتي واصطفائي
 قد ختمت بك النبيئين طُرّاً
 ورفعتك فوق كل رسول
 خذ بقباب قوسين أسرار سري
 قد تلقيت من مصون علمي
 قد جمعت لك النبوة والملك
 وأخرت الخمسين خمساً بفرض
 وغفرت كبائر من ذنوب
 وجعلتكم قاسماً بحر فضلي
 بحياتك يا أجل حبيب
 وجوارحك الكريمة سمّي
 وجمالك مفرداً قد تجلى
 وجهك البدر تارة وكان الشـ
 حاز تدويره تماماً وحُسناً
 فالجيينان منه والخذ صفحا
 نسيم؛ الخد فيه ورد طري
 نوره فيه جوهر ورقيق
 نبتاه كخاتم من عقيق
 وكإبريق فضة في انتصاب
 قد الغصن بين غصنين، لكن
 وعلى راحتيه ألفى محب
 والمصافح لم يزل فيه طيب
 مُشرب اللون، أزهراً، غصن جسم
 عرق المصطفى الجواهر، لكن
 رشح جسم الحبيب غصن طيب
 طيبه طيب الوجود جميعاً

قيل: يا مصطفى إلينا تقدّم
 فتلذذ بخلوتي وتنعم
 وبعين كما يليق ويفهم
 فادخل الآن حضرتي وتكلم
 دون كل مقرب ومُعظم
 كنفيس بطابع المسك يُختم
 ونبيء، إذ أنت عندي أكرم
 وعلوماً بالوحي، والوحي مُبهم
 ما تكون به من الناس أعلم
 لك، وأنت من العوالم تُخدم
 وثواب الخمسين في الخمس يرسم
 غير شرك لمن هُداك تنسم
 بيديك فضلي على الناس يُقسم
 في الكتاب الكريم ذو العرش أقسم
 فيه كل الوري بقدرك أعلم
 كيف يقسم في الملاح ويسهم
 شمس طالعة به تُتوهم
 لم يكن بمطمطم ومُكلّم
 والغدائر فوقها الليل أدهم
 زانه من سرور أحمد مبسم
 أو أقاح، أو شكل دُر منظم
 أحمر بطراز لطف مُحتم
 عنقه الأبيض السني المقدم
 من يسامره؛ طاله وتقدم
 ريح مسك وغبر حين يلثم
 منه مدة يفوح لمن شم
 في ضريح منظر ومفخم
 بشذا طيب جسمه تتختم
 كنز طيب الفردوس منه مُقسم
 بل على العرش طيبه يتكرم

جود كفيه شبه طوفان نوح
من رياح لواقح مرسلات
حين يلقاه جبرئيل بوحي
كيف لا يغنم الرضى حلبي
من بحار يديه في كل حين
أنا والأهل والبنون نزول
قد لزمنا له وداداً وحُباً
إن فضل الإله بين يديه
ربّ؛ عوّذتني جزيل العطايا
مذ خلقت الأكوان أنفقت ما لا
سيدي؛ إنني على باب طه
ركن عزّ بجاه طه متين
استجب لي بجاهه دعواتي
والصلاة على النبي وآل

غَمَر السَّائِلِينَ فَضْلاً وَمَغْنَمَ
كَانَ فِي رَمَضَانَ أَسْخَى وَأَكْرَمَ
كَانَ مِنْهُ اللَّقَاءُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
مِنْهُ، وَالْقَرَبُ وَالْعَطَاءُ الْمَعْرَمُ؟
فَوَعِيشَ مُحَمَّدٍ لَيْسَ يُحْرَمُ
فِي حَمَاهُ، وَغَيْثُهُ لَيْسَ يُحْرَمُ
وَهُوَ لِلْفَضْلِ وَالْمَوَاهِبِ أَلْزَمُ
بِيَدَيْهِ عَلَى الْمَحْبِينَ يَقْسَمُ
وَعَطَايَا الْكَرِيمِ مَا لَيْسَ يُحْسَمُ
يَتَنَهَى، وَمَنْعَتُ مَا لَيْسَ يُسْهِمُ
عَبْدٌ مَدْحُ، وَالْعَبْدُ مِنْ لَيْسَ يُحْرَمُ
عِنْدَ رَبِّي، وَلَيْسَ ذَلِكَ يُهْدَمُ
وَاجْبُرْتَنِي يَا رَبَّ مِنْ كُلِّ مَأْثَمٍ
وَالصَّحَابَةُ أَهْلُ سَبْقٍ مُقَدَّمٍ

کملت بحمد اللہ تعالیٰ وتوفیقہ، ولہ رضی اللہ تعالیٰ عنہ:

94

صلوا على طه الحبيب المصطفى بحر الوفا
هذاربيع قدر رفيع هيج لنا القلب الوجيع
بالمصطفى بحر الوفا
خير الشهور حسن ينور الفرح فيه مع السروز
بالمصطفى بحر الوفا
بك السعود على الوجود يمحى به كل الكنود
بالمصطفى بحر الوفا
أتى الصلاح مع السنجاح أذكى وفاح على السبطاخ
بالمصطفى بحر الوفا
حادي الحمول إلى الرسول هل لي نزول عالي الأصول؟
بالمصطفى بحر الوفا
وجه كريم قد قوينم جماله اللذناهي العظيم
بالمصطفى بحر الوفا

نَحْدُ أُسَيْلَ طَرْفُ كَحَيْلٍ لَوْ صَالَه هَلْ مِنْ سَيْلٍ ؟
 بِالمَصْطَفَى بِحَرِّ الوُفَا
 زَيْنَ البَدْوِ شَافِي الصَّدْوِ شَفِيعُنَا يَوْمَ النُّشُورِ
 بِالمَصْطَفَى بِحَرِّ الوُفَا
 ذُو المعْجَزَاتِ زَيْنَ الصِّفَاتِ نَطَقَ البَعِيرُ مَعَ النُّبَيَّاتِ
 بِالمَصْطَفَى بِحَرِّ الوُفَا
 كَذَا الزُّلَالُ أَجْرَى وَسَالِ مِنْ كَفِّهِ سَقَى الرِّجَالِ
 بِالمَصْطَفَى بِحَرِّ الوُفَا
 يَا رَبَّنَا إِغْفِرْ لَنَا وَالْمَادْحِينَ نَبِيَّنَا
 بِالمَصْطَفَى بِحَرِّ الوُفَا
 عَلِجْ كَثِيبَ رَاجِي المَجِيبِ يَدْخُلُ حِمَا طَهَ الحَبِيبِ
 بِالمَصْطَفَى بِحَرِّ الوُفَا
 أَزْكَى السَّلَامِ عَلَى الإِمَامِ وَآلِهِ نَعْمَ الكَرَامِ
 بِالمَصْطَفَى بِحَرِّ الوُفَا
 كَمَلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَوْنِهِ. وَلَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَى عَنْهُ:

95

| | |
|--------------------------|-----------------------------------|
| النبِيَّ الحَبِيبِ | صَلِّ يَا رَبَّنَا عَلَى الهَادِي |
| مِنْ شَرَابٍ قَدِيمٍ | يَا مَرِيدًا كَوْوَسَ لَذَاتِي |
| أَنْتَ نَعْمَ النَّدِيمِ | عَلِّ الرُّوحَ يَا سَنَا ذَاتِي |
| ذَاكَ أَحْسَنَ نَعِيمِ | فِيكَ أَمْضِي جَمِيعَ سَاعَاتِي |

يَا حَبِيبَ القُلُوبِ يَا هَادِي
 أَنْتَ نَعْمَ الحَبِيبِ
 كَمْ بَدَا إِذْ طَلَعْتَ فِي النَّدَايِ
 مِنْكَ نُورٌ وَطَيِّبُ

| | |
|--------------------------|--------------------------------------|
| مَالَهُ مِنْ حِجَابِ | أَنْتَ شَمْسُ القُلُوبِ يَا بَدْرِي |
| جُدْ بِرَفْعِ النُّقَابِ | عَنْ مَحْيَاكَ ذَا البَهَا الدُّرِّي |
| يَا رَفِيعَ الجَنَابِ | ارْفَعْ العَاشِقِينَ مِنْ هَجْرِي |

يَا حَبِيبَ القُلُوبِ يَا هَادِي
 أَنْتَ نَعْمَ الحَبِيبِ

ريح كفيك رائح غادي

مثل روض خصيب

أنت فرد في لونك الأزهر

يا حبيبي يا صاحب الكوثر

يا فصيحاً ولفظه الجوهر

يا حبيب القلوب يا هادي

أنت نعم الحبيب

يا حبيباً وجهه زادي

عند ربي المجيب

كملت بحمد الله تعالى وحسن عونه.

فهرس مصادمر المقدمة وترجمة المؤلف

1. "الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام"، تأليف: العباس بن إبراهيم التعارجي. باعتناء وإعداد الأستاذ عبد الوهاب بن منصور. المطبعة الملكية- الرباط.
2. "أبو عبد الله محمد المرباط الدلائي: عالم الزاوية الدلائية وأديبها". الدكتور حسن جلاب.
3. "أعلام المغرب العربي". تأليف عبد الوهاب بن منصور. المطبعة الملكية || الرباط.
4. "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء". تأليف محمد راغب الطباخ الحلبي. صححه وعلق عليه: محمد كمال. دار القلم العربي بحلب.
5. "الإبريز من كلام مولانا عبد العزيز". تأليف أحمد بن مبارك اللمطي، من كلام مولانا عبد العزيز الدباغ. دار الرشاد الحديثة || الدار البيضاء.
6. "الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين المهدي لمولانا عبد العزيز". تأليف محمد بن محمد ابن علي الدكالي. طبع بسلا.
7. "الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب". تأليف محمد بن الطيب العلمي. مخطوط بخزانة خاصة.
8. "الاستقصا لتاريخ المغرب الأقصى"، لأحمد بن خالد الناصري. طبعة الدار البيضاء عام 1954.
9. "التراتب الإدارية في الحكومة النبوية". تأليف الحافظ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. مصور بدار الكتاب العربي - بيروت.
10. "التقاط الدرر ومستفاد الفوائد والعبر في أخبار أهل القرن الحادي عشر". تأليف محمد ابن الطيب القادري. تحقيق الدكتور هاشم العلوي القاسمي. طبعة دار الآفاق الجديدة - بيروت.
11. "تاريخ الأدب العربي || العصر العثماني". تأليف الدكتور عمر موسى الباشا. طبعة دار الفكر المعاصر.
12. "تاريخ تطوان". تأليف محمد داود. المطبعة الملكية - الرباط.
13. "تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر". يعني: ابن علي الفاسي الفهري. تأليف عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. تحقيق ودراسة الحسن الويشمي. (دراسة جامعية نال بها صاحبها درجة الدكتوراة في الآداب، تخصص تاريخ حديث قدمت بجامعة محمد بن عبد الله - فاس).
14. "ترقية المريدين فيما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين". تأليف عبد الحي

- ابن عبد الكبير الكتاني. مرقون باعتناء الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.
15. "الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين". تأليف الدكتور محمد حجي. طبعة مطبعة فضالة - المغرب.
16. "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". تأليف محمد أمين بن فضل الله المحبي الحموي. المطبعة الوهبية - القاهرة.
17. "الدر السني في بعض من بفاس من ذوي النسب الحسني". تأليف عبد السلام بن الطيب القادري. طبعة حجرية فاسية.
18. "الدر النفيس في ترجمة مولانا إدريس بن إدريس". تأليف أحمد بن عبد الحي الحلبي. تصحيح محمد الفاطمي الصقلي. طبعة حجرية فاسية.
19. "الرياض الريانية في الشعبة الكتانية ذات المزاي الشافية الكافية". تأليف جعفر بن إدريس الكتاني. مخطوط بخط المؤلف.
20. "الزاوية الدلائية ودورها العلمي والسياسي". تأليف الدكتور محمد حجي. المطبعة الوطنية. الرباط.
21. "الزاوية الفاسية: التطور والأدوار حتى نهاية العهد العلوي الأول". تأليف الدكتورة نفيسة الذهبي. مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء.
22. "زهر الآس في بيوتات فاس". (الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس 1، 2). تأليف عبد الكبير بن هاشم الكتاني. تحقيق الدكتور علي بن المنتصر الكتاني. منشورات جمعية الشرفاء الكتانيين للتعاون والثقافة. العدد (3، 4). مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.
23. "سلوة الأنفاس ومحاذئة الأكياس قيمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس العدد 4". (الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس). تأليف الإمام محمد بن جعفر الكتاني. تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن الطيب الكتاني، محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات الجمعية الكتانية للتعاون والثقافة. العدد (5). طبعة دار الثقافة - الدار البيضاء.
24. "سوس العالمة". تأليف محمد المختار السوسي. طبعة مطبعة فضالة - المحمدية.
25. "الشرفاء الكتانيون في الماضي والحاضر". تأليف الدكتور علي بن المنتصر الكتاني. منشورات جمعية الشرفاء الكتانيين للتعاون والثقافة. العدد الثاني. الطبعة الثانية.
26. "صفوة ما انتشر من أعلام القرن الحادي عشر". تأليف محمد الصغير الإفرائي. تحقيق الدكتور عبد المجيد خيالي. منشورات مركز التراث الثقافي المغربي - الدار البيضاء.
27. "عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد". من كلام الإمام محمد الزمزمي ابن محمد الكتاني. جمع واعتناء الدكتور علي بن المنتصر الكتاني. مرقون في ثلاثة مجلدات.

28. "فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات". تأليف عبد الحلي بن عبد الكبير الكتاني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. طبعة دار الغرب - بيروت.
29. "كشف اللثام عن عرائس نعم الله ونعم رسوله عليه السلام". تأليف أحمد بن عبد الحلي الحلبي. مخطوط بالخزانة العامة، تحت رقم (608) مصورا عن الخزانة الناصرية.
30. "لسان العرب". تأليف جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، طبعة دار الفكر - دمشق، ودار صادر - بيروت.
31. "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن". تأليف محمد العربي بن يوسف الفاسي انفهري. تحقيق الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات رابطة ابن الجد الفهري. مطبعة النجاح الجديدة.
32. "مسند الإمام أحمد". تأليف الإمام أحمد بن حنبل. طبعة بولاق.
33. "مصادر تاريخ إفريقية من خلال المخطوطات العربية"، منشورات الأكاديمية المغربية، العدد الرابع، 1987، ص 242.
34. "المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية". تأليف الحافظ عبد الحلي بن عبد الكبير الكتاني. تحقيق الدكتور علي بن المنتصر الكتاني. نسخة مرقونة.
35. "المعسول في الإلغيين وأساطلهم وتلامذتهم وأصدقائهم السوسيين". تأليف محمد المختار بن علي السوسي. طبع بالدار البيضاء.
36. "معلمة المغرب". منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر - الرباط.
37. "المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور". تأليف أحمد بن القاضي المكناسي. تحقيق الدكتور محمد رزوق. طبعة مكتبة المعارف - الرباط.
38. "المنزعة اللطيف في التلميح بمفاخر المولى إسماعيل بن الشريف". تأليف عبد الرحمن بن زيدان العلوي. المطبعة الملكية - الرباط.
39. "المواهب الفتحة في ذكر الأخوة الأربعة أبناء السيدة فاطمة الحلبيّة". تأليف محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني. مخطوط بخط المؤلف.
40. "نسطح صخرة" تأليف العابد بن عبد الله الفاسي. اعتناء وتقديم عبد الله بن العابد الفاسي. طبع مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث - الدار البيضاء.
41. "الندوة العلمية حول الرباط وسلا". جمعية رباط الفتح. طبع وزارة الأوقاف المغربية.
42. "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي". تأليف محمد الصغير الإفرائي. تحقيق الدكتور عبد اللطيف الشاذلي. مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء.
43. "نشر المثاني لأعلام القرن الحادي عشر والثاني". تأليف محمد بن الطيب القادري. تحقيق الدكتور محمد حجي، والدكتور أحمد توفيق. نشر وتوزيع مكتبة الطالب - الرباط.

فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| 3 | مقدمة بقلم الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني |
| 5 | تاريخ مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومشروعيته |
| 7 | مادحو النبي صلى الله عليه وسلم في المغرب |
| 8 | ترجمة الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي |
| 8 | عصر الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي |
| 8 | أ - سياسة |
| 11 | ب - أدبا |
| 15 | ج - تصوفا |
| 18 | د - فقها وعلما |
| 21 | الإمام الحلبي: اسمه ونسبه وولادته |
| 23 | نشأته في المشرق وشيوخه |
| 25 | دخوله المغرب |
| 27 | شيوخه بالمغرب |
| 28 | جولاته في المغرب |
| 30 | علاقاته |
| 31 | أ - علاقته بالسلطان المولى إسماعيل بن الشريف |
| 32 | ب - علاقته بالزاوية الدلائية وتلامذتها |
| 34 | ج - علاقته بالأسرة الفاسية |
| 36 | د - مصاهرته للشرفاء الكتانيين |
| 37 | مكانته وشهادة أهل عصره فيه |
| 39 | حاله وصفته |
| 42 | الآخذون عنه |
| 42 | مؤلفاته |
| 51 | محبته |
| 57 | كراماته وبشائره |
| 60 | وفاته ومدفنه |
| 62 | ذريته من بعده |

- 1 - ترجمة السيدة فاطمة بنت الشيخ أحمد الحلبي 63
- 2 - ترجمة الشريف مولاي محمد الفضيل بن العربي الكتاني 65
- مداحو النبي صلى الله عليه وسلم من آل الكتاني (أحفاده) 66
- نبذة من نثره 67
- 1 - رسالة من المترجم لمفتي تونس أبي عبد الله فتاة 67
- 2 - فقرات من مقاماته 69
- نسبي إليه 72
- كتاب "عرائس الأفكار في مدائح المختار" 73
- تقاريط الديوان 74
- تقريط شيخ الإسلام عبد القادر بن علي الفاسي الفهري 74
- تقريط شيخ الإسلام محمد الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي 74
- تقريط الإمام المشارك الأديب البارع أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي 76
- تقريط شيخ الجماعة محمد بن عبد القادر الفاسي الفهري 76
- تقريط سيوطي عصره عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي 77
- تقريط شيخ الجماعة محمد بن مبارك المغراوي الوراق 78
- تقريط المقرئ المجود القاضي محمد بن علي السليمان السجلماسي 79
- نماذج من صور المخطوطات 81
- مقدمة المؤلف 85
- الديوان محققا 89
- فهرس مصادر المقدمة وترجمة المؤلف 233
- فهرس الموضوعات 237

بعض تقارير ديوان «عرائس الأفكار في مدائح المختار صلى الله عليه وسلم». تقرير شيخ الإسلام عبد القادر بن علي الفاسي الفهري: قد طالعت ما تيسر من هذا الديوان السامي مقداره، اللائحة أنواره، من إنشاء صاحبنا وأخينا أبي العباس أحمد الحلبي ضاعف الله له الحسنات، وجعل أوقاته معمورة بالطاعات. فقد نهج بذلك نهجاً قويمًا، وحاز إن شاء الله أجراً عظيماً، وجنة ونعيماً، وكيف لا؟ والممدوح سبب الوجود، وصاحب الكرم والجود، وأفضل من أجاز المستجير ووفى بالعهود، لا يهمل آمله، ولا يخيّب سائله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الشرفا، وصحابته أهل الصدور والوفاء.

تقرير شيخ الإسلام محمد الشاذلي ابن محمد ابن أبي بكر الدلائي: إن أحق ما صرفت إليه همم الأعلام، وأفصح به أسنة الأقلام، وبُذلت فيه نفائس الأعلاق، وتنافست فيه الأسماع والأحداق، ورقمته يد الأقلام، على صفحات الأيام: أمداح سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. هذا؛ وإن مما جلا في تلك الميادين، وجنى أزاهر تلك الرياحين، من تلك البساتين: مالك أزمّة العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وحيد عصره، وعالم مصره، محلي أجياد الرسائل ببارعات المسائل، ومَوْثِي بطون المهارق بكل معنى رائق، الصدر الهمام، الأوحد الإمام؛ أبا العباس أحمد الحلبي، الذي قالت في حقه الأمداح المصطفوية: هذا قد حلا بي. فإنه قد أبدع فيها كل الإبداع، وأتى فيها بما لا يستطيع ممن قطعت دونه الأطماع.

تقرير شيخ الجماعة محمد بن عبد القادر الفاسي الفهري: طالعت بعض ما اشتمل عليه هذا المجموع من غرر القصائد، من نظم صاحبنا الفقيه الأديب، الآتي من سحر البلاغة بكل عجب؛ الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي، فألفيتها قد لبست حلاً من نسائج بلاغته، وكسيت رونقاً من نتائج براعته، مطربة للسامع وأخذه للقلوب بالمجامع، يستعذب لطائف دقاتها الأديب، ويهتز لمعاني حقائقها ومثاني دقاتها الناسك الأريب. فهي نزهة للنّاظر، وجلاء للخاطر، واستنزال لغيث بأنواع الخير ماطر، وكيف لا تكون على أكمل رصف وأجمل وصف؛ وهي مدائح سيد المرسلين، ولوائح نفحات من البر، ولمحات من السر، لها الأذان تصغي والقلوب تلين. انتهى. إضافة إلى تقارير أخرى لجماعة من الأئمة الأعلام تراها في مقدمة هذا الكتاب.

ISBN 2-7851-5206-8



9 782745 152060

9 000 0



Designed & Printed By Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

ص ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
ربيع الطلح - بيروت 1107 2290

هاتف 12/11 804810 +961
فاكس 804813 +961

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com



دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971